صيانة القرآن من التحريف

دار القرآن الكريم

بقلم
الأستاذ محمد هادي معرفة

Princeton University Library
32101 057499319

Princeton University Library

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

Ma'rifah

صيانة القرآن من التحريف

بقلم
الأستاذ محمد هادي معرفة

دار القرآن الكريم

(RECAP) (RECAP)
BP130
.4
.M374
1990

المؤتمر الثاني للابحاث والدراسات القرآنيه
ايران – قم – دارالقرآن الكريم
٢٧ رجب ١٤١٠

هوية الكتاب:

الكتاب: صيانة القرآن من التحريف

المؤلف: الاستاذ العلامة محمّد هادي معرفة

الناشر: دارالقرآن الكريم – ايران – قم – صندوق البريد ١٥١ – شارع ارم

الطبعة: الاولى – مطبعه مهر – قم

التاريخ: ٢٧ رجب المرجب – سنة ٤١٠ هـ ـق

العدد: ٣٠٠٠ نسخة

تلفون: ٣٣٠٧٨ – الرّمز: ٠٢٥١

ثمن النسخه: ٦٥٠ ريالاً

حقوق الطبع كلّها محفوظة لِدارالقرآن الكريم – قم المقدسة

التصميم والإشراف الفنّي: السيّد حسين آقائى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين

وبعد : كنت قد اعددت هذا المقال، ليكون ملحقاً بمباحثنا في دلائل الاعجاز من كتابنا التمهيد، وعند التعرض لشبهات ثارت حول القرآن الكريم ومسائل إعجاز ومباني حجيّته في ظاهر الفاظه ومعانيه... وقد طال بنا التحقيق عن مناحي مسألة الاعجاز (البياني والعلمي والتشريعي) وأجدربها من التروّي والتريّث عند كل مسألة مسألة منها... لتكون عند خروجها الى الطباعة، صافية نقيّة، ومتقنة متينة، فان من كتب فقد استهدف...

هذا وقد صادف ذلك عقد المؤتمر الثاني **للبحث عن علوم القرآن ومفاهيمه، عقدته دارالقرآن الكريم ــ بقم المقدسة ــ بامر سماحة آية الله العظمى الامام السيد محمدرضا الگلپايگاني ــ دام ظله الوارف ــ** فاقترح على السيد المدير الدكتور **عبدالوهاب الحسيني الطالقاني ــ** وفقه الله ــ أن يعرض المقال على لجنة المؤتمر والموافقة على طبعها في رسالة مستقلة تصدرها دارالقرآن الكريم... فلم يكن منّي سوى تلبية هذا الاقتراح والتعجيل بعرض المقال... فانّ خير الخير ما كان عاجله... فاستبقوا الخيرات...

ومن ثم فانّى اقدم شكرى الجزيل الى سماحة الامام الگلپايگانى اولاً، والى السيد المدير ثانياً، وفى النهاية ابتهل الى الله ان يرفع من درجات نجل الامام العلامة السيد مهدى المرحوم المؤسس لدار القرآن الكريم والذى بذل عنايته وسعى بكل جهده فى تشييد دعائمها اعلاء لكلمة الله فى الارض وخدمة لكتاب الله العزيز الحميد. فجزاء الله خير جزاء الصالحين.

قم المقدسة ــ محمد هادى معرفة ــ ذوالقعدة الحرام ١٤٠٩

صيانة القرآن من التحريف

نسبة التحريف الى كتاب الله العزيز الحميد، نسبة ظالمة تأباه طبيعة نص الوحى، المضمون بقاؤه وسلامته مع الخلود. قال تعالى: **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** (١).

وهى نسبة عمياء وفى نفس الوقت قديمة يرجع عهدها الى عصر اختلاف اصحاب المصاحف الاولى، حيث التنافس العارم فى ثبت نصّه وفى هجاء قرائته، كل يزعم الصحيح فيما عنده وخطاء الآخرين. وهكذ لما توحّدت المصاحف على عهد عثمان، كان ذلك على يد جماعة كانت تعوزهم كفاءة هذا الامر الخطير، ومن ثمّ كانت أخطاءُ إملائية، واختلاف فى نسخ المصاحف مع المصحف الامّ، المحتفظ به فى نفس المدينة... على ما فصّلنا بيانه فى كتابنا التمهيد...

وكان من الصحابة والتابعين خلال هذا الاختلاف من ينتقد نَسْخَ المصاحف وهجاء القراءات، وكانوا كثرة، كابن مسعود، وعائشة، وابن عباس، واضرابهم، وبقيت من هذا التناوش اللّسَنى رواياتٌ وحكاياتٌ أولعت الحشويّة بنقلها وضبطها وتدوينها فى امهات الجوامع الحديثية، الامر الذى استدعى فيما بعد مشكلة «احتمال التحريف» فى نص القرآن الكريم.

وقد حاول جماعة من اهل النظر معالجة تلكم الروايات بأشكال فنّيّة، لكن

(١) الحجر ١٥/٩.

معالجة غير ناجعة، بعد ان زعموا صحة اسانيدها وصراحتها فى وقوع التحريف فى نص الكتاب العزيز، وانتهوا أخيرا الى اختلاق مسألة «نسخ التلاوة» المعلوم بطلانها وفق قواعد الأصول، ومن ثمّ إمّا قبلوها وأفتوا بها على علاّتها، نظراً لصحّة اسنادها فيما زعموا، أو رفضوها بعد عدم امكان التأويل.

* * *

هذا ابن حزم الأندلسى ــ وهو الفقيه الناقد ــ يرى الرجم مستنداً الى كتاب الله لِما رواه بإسناده عن ابى بن كعب، قال: كم تعدون سورة الاحزاب؟ قيل له: ثلاثا أو اربعا وسبعين آية. قال: ان كانت لتقارن سورة البقرة أو لهى اطول منها. وان كان فيها لآية الرجم، وهى: «اذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم».

قال ابن حزم: هذا إسناد صحيح كالشمس لامغمز فيه. ثم قال: ولكنّها ممّا نُسِخَ لفظها وبقى حكمها(١) وسنتكلّم عن هذا التعليل العليل(٢).

وقال ــ فى مسألة عدد الرضعات المحرِّمة ــ: احتج من قال لايحرم من الرضاع اقل من خمس رضعات بما رويناه من طريق حماد وعبدالرحمان عن عروة عن عائشة امّ المؤمنين قالت: نزل القرآن «ان لايحرم الاّ عشر رضعات» ثم نزل بعد «وخمس معلومات» وفى لفظ عبدالرحمان: كان ممّا نزل من القرآن ثمّ سقط «لايحرم من الرضاع الاّ عشر رضعات» ثم نزل بعد «وخمس معلومات». قالت: فتوفّى رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ وهنّ ممّا يقرأ من القرآن.

قال ابن حزم: وهذان خبران فى غاية الصحة وجلالة الرواة وثقتهم، ولا يسع احداً الخروج عنها. ثمّ نقل اعتراض القائل: كيف يجوز سقوط شىء من القرآن بعد موته ــ صلّى الله عليه وآله ــ فانّ ذلك جُرم فى القرآن. فاعتذر ابن حزم بأنّه ممّا بطل

(١) المحلّى ج ١١ ص ٢٣٥.

(٢) ولا يخفى انه اول من ألصق تهمة القول بالتحريف الى الشيعة الإمامية، وشنع عليهم ظلماً وزوراً، وقد كان هو اولى بهذا التشنيع. (الفصل ج ٤ ص ١٨٢).

ان يكتب فى المصاحف، وبقى حكمه، كآية الرجم سواء سواء(١)، وهو اعتذار غيرعاذر حسبما يأتى.

أمّا فقهاء الأمامية فقد شطبوا على تلكم الأوهام الخرافية ولم يقيموا لها وزناً ولم يعتمدوها فى مجال الفقه والافتاء ابداً، حديث خرافة يا ام عمرو(٢).

وقد كنا عزمنا من ذى قبل ان نطوى الكلام عن مزعومة قديمة لا وزن لها فى عالم الاعتبار، وايكال الأمر الى بديهة العقل الحاكم بسخافة تلكم الأ باطيل التى تأباه قدسية القرآن الكريم

وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٣).

لولا ان كتابات(٤) مستأجرة كانت تعمل ــ اخيراً ــ فى تمزيق وحدة المسلمين بتوجيه التهم المفضوحة الى اهم طوائف المسلمين (الشيعة الامامية) لتنسب اليها القول بالتحريف الباطل وهم منه براء(٥).

ورأينا من الواجب القيام بردّ ذلك الهراء العارم دفاعا عن قدسية القرآن الكريم اولا، وفضح التهم الموجهة الى أُمة اسلامية كبيرة، لم تزل ولا تزال جاهدة فى

(١) المحلّى ج ١٠ ص ١٤ و١٦.

(٢) لاتجد فقيها من فقهاء الإمامية لافى القديم ولا فى الجديد من يُعير اهتماماً بهكذا روايات ساقطة لاحجّية فيها ولا إعتبار.

(٣) فصلت ٤١/ ٤٢ و ٤١.

(٤) واخيراً قام صعلوك من صعاليك الهند (احسان آلهى ظهير) جاهداً فى تفرقة المسلمين، بتوجيه التهم الظالمة الى الشيعة الإمامية، وذلك فى صالح المستعمر الكافر، وعلى حساب العملة السعودية السوداء، وسرعان ما جازاه الله بنار الدنيا ــ فى حادثة انفجار مهيب ــ قبل عذاب الآخرة الأشد. حشره الله مع اوليائه فى قعر السعير.

(٥) سيأتى كلام الأشعرى فى تبرئة الشيعة الإمامية (من اهل العدل والإمامة) عن تهمة القول بالتحريف اطلاقاً لازيادةً ولا نقصاً ولا تبديلاً، (مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١١٩ــ ١٢٠).

حراسة هذا الدين والوقوف بكل وجودها فى وجه مناوئى الاسلام طول عهد التاريخ، ثانيا.

هذا ما عزمنا عليه والله من وراء القصد وهو ولىّ التوفيق.

ولا بدّ قبل ان نخوض البحث من تمهيد مقدمات:

التحريف فى اللغة والاصطلاح

التحريف بالشىء امالته والعدول به عن موضعه الى جانب، مأخوذ من حَرْف الشىء بمعنى طَرَفه وجانبه. قال تعالى:

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ إطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ إنْقَلَبَ عَلىٰ وَجْهِهِ (١) ...

قال الزمخشرى: اى على طرف من الدين لافى وسطه وقلبه. وهذا مَثَل لكونهم على قلق واضطراب فى دينهم، لاعلى سكون وطمأنينة، كالذى يكون على طرف العسكر، فان احسّ بظفر وغنيمة قرّ واطمأنّ والاّ فرّ وطار على وجهه (٢).

وتحريف الكلام: تفسيره على غير وجهه اى تأويله بما لا يكون ظاهرا فيه، تأويلاً من غير دليل. كأنّ لدلالة الكلام الذاتية مجرى طبيعيا تجرى فيه حسب طبعه الأوّلى المتوافق مع قانون الوضع. لولا ان المحرِّف يأخذ بعنان الكلام فيسير به الى غير طريقه ويجعله على جانب من مجراه الأصيل.

ومعلوم ان التحريف بهذا المعنى انما هو تحوير بمدلول الكلام وتصريف فى محتواه، ومن ثمّ فهو تغيير فى معنى الكلم، كما قال تعالى: يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ (٣) اى يفسرونها على غير وجهها بما لادلالة للكلام فيه وضعا. كأنّ المعنى

(١) الحج ٢٢/١١.
(٢) الكشاف ج ٢ ص١٤٦.
(٣) النساء ٤/٤٦.

الموضوع له موضع حقيقى للكلم فاذا ما حوّل الى غيره فقد أُبعد عن محله وعن موضعه الاصيل. وهذا تحريف معنوى لاغير.

قال فى اللسان: وتحريف الكلم عن مواضعه: تغييره والتحريف فى القرآن والكلمة: تغيير الحرف عن معناه والكلمة عن معناها، وهى قريبة الشبه، كما كانت اليهود تغيّر معانى التوراة بالاشباه، فوصفهم الله بفعلهم فقال تعالى: **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**.

قوله: وهى قريبة الشبه، اى تغيير معنى الكلم الى معنى هو قريب الشبه الى المعنى الحقيقى الاصل. وذلك تحقيقا لمعنى الحرف الذى هو الجانب من الشىء الملاصق له فى الوهم.

وهكذا قال الراغب: وتحريف الكلام ان تجعله على حرف من الإحتمال، يمكن حمله على الوجهين. اى الكلام بحسب مادّته يحتمل الأمرين فتجعله على احدهما حسب المراد وان كان على خلاف ارادة قائله.

وقال الطبرسى (١) ــ فى تفسير قوله تعالى: **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِه** (٢) اى يفسرونه على غير ما انزل ويغيّرون صفة النبى (ص) فيكون التحريف بامرين: احدهما سوء التأويل، والآخر التغيير والتبديل، كقوله تعالى: **وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ** (٣).

قال الشعرانى: المراد من المواضع هى المعانى والمقاصد، اى لايحملون الالفاظ على معانيها الظاهرة منها، بل يؤولونها على وجوه بعيدة (٤).

وهكذا قوله تعالى: **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ** (٥) ــ اى جاء التحريف ليزيل الكلمة عن موضعها الاصل الذي كان حقيقا بالاستقرار فيه.

(١) مجمع البيان ج ٢ ص ١٧٣.
(٢) المائده ٥/ ١٣.
(٣) آل عمران ٣/ ٧٨.
(٤) بهامش المجمع ج ٣ ص ٥٥.
(٥) المائدة ٥ / ٤١.

قال الزمخشري: فالمعنى انه كانت له مواضع هو قمن بأن يكون فيها. فحين حرّفوه تركوه كالغريب الذى لاموضع له، بعد مواضعه ومقارّه(١).

وهكذا جاء عن الامام الباقر ــ عليه السلام ــ: «وكان من نبذهم الكتاب، ان أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده. فهم يروونه ولا يرعونه. والجهّال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية...» (٢).

اى انهم احتفظوا على الالفاظ والعبارات، لكن مع سوء التأويل فى معانى الآيات، فكان ذلك نبذاً لكتاب الله، حيث ترك العمل بمداليله الذاتية.

وفى رواية اخرى عنه ــ عليه السلام ــ: «ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيّع حدوده وأقامه مقام القَدَح. فلاكثّر الله هؤلاء من حملة القرآن...» (٣).

والقدح ــ بفتحتين ــ إناء واسع الفم يستصحبه المسافر، فاذا ما اكل فيه اوشرب جعله فى آخر رحله او علّقه على ظهره. وفى الحديث: «لاتجعلونى كقدح الراكب» اى لا تؤخرونى فى الذكر، كناية عن عدم الإهتمام بالشىء فاذا ماقضى حاجته منه تركه خلف ظهره.

فقوله: أقامه مقام القدح، كناية عن عدم الاهتمام بالقرآن، فلا يتصدّر حياة الرجل وانّما يحل محل الفضول فى اخريات مزاولات الحياة، فاذا ما فرغ من اوليات عيشته ولم يجد ما يلهى نفسه به اخذ من القرآن ما يتفنّن به فى حياته اليومية، اخذاً بالعرض وليس مقصودا بالذّات!

* * *

(١) الكشاف ج ١ ص ٥١٧.

(٢) الكافى الشريف ج ٨ ص ٥٣ الروضة رقم ١٦.

(٣) الشافى ــ تلخيص الوافى ــ للفيض الكاشانى ج ٢ ص ٢٤.

واما فى الاصطلاح فجاء على سبعة وجوه :

أ ــ تحريف بمدلول الكلام، وهو تفسيره على غير وجهه، بمعنى تأويله وتحوير دلالته بما لايكون اللفظ ظاهرا فيه بذاته، لابحسب الوضع ولا بحسب القرائن المعهودة، ومن ثمّ فهو تأويل باطل، المعبر عنه بالتفسير بالرأى، المنهى عنه فى لسان الشريعة المقدسة.

قال ــ صلّى الله عليه وآله ــ: «من فسّر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار» (١). اى عمد الى القرآن ليجعل من رأيه الخاص تفسيراً له. وقدمرّ تعبير الطبرسى عن ذلك بسوء التأويل، وهو قريب من المعنى اللغوى. ولم يستعمله القرآن الاّ فى هذا المعنى، حسبما يأتى.

ب ــ تحريف موضعى. ليكون ثبت الآية او السورة على خلاف ترتيب نزولها، وهذا فى الآيات قليل نادر، لكن السور كلّها جاء ثبتها فى المصحف على خلاف ترتيب النزول، وقد شرحنا ذلك فى الجزء الأوّل من التمهيد.

ج ــ تحريف قرائى. فتُقْرأ الكلمة على خلاف قرائتها المعهودة لدى جمهور المسلمين، وهذا كاكثر اجتهادات القراء فى قراءاتهم المبتدعة لاعهد لها فى الصدر الأوّل، الأمر الذى لانجيزه، بعد ان كان القرآن واحداً نزل من عند واحدٍ، كما فى الحديث الشريف (٢).

د ــ تحريف فى لهجة التعبير، كما فى لهجات القبائل تختلف عند النطق بالحرف او الكلمة فى الحركات وفى الأداء. الامر الذى يجوز، مادامت بِنْية الكلمة الأصلية محتفظة لايختلف معناها. وقد نزّلنا حديث الا حرف السبعة ــ على فرض صحة الإسناد ــ على ارادة اختلاف لهجات العرب فى اداء الكلمات والحروف. بل

(١) غوالى اللئالى ج ٤ ص ١٠٤ رقم ١٥٤.

(٢) الكافى الشريف الاصول ج ٢ ص ٦٢٧.

وحتى اذا لم تكن اللهجة عربية، فان الملائكة ترفعها عربية كما فى الحديث(١).

نعم لايجوز اذا كان لحناً اى خَطَأ ومخالفاً لقواعد الإعراب. قال تعالى: قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذى عِوَج (٢)... وقد أُمِرنا بقراءة القرآن عربية صحيحة «تعلّموا القرآن بعربيته» (٣).

وهكذا اذا كان التحريف اللَّهجَى مغيّراً لمعنى الكلمة، فانّه لايجوز، ولا سيّما اذا كان عن عمد ولغرض خبيث، كما كانت تفعله اليهود عند اللّهج بلفظة «راعنا» فكانت تميل بحركة العين الى فوق، لتصبح معنى الكلمة «شرّيرنا» حسبما ذكره الحسين بن على المغربى (٤) وذكره القرآن فى سورة البقره: ١٠٤ وكذا فى سورة النساء: قال تعالى: مِنَ الَّذِينَ هادُوا يُحَرِّفونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنا وَعَصَيْنا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ، وَراعِنا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِى الدّينِ... (٥)

قال البلاغى: بنحو من لحن التحريف ومناحى الالغاز و اللهجة.

هـ ــ تحريف بتبديل الكلم، بان تتبدّل الكلمة الى غيرها مرادفة لها او غير مرادفة. الأمر الذى كان يجوّزه ابن مسعود فى المترادفات، نظراً منه الى حفظ المعنى المراد ولا بأس باختلاف اللفظ. كان يقول: ليس من الخطاء ان يقرأ مكان «العليم» «الحكيم» بل ان يضع آية الرحمة مكان آية العذاب. قال: لقد سمعت القراء ووجدت انهم متقاربون فاقرأوا كما علمتم، فهو كقولكم هلم وتعال.

وقد اسبقنا عدم جواز ذلك فى نص الوحى، حيث الاعجاز قائم بلفظه كما هو قائم بمعناه(٦).

(١) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٦٦ رقم ٤.
(٢) الزّمر ٣٩/٢٨.
(٣) وسائل الشيعة ج ٤ ص ٨٦٥ ب ٣٠ رقم ١.
(٤) راجع: تفسير البلاغى (آلاء الرحمان) ج ٢ ص ١٣٤.
(٥) النساء ٤/٤٦.
(٦) راجع الجزء الأوّل من التمهيد ص ٢٥٧ ــ ٢٦٥.

و ـ التحريف بزيادة، وقد نسب الى ابن مسعود وغيره من السلف كانوا يزيدون فى نص الوحى لغرض الايضاح ورفع الابهام من لفظ الآية. لاعقيدةً بانّها من النص القرآنى. الأمر الذى لابأس به مع التزام الشرط وعدم الالتباس.

وهكذا نجد زيادات تفسيرية فى المأثور عن الائمة الصادقين عليهم السلام. وسيأتى بعض الكلام عن ذلك.

ولم نجد من زعم زيادة فى النص الموجود سوى ما يحكى عن العجاردة (اصحاب عبدالكريم بن عجرد من زعماء الخوارج) انكروا ان تكون سورة يوسف من القرآن، وكانوا يرون انها قصة عشق لايجوز ان تكون من الوحى (١) ولهم مقالات فاسدة غير ذلك (٢).

نعم كان مما اشتبه على ابن مسعود، زعمه من المعوذتين أنها تعويذان وليستا من سور القرآن، وكان يقول: لاتخلطوا بالقرآن ما ليس منه، وكان يحكّها من المصحف (٣).

ز ـ التحريف بالنقص: اما بقراءة النقص، كما اثر عن ابن مسعود انه كان يقرأ:

«والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلّى والذكر والأنثى» باسقاط «ما خلق» (٤). وعن الأعمش انه كان يقرأ: «حم سق» باسقاط «ع» قيل: وهكذا قرأ ابن عباس (٥).

او بزعم أنّ فى النص الحاضر سقطا، كان من القرآن فأُسقط إمّا عن عمد او

(١) الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ١٢٨. لكن ابالحسن الأشعرى لم يتحقق صحة هذه النسبة، قال: «وحكى لنا عنهم ما لم نتحققه: انّهم يزعمون ان سورة يوسف ليست من القرآن» مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٧٨.

(٢) راجع: المقالات ج ١ ص ١٧٨.

(٣) فتح البارى بشرح البخارى ج ٨ ص ٥٧١.

(٤) صحيح البخارى ج ٦ ص ٢١١ ـ وج ٥ ص ٣٥.

(٥) مجمع البيان ج ٩ ص ٢١.

عن نسيان.

وهذا امّا فى حرف واحد أو كلمة أو جملة كاملة أو آية أو سورة كما زعم.

وكل ذلك ورد مأثوراً فى امهات الكتب الحديثية كالصحاح الستّ وغيرها حسما اسلفنا اجمالا(١) وسنعرضها بتفصيل.

الامر الذى ننكره اشد الانكار، وهو الذى وقع الكلام حوله فى مسألة تحريف الكتاب، ولا مجال لتغيير العبارة والقول بأنه من منسوخ التلاوة أو منسيّها ــ كما التزم به بعض ائمّة اهل السنة ــ فانّه من الالتواء فى التعبير، وتغيير العنوان لايغيّر من الواقع المعنون، وهو موضع بحثنا فى هذا الحقل:

ومجمل القول فى ذلك: انّ ماورد بهذا الشأن من الروايات العامّيّة الاسناد، لاتعدو كونها من اصطناع اهل الزندقة ومن صنع الوضاعين المعروفين بالكذب والاختلاق. أو أن لها تأويلا صحيحا لايمسّ جانب تحريف الكتاب. والاّ فهى اوهام وخرافات سلفية لااعتبار بشأنها اصلا، والأكثر انما هو من هذا القبيل، كما سنوضح ان شاء الله.

القرآن ولغة التحريف:

لم يستعمل القرآن لفظ التحريف فى سوى معناه اللغوى اى التصرّف فى معنى الكلمة وتفسيرها على غير وجهها،المعبّر عنه بسوء التأويل او التفسير بالرأى. وهو تحريف معنوى ليس سواه.

وقد اسبقنا الكلام عن قوله تعالى: **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ** فى سورة النساء: ٤٦، وسورة المائدة: ١٣، قوله **عَنْ مَوَاضِعِهِ**: اى بعد ان كان الكلام مستعملا فى معناه الحقيقى الظاهر فيه بنفسه او المستعمل فيه بدلالة القرائن المعهودة، فجاء التحريف بعد ذلك خيانة فى أمانة الأداء والبلاغ. وفى الآية رقم ٤١ من سورة المائدة: **مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ** تصريح بهذا المعنى. حيث التحريف ازاحة لِلّفظ عن موضعه الذى هو معناه.

(١) فى الجزاء الأول من التمهيد.

وفى سورة البقرة:

وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ ...(١)

اى جاء تحريف المعنى الى ما ارادوه بعد علمهم بالمعنى الحقيق المراد الذى كان على خلاف مصالحهم فيمازعموا. ومن ثم فهو من سوء التأويل كما عبّر عنه الطبرسى ومن قبله الشيخ فى التبيان. قال فالتحريف يكون بامرين: بسوء التأويل وبالتغيير والتبديل(٢). اى بتغيير لهجة الكلام بحيث يتغير المعنى بذلك، كما جاء فى سورة آل عمران: ٧٨.

وقال الشيخ محمد عبده: من التحريف تأويل القول بحمله على غير معناه الذى وضع له وهو المتبادر لأنه هو الذى حملهم على مجاحدة النبى (ص) وانكار نبوّته. ولايزالون يؤلّون البشارات الى اليوم(٣). اى "تبادر من لفظ التحريف فى هذه الآيات هو التحريف بالمعنى، وكانت جرأتهم على هذا التصرف فى تفسير البشارات هى التى مكنتهم من مقابلة النبى (ص) بالإنكار والجحود.

وقال الزمخشرى: يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، اى: يميلونه عنها(٤) واللفظ اذا لم يفسر وفق ظاهره او بحسب القرائن، فقد اميل عن موضعه.

والخلاصة: كان تحريف العهدين الذى اشار اليه القرآن، امّا بسوء التأويل أى التصرف فى تفسيرهما بغير الحق، من غير أن يمسّوا يداً الى لفظ الكتاب، أو مع تغيير فى لهجة التعبير عند النطق بالكتاب، كما قال تعالى:

وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ

(١) البقرة ٢/٧٥.
(٢) التبيان ج ٣ ص ٤٧٠.
(٣) المنار ج ٥ ص ١٤٠.
(٤) الكشاف ج ١ ص ٥١٦.

مِنَ الْكِتَابِ، وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١).

لانّ اللفظ اذا أُلهج به على غير لهجته الاولى لم يكن نفسه وانما هو غيره، وانما كانوا يعمدون الى ذلك، ذريعة لكتمان الحقيقة واخفاء للبشائر بمقدم نبي الاسلام صلّى الله عليه وآله وسلم.

اما التحريف بمعنى تبديل الكلم الى كلمات غيرها او اسقاطها او زيادتها ــ الذى هو معنى اصطلاحى ــ فلم يعهد استعماله فى القرآن، حسبما عرفت.

(١) آل عمران ٣/ ٧٨.

مزعومة نسخ التلاوة :

هناك مزعومة لهج بها كثير من اصحاب الحديث وجماعة من اصوليّ العامّة، حاولوا معالجة ما صحّ لديهم من روايات تنمّ عن ضياع كثير من آى القرآن، فحاولوا توجيهها باسلوب مختلق، قالوا: انها من منسوخ التلاوة، ولو فرض الحكم باقيا مع الأبد. كما فى آية (الرضعات العشر) وآية (رجم الشيخ والشيخة) وآية (لايملاء جوف ابن آدم الا التراب) وغيرهنّ كثير، حسبوها آيات قرآنية، كانت تتلى على عهده ــ صلّى الله عليه وآله ــ لكنها رفعت فيما بعد ونسيت عن الصدور، وان بقى حكمها واجب العمل ابدا. وبهذا الاسلوب الغريب حاولوا توجيه ما عساه كان ثابتا لديهم من صحاح الأحاديث.

اما علماؤنا المحققون فقد شطبوا على هكذا روايات تخالف صريح القرآن، ولم يصح لديهم شيء من اسانيدها بتاتاً، ولأنّ كتاب الله العزيز الحميد أعز شأنا واعظم جانبا من ان يحتمل فيه التحريف.

هذا مضافا الى أنّ توجيه الغلط غلط آخر بل افحش، الامر الذى ارتكبه القوم مع الأسف.

هذا الامام المحقق الاصولى محمد بن احمد السرخسى، بينما ينكر اشد الانكار مسألة وقوع النسخ بعد وفاة الرسول ــ صلّى الله عليه وآله ــ تراه يعترف بمسألة نسخ التلاوة دون الحكم ويؤولها الى امكان سبق النسخ على الوفاة مع خفائه على الصحابة الأولين.

قال: واما نسخ التلاوة مع بقاء الحكم فبيانه ــ فيما قال علماؤنا ــ: ان صوم كفارة اليمين ثلاثة ايام متتابعة، بقراءة ابن مسعود: «فصيام ثلاثة ايام متتابعات»، وقد كانت هذه قراءة مشهورة الى زمن ابى حنيفة، ولكن لم يوجد فيه النقل المتواتر الذى يثبت بمثله القرآن، وابن مسعود لايشك فى عدالته واتقانه، فلاوجه لذلك الاّ ان نقول: كان ذلك ممّا يتلى فى القرآن كما حفظه ابن مسعود، ثم انتسخت تلاوته فى

حياة الرسول(ص) بصرف الله القلوب عن حفظها الاّ قلب ابن مسعود ليكون الحكم باقيا بنقله، فان خبر الواحد موجب للعمل به، وقرائته لاتكون دون روايته، فكان بقاء هذا الحكم بعد نسخ التلاوة بهذا الطريق(١).

انظر الى هذا التمحّل الباهت والتأويل الغريب: ــ

اوّلا ــ كل ما ذكره بهذا الصدد لايعدو تخرّصا بالغيب من دون استناد الى شاهد او دليل قاطع، ومن ثم فهى محاولة عمياء تجاه امر واقع ــ فيما زعموا صحته ــ الامر الذى يشبه علاج القضية بعد الوقوع علاجا من غير جدوى.

ثانيا ــ اذا كانت القراءة مشهورة الى عهد متأخر فهى كسائر القراءات المشهورة عن اصحابها تصبح حجة ــ فى مصطلحهم ــ ولا يجب ثبوتها بالتواتر عن الرسول(ص) كما اسلفنا ان القراءات المعروفة ليست متواترة لاعن عهد الرسالة ولا عن اربابها ايضا. هذا مع كون القرآن بذاته متواترا وفق قراءة عامّة المسلمين.

ومن ثمّ فكلام الامام السرخسى بهذا الصدد يبدو متناقضا.

ثالثا ــ اسلفنا: ان الزيادات فى كلام السلف ولا سيما مثل ابن مسعود، انما كانت زيادات تفسيرية لاعن قصد أنّها من نصّ الوحى، وربّما اعتمدها بعض الفقهاء اعتبارا بفهم صحابى كبير، لابنقله كما وهمه هذا الامام.

رابعا ــ يقول تعالى:

مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْنُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا ...(٢)

ولانسخ فيما لايكون هناك ناسخ. وهكذا لانسخ فى غير الأحكام حسبما ذكرنا فى مجاله من شرائط النسخ (٣) اذن فلنتسائل: ماذا يكون الناسخ هنا، وكيف ينسخ لفظ الآية ويبقى حكمها مع الابد؟ وأىّ فائدة فى نسخ اللفظ حينذاك وهو سند الحكم

(١) اصول السرخسى ج ٢ ص ٨٠.

(٢) البقرة ١٠٦/٢.

(٣) فى الجزء الثانى من التمهيد ص ٢٧٠ فما بعد.

الذى يجب بقاؤه مادام الحكم باقيا؟. وهذا عُمدة الاشكال على هذه المزعومة. وسيأتى مزيد توضيح لهذا الاعتراض.

* * *

وقال ابن حزم الاندلسى ــ بعد تسلّمة صحة ما زعمه آية الرجم وانها سقطت فيما سقطت من سورة الأحزاب التى كانت تعدل سورة البقرة او أطول منها ــ: ولكنها نسخ لفظها وبقى حكمها، قال: وقد توهم قوم ان سقوط آية الرجم انّما كان لغير هذا، وظنّوا أنها تلفت بغير نسخ. لما روى عن عائشة، قالت: لقد نزلت آية الرجم والرضاعة فكانتا فى صحيفة تحت سريرى، فلما مات رسول الله (ص) تشاغلنا بموته فدخل داجن فأكلها.

قال: وهذا حديث صحيح وليس على ما ظنوا، لأنّ آية الرجم اذ نزلت حفظت وعرفت وعمل بها رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ الأ أنّه لم يكتبها نسّاخ القرآن فى المصاحف ولا اثبتوا لفظها فى القرآن. وقد سأله عمربن الخطاب ذلك فلم يجبه. فصح نسخ لفظها وبقيت الصحيفة التى كتبت فيها كما قالت عائشة، فاكلها الداجن ولا حاجة باحد اليها.

قال: فصحّ انّ الآيات التى ذهبت، لو أمر رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ بتبليغها لبلّغها، ولو بلّغها لحُفظت وما ضرّها موته، كما لم يضر موته كل ما بلّغ من القرآن. وان كان لم يبلغ أو بلّغه فأنسيه هو والناس اولم ينسوه لكن لم يأمر ــ عليه السلام ــ ان يكتب فى القرآن، فهو منسوخ بيقين، من عندالله تعالى، لايحل ان يضاف الى القرآن(١).

هذه جلّ محاولات القوم في توجيه منسوخ التلاوة دون الحكم.

غير ان اثر الوهن بادٍ عليها بوضوح: ــ

اوّلا ــ لاشك ان رجم المحصن حكم ثابت فى الشريعة وامر به رسول الله ــ ص ــ ولم يزل عليه اجماع الفقهاء فى القديم والحديث.

(١) المحلى ج ١١ ص ٢٣٥ ــ ٢٣٦.

اما انّ شريعة الرجم نزلت آيةً من القرآن، فهذا وهم وهمه ابن الخطاب، ولم يوافقه على هذا الرأى احد من الصحابة رغم اصراره عليه. وسيأتى شرحه.

يحدثنا زيد بن ثابت، يقول: سمعت رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ يقول: «اذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة». والمراد من الشيخ والشيخة هما الثيب والثيبة، كناية عن المتزوج والمتزوجة اى المحصن. فهذا حديث سمعه زيد عن رسول الله ــ ص ــ ولم يقل انه قرآن.

لكن ابن الخطاب زعمه وحيا قرآنيا، يقول: لما نزلت اتيت رسول الله ــ ص ــ فقلت: اكتبنيها. فلم يجبه رسول الله. قال راوى الحديث: كانه كره ذلك (١).

قلت: لعلّ رسول الله ــ ص ــ استغرب اقتراح عمر آنذاك الناشىء عن سوء تدبّره وعدم معرفته بمواضع الكتاب من السنة ومن ثم سكت تأنيباً له.

وأسوء منه ما فهمه ابن حزم من هذا الحادث، فحمل كراهته ــ صلّى الله عليه وآله ــ على عدم رغبته فى الثبت فى المصحف... واذا كان حكما قرآنيا ثابتا فى الشريعة، فلماذا لايثبت سنده فى الكتاب؟ الامر الذى تغافله ابن حزم! وحبّ الشىء يُعمى ويُصمّ!

ثانيا ــ لانسخ فى غير الاحكام ــ كما سلف ــ فضلا عن عدم فائدة متوخاة من وراء هذا النسخ غير المعقول، اذ ماهى الحكمة فى نسخ آية فيبقى حكمها ثابتا بلامستند مع الأبد. لولا انّه اختلاقٌ ألجأهم اليه ضيق الخناق.

لانّ اصحاب تلك المزعومة استدلوا لامكان المسألة بجانب الوقوع (٢) زاعمين صحة تلكم الروايات ومن ثمّ حاولوا علاجها بهذا الأسلوب الغريب. وقد كانت قواعد الفن تقضى برفض امثال تلكم الروايات التى تمسّ كرامة القرآن اوّلا. وتنا فى جانب ضرورة ثبوت القرآن فى جميع آيه بالتواتر دون اخبار الآحاد ثانيا. وقد قيل فى

(١) المحلى ج ١١ ص ٢٣٥.

(٢) راجع مناهل العرفان للزرقانى ج ٢ ص ٢١٥ــ ٢١٦.

المَثل: ثبّت العرش ثم انقش.

وقد تنبه لضحالة هذه المزعومة الغريبة بعض كتاب العصر، هو الاستاذ العريض، ناقما وناقدا لها نقدا حكيما. قال: وذهبت طائفة من العلماء الى انكار هذا النوع من النسخ وعدم وقوعه فى كتاب الله عزّوجلّ، لأنّه عيب لايليق بالشارع الحكيم، لأنّه من التصرفات التى لاتعقل لها فائدة، ولا حاجة اليها، وتنافى حكمة الحكيم.

قال: والحق يقال انّ هذا النوع من النسخ وان كان جائزا عقلا، ولكنه لم يقع فى كتاب الله عزّوجلّ. لأنّ هذه الروايات روايات آحاد، والقرآن الكريم لايثبت بروايات الآحاد مهما كانت مكانة قائلها. ولابدّ فيه من التواتر، كما اجمع عليه العلماء قديما و حديثا. ولو انّه صح ما قالوه لاشتهر بين الصحابة جميعا، ولحفظه كثير منهم أو كتبوه فى مصاحفهم. ولكن لم يرد شئ عن غير هؤلاء الرواة. فلايمكن القطع بأنّ هذه الآيات التى ذكروها كانت مسطورة فى عهد النبى ــ صلّى الله عليه وآله ــ وفى صحف كتاب الوحى ثم نسخت بعد ذلك ورفعت من المصحف ــ كما رواه بعض الصحابة ــ وبقى حكمها للعمل به. وايضا فانّ الحكم لم يثبت الاّ من طريق النص، فزوال النص مقتض لزوال الحكم، ولم يظهر لزوال النص وحده حكمة من عمل الحكيم، لأنّ الحكم مازال قائما لم ينسخ، فأىّ فائدة فى نسخ تلاوته؟.

قال: ولعل ما قاله سيدنا عمربن الخطاب: «انا كنا نقرأ فى كتاب الله ...» الكتب التى كان يحفظها هو وغيره، من باب المبالغة فى تشبيه الأحكام التى قالها الرسول بالآيات القرآنية، لانّ كلا من السنة الصحيحة والقرآن الكريم واجب الطاعة. وقد كان من الصحابة من يكتب الحديث ليحفظه حتى نهى الرسول ــ ص ــ عن كتابة ما ليس بقرآن، الاّ ما كان فى صحيفة على بن ابى طالب ــ كرم الله وجهه ــ وهنا نستطيع ان نقول: بأن هذه الآية التى قالها عمر، كانت احكاما حفظها عن الرسول بالفاظ الرسول (ص) والتعبير بانّها آية من كتاب الله مجاز، ولو كان ما قاله سيدنا عمر من باب الحقيقة لا المجاز... (١).

(١) فتح المنان فى نسخ القرآن للشيخ على حسن العريض مفتش الوعظ بالأزهر ص ٢٢٦ ــ ٢٢٤.

وعبارته الاخيرة لاتخلو من طرافة بل وظرافة فى التعبير ايضا، لانّه ايحاء الى وهم عمر بن الخطاب فى هذا الحادث الجلل، حيث اشتبه عليه طلاوة كلام الرسول (ص) بحلاوة كلامه تعالى فظنّ من احدهما الآخر، فبدلا من ان يشبه كلامه ــ ص ــ بكلام الله تعالى، وياخذه مجازا على سبيل الاستعارة، ابدى اشتباهه فى الأمر وظنّه حقيقة، وهو وهم فاحش لاسيما واصراره عليه حتى آخر ايام حياته.

* * *

واخيرا فقد تنبه ابن حزم ايضا لخطائه فى الدفاع الآنف، فحاول تلبيس الأمر بشكل آخر قال: ولعل المراد بكلمة «آية» فى قول سيدنا عمر، هو الحكم الشرعى، باعتبارانه (ص)

مٰا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ اِنْ هُوَ اِلاّٰ وَحْىٌ يُوحىٰ (١)

وليس مراده آية من نص الوحى القرآنى. قال فى كتابه «الأحكام» ما نصه: قد قال قوم فى آية الرجم انها لم تكن قرآنا، وفى آية الرضعات كذلك، ونحن لانأبى هذا، ولا نقطع انها كانت قرآنا متلوّاً فى الصلوات، ولكنّا نقول: انها كانت وحيا اوحاه الله الى نبيّه كما اوحى اليه من قرآن، فقرئ المتلوّ مكتوبا فى المصاحف والصلوات وقرئ سائر الوحى منقولا محفوظا معمولا به كسائر كلامه الذى هو وحى فقط (٢).

وقال فى باب الرضاع من المحلّى: قالوا: قال الراوى: فمات عليه الصلاة والسلام وهنّ ممّا يقرأ من القرآن، قول منكر وجرم فى القرآن، ولا يحل ان يجوّز احد سقوط شىء من القرآن بعد موت رسول الله (ص) فقلنا: ليس كما ظننتم، انّما معنى ذلك: انه مما يقرأ مع القرآن ومما يقرأ من القرآن الذى بطل ان يكتب فى المصاحف (٣). اى

(١) النّجم ٥٣/٤.

(٢) بنقل الأستاذ العريض ــ فتح المنان ص٢٢٦ ــ ٢٢٧.

(٣) نقلا بالمعنى. المحلى ج ١٠ ص١٦.

كان وحيا نظير القرآن غير انّه لم يكن ممّا يكتب فى المصحف.

اذن فقد رجع عن مسألة جواز نسخ التلاوة دون الحكم فى القرآن. ولا بدّ من الرجوع!

* * *

واليك تصريحات العلماء سلفا وخلفا فى انكار هذا النوع من النسخ:

قال صدر الشريعة فى كتابه «التوضيح»: منع بعض العلماء وجود المنسوخ تلاوة، لأنّ النسخ حكم والحكم بالنص، فلا انفكاك بينهما.

وفى كتاب «اللمع» فى اصول الفقه لابى اسحاق الشيرازى، وقالت طائفة: لايجوز نسخ التلاوة مع بقاء الحكم، لانّ الحكم تابع للتلاوة، فلايجوز ان يرفع الأصل ويبقى التابع.

وقال الشيخ محمد الخضرى فى كتابه «تاريخ التشريع الأسلامى»: لايجوز ان يرد النسخ على التلاوة دون الحكم. وقد منعه بعض المعتزلة واجازه الجمهور محتجين باخبار آحاد لايمكن ان تقوم برهانا على حصوله. وانا لا افهم معنى لآية انزلها الله تعالى لتفيد حكما ثمّ يرفعها مع بقاء حكمها. لانّ القرآن يقصد منه افادة الحكم والاعجاز بنظمه معا. فما هى المصلحة فى رفع آية منه مع بقاء حكمها! ان ذلك غيرمفهوم، وقد ارى أنّه ليس هناك ما يدعو الى القول به.

وقال الدكتور مصطفى زيد فى كتابه «النسخ فى القرآن الكريم»: ومن ثمّ يبقى «منسوخ التلاوة باق الحكم» مجرد فرض لم يتحقق فى واقعة واحدة، ولهذا نرفضه ونرى أنّه غير معقول ولا مقبول.

وقال الدكتور محمد سعاد: لانستطيع الاقتناع بصحة وجود المنسوخ تلاوة الثابت حكما، لأنّ صفة القرآنية لاتثبت لنص الاّ بدليل قطعى، والنسخ الوارد على القطعى لابدّ ان يكون قطعيا. فلابدّ لاثبات كون النصوص المذكورة قرآنا منسوخا، من دليلين قطعيين، احدهما دال على ثبوت القرآنية للنص، وثانيهما دال على زوال هذه الصفة، وواحدمن الدليلين لم يقم لواحد من تلك النصوص، فلايتم كونه قرآنا منسوخا. فلايصح عندنا فى موضع الخلاف الاّ القول بثبوت النسخ فى الحكم دون

التلاوة.

وفى تفسير الآلوسى: والقول بان ما ذكر انما يلزم منه نسخ التلاوة، فيجوز ان تكون التلاوة منسوخة مع بقاء الحكم ــ كآية الشيخ والشيخة ــ ليس بشىء لانّ بقاء الحكم بعد نسخ لفظه يحتاج الى دليل، والاّ فالأفضل ان نسخ الدال يرفع حكمه.

ونقل العريض عن بعضهم: ان الحق ان هذا النوع من النسخ غير جائز، لأنّ الآثار التى اعتمدوا عليها لاتنهض دليلا لهم، والآيتان (الرجم والرضاع) لاتسمحان بوجوده الاّ على تكلف، ولانّه يخالف المعقول والمنطق، ولأنّ مدلول النسخ وشروطه التى اشترطها العلماء فيه لاتتوافر، ولأنه يفتح ثغرة للطّاعين فى كتاب الله تعالى من اعداء الأسلام الذى يتربصون به الدوائر وينتهزون الفرصة لهدمه وتشكيك الناس فيه. والعجيب انّه قد وردت رواية عن عمر: ولولا ان يقال زاد عمر فى المصحف لكتبتها. فهذا الكلام يدل على ان لفظها موجود لم ينسخ، فكيف يقال انها مما نسخ لفظه وبقى حكمه، وهى موجودة ومسطرة ومحفوظة على قولهم. ولو كانت آية من القرآن وتحقق منها عمر لأثبتها من غير تردد ولا وجل.

وبعد ان نقل الاستاذ العريض هذه الكلمات، قال اخيرا: واميل الى هذا الرأى لأنّ الصواب فى جانبه. فالمنسوخ تلاوة الثابت حكما غير موجود فى كتاب الله تعالى. فالحق عدم جوازه(١).

قلت:

اَلْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ(٢)، وسُقِطَ فى اَيْديهِمْ وَرَأَوْا اَنَّهُمْ قَدْضَلُّوا ...(٣).

والحمدلله ربّ العالمين.

(١) فتح المنان ص ٢٢٣ــ ٢٣٠.
(٢) يوسف ١٢/ ٥١.
(٣) الأعراف ٧/ ١٤٩.

مسألة الإنساء:

ومزعومة اخرى تشابه اختها فى التعسف والإختلاق: قالوا: من الآيات ما نسيت من القلوب ولم يعد لها ذكر فى الصدور والاذهان.

وهذا نظير مسألة نسخ التلاوة التى مرّت آنفا، حاولوا بذلك علاج ما رويت لديهم من احاديث ــ زعموها صحاح الاسناد ــ تنم عن ضياع كثير من آيات القرآن بعد وفاة الرسول (ص).

فقد اخرج جلال الدين السيوطى باسناده الى عمر بن الخطاب، قال لعبد الرحمان بن عوف: ألم تجد فيما انزل علينا «ان جاهدوا كما جاهدتم اول مرّة» فانا لانجدها؟ قال ابن عوف: اسقطت فيما اسقط من القرآن.

وقال لأبى بن كعب: اوليس كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله «ان انتفاءكم من آبائكم كفر بكم»؟ فقال: بلى. ثم قال: اوليس كنا نقرأ «الولد للفراش وللعاهر الحجر» فيما فقدنا من كتاب الله؟ فقال أُبى: بلى.

ومن ثمّ كان عبدالله ابن عمر يقول: لايقولنّ احدكم قد اخذتُ القرآن كله، ما يدريه ما كلّه قد ذهب منه قرآن كثير... (١).

وقالت عائشه: كانت سورة الاحزاب تقرأ فى زمن النبى ــ صلّى الله عليه وآله ــ مأتى آية. فلمّا كتب عثمان المصاحف لم نقدر منها الاّ ما هو الآن (٢).

وقالت ــ فيما زعمته قرآنا بشأن الرضعات ــ: فتوفى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهنّ مما يقرأ من القرآن (٣) وامثال ذلك كثير.

فقد حاول القوم توجيه ذلك كلّه بانّها مما نسيت وذهب حفظها عن الصدور. ذكر ذلك جلال الدين السيوطى فى ذيل قوله تعالى: «اوننسها» عطفاً على

(١) الدرّ المنثور ج ١ ص١٠٦.

(٢) الاتقان للسيوطى ج ٢ ص ٤١ ــ ٤٠.

(٣) المحلى لابن حزم الاندلسى ج ١٠ ص١٦ ــ ١٤.

قوله: مٰا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ ...(١).

* * *

والنسخ والإنساء تعبيران عن معنى واحد، غير ان الأول يعنى رفع الشيء بعد ثبوته فى الأعيان والثانى ذهابه من الأذهان.

والآية الكريمة تعريض باهل الكتاب كانوا حاولوا التشكيك فى معتقدات المسلمين: ان دين الله لا يتبدل ولا يختلف فلا موضع لدين جديد!

فجاءت الآية ردّا لهذه الشبهة: ان المصالح تختلف مادامت حياة الانسان فى تطوّر مستمر، فالشريعة القديمة اذا نسخت بشريعة جديدة، فانما هى لمصالح مقتضية، والكل حسب الشرائط الراهنة علاج نافع او اتمّ.

وقوله: اوننسها... اى ذهبت معالمها عن صفحة الأذهان، بما تقادم عهدها وتمادّت مدتها، ولم يعد لها ذكر فى عالم الوجود.

* * *

والنسخ والانساء ظاهرتان دينيّتان، تخصّان عهد الوحى الممكن تبديل المنسوخ او المنسى بمثله او بأتمّ، امّا وبعد انقطاع الوحى بوفاة الرسول ــ صلّى الله عليه وآله ــ فلانسخ ولا انساء البتة، صرّح بذلك عامة أهل الأصول.

الامر الذى يجعل من القول بضياع شيء من القرآن أو اسقاطه بعد انقضاء عهد الرسالة قولا بالتحريف الباطل لامحالة، ومن ثم نتحاشاه قطعيا بلا ترديد.

(١) البقرة ٢/١٠٦.

ملخّص دلائلنا
على دحض شبهة التحريف

ما يأتي من عرض مباحثنا في فصول قادمة، هي تشكل اهم دلائلنا على ابطال مزعومة التحريف، فكان من اللازم ان نقدّم عليها خلاصة الاستنتاجات الآتية، فيعرف القارئ مدى صلة هذه الابحاث مع مسألة التحريف وتسلسلها الفنّي بلوغا الى النتيجة المتوخاة. ومن ثمّ فاليك خلاصة تلك الأبحاث في خطوات:

١ــ قال تعالى: **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.**[١] هذه الآية الكريمة ضمنت بقاء القرآن مع الخلود وسلامته عن تطرق الحدثان عبر الأجيال.

وهو ضمان إلهي لايختلف ولا يتخلّف، وعداً صادقا، **إِنَّ اللهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ.**[٢] وهذا هو مقتضى قاعدة اللطف «يجب على الله تعالى ــ وفق حكمته في التكليف ــ تمهيد ما يوجب تقريب العباد الى الطاعة وابتعادهم عن المعصية».

ولا شك انّ القرآن هو عماد الإسلام وسنده الباقي مع بقاء الإسلام، وهو خاتمة الأديان السماويّة الباقية مع الخلود. الأمر الذي يستدعي بقاء اساسه ودعامته قويمة مستحكمة لاتتزعزع ولا تنثلم مع عواصف احداث الزمان. واجدربه ان لايقع عُرضةً لتلاعب اهل البدع والأهواء، شأن كل سند وثيق يبقى ليكون حجة ثابتة مع

(١) الحجر ١٥/ ٩.
(٢) الرّعد ١٣/ ٣١.

مرّ الأجيال.

وهذا الضمان الألهى هو احد جوانب اعجاز هذا الكتاب، حيث بقاؤه سليما على ايدى الناس وبين اظهرهم، وليس فى السماء فى البيت المعمور فى حقائب مخبوءة وراء الستور. ليس هذا اعجازا، انما الاعجاز هو حفظه وحراسته فى معرض عام وعلى ملاء الأشهاد.

فمن سفه القول ما عساه يقول اهل التحريف: «انّه تعالى يحفظ القرآن فى الموضع الذى انزله فيه، كما كان محفوظا فى المحلّ الأعلى قبل نزوله، والقرآن انما نزل به جبرئيل على قلب سيد المرسلين ليكون من المنذرين، فمحلّه الذى انزله تعالى فيه ووعد حفظه، هو قلبه الشريف، لا الصحف والدفاتر ولا غير صدره (صلى الله عليه وآله) من الضمایر...» (١).

هذا وقد ذكر اهل التفسير ــ بشأن نزول الآية ــ: أنه ــ صلى الله عليه وآله ــ كان يخشى خوف تلاعب اهل الاهواء بالقرآن مِنْ بَعْده، كما فعلت بكتب الأنبياء السالفين. فنزلت الآية تُطَمْئِنُهُ على حفظه وحراسته عن تناوش الأعداء خلوداً مع الأبد(٢) وقرينة السياق ايضا شاهدة على هذا المعنى.

والخلاصة: انّ هذه الآية ضمان للرسول وعهد من الله على ان يبقى هذا القرآن سليما ومحفوظا عن تناوش الا يدى، سلامة دائمة وبقاء أمع بقاء الإسلام.

مضافا الى ان حكمة التكليف تقضى ايضا بهذا البقاء والسلامة الأبدية.

* * *

ونظير هذه الطَّمْأنة كثير فى آيات اخرى، منها: قوله تعالى:

فَاصْدَعْ بِمَا تُؤمَرُ، وَأعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، إنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِين (٣).

(١) راجع: فصل الخطاب للشيخ النورى ص ٣٦٠.

(٢) وقد اشار اليه المحدث النورى فى فصل الخطاب ص ٣٦١.

(٣) الحجر ١٥/٩٥ و٩٤.

كان ــ صلى الله عليه وآله ــ يخشى ممانعة اهل الكفر ومداخلتهم فى الأمر، فيحولوا دون تاثير دعوته المباركة، فنزلت تأمينا على بثّ الدعوة وانتشارها رغم انوف المناوئين. ولم يكن ــ صلى الله عليه وآله ــ يخاف على نفسه، انما على دعوته الى الأسلام من مناوشة جنود ابليس.

* ومنها: قوله:

يا ايّها الرّسولُ بلّغ ما أُنْزِلَ اِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَاِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ... (١)

لم يكن ــ صلى الله عليه وآله ــ يخشى على نفسه الكريمة، انما على تأثير بلاغه، فربما كان الابلاغ بالوصاية وتعيين ابن عمه على ــ عليه السلام ــ خليفةً واميراً للمؤمنين من بعده، ربما أثار ضغائن القوم فينقلبوا على اعقابهم مرتدين، فيهدر كل ما عمله لبناء الاسلام لحد ذاك.

ومن ثمّ جاءت الآية تؤمنه على كبت ذوى الاحقاد دون ان يستطيعوا من مقابلته بشيى. فالمراد: عصمة دينه وشريعته من الزعزعة والزوال.

* ومنها: قوله:

وَما اَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نبىّ اِلاّ اِذا تَمَنّىٰ اَلْقَى الشَّيْطانُ فى اُمْنِيَّته، فَيَنْسَخُ اللهُ ما يُلْقِى الشَّيْطانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آياتِهِ... (٢).

لم يكن الأنبياء ــ صلوات الله عليهم ــ يتمتّون سوى ثبات شرايعهم وسيطرتها على الآفاق ودوام حكومتها عبر التاريخ. ولكن انّى ودسائس أبالسة الجن والأنس، من الذين يسعون فى آياته معاجزين، لكن الحق ــ دائما ــ يعلو ولا يعلى عليه:

(١) المائدة ٥/ ٦٧.
(٢) الحج ٢٢/ ٥٢.

بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ...(١)

فينسخ الله ــ بلطفه الخفيّ ــ ما يلقى جنود ابليس. ثم يحكم مبانى شريعته، والله عليم حكيم.

وهذا تأمين عام، لثبات الدين ودوام تأثير شرايع الله فى الأرض.

* ومنها: قوله تعالى:

لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ، فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (٢).

كان ــ صلى الله عليه وآله ــ اذانزل عليه القرآن عجل بقرائته حرصاً منه على ضبطه وحفظه دون ان ينساه او يضيع عليه. وذلك كان قبل ان ينتهى الوحى ببقية الآية او السورة التى كانت تنزل تباعا. فنُهى (ص) عن هذا الاسراع وضُمن له الحفظ والبيان.

سَنُقْرِؤُكَ فَلَا تَنْسَى. إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ــ (٣).

* * *

نقل الفرّاء عن بعضهم، احتمال عود الضمير فى قوله تعالى: وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٤) الى محمد ــ صلى الله عليه وآله ــ عوداً الى معلوم بالحال. فيكون المعنى: وانا لمحمد لحافظون نظير قوله تعالى: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ. (٥) كما يحتمل

(١) المائدة/ ٦٧.
(٢) الانبياء ٢١/ ١٨.
(٣) القيامة ٧٥/ ١٩.
(٤) الاعلى ٨٧/ ٧ و ٦.
(٥) الحجر ١٥/ ٩.

ايضاعوده الى القرآن، لانّه الذكر المذكور قبله. والمعنى: وانا للقرآن لحافظون اى راعون(١).

وقد أخذ المخالف من هذا الاحتمال والترديد ذريعة لنقض الاستدلال بالآية على صيانة القرآن من التغيير والتبديل(٢).

لكن احتمال عود الضمير الى محمد ــ صلى الله عليه وآله ــ احتمال غريب لا مبرّر له بعد صلاحية اللفظ لتعيين مرجع الضمير. والفراء انما نقله نقلا، ولم يعتمده ولا وجّهه بتوجيه. وآية العصمة لاصلة لها بآية الحفظ، فضلا عما ذكرنا من رجوعها ايضا الى عصمة الشريعة وليس المقصود نفسه الكريمة بالذات.

نعم احتمل المخالف ان يكون المراد من الذكر هو الرسول ــ ص ــ كما فى قوله تعالى:

قَدْ أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ... (٣).

واطلاق الذكر على النبى ــ ص ــ لكونه مُذكِّراً!

غير ان المفسرين ذكروا فى توجيه هذه الآية، انه من تقدير المحذوف اى وارسلنا رسولا... اذ لوكان الرسول بيانا للذكر، لما تناسب مع التعبير بالإنزال.

هذا فضلا عن ان آية الحفظ مسبوقة بقوله تعالى:

«وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ(٤).

(١) وهذا لفظه فى كتابه (معانى القرآن) ج ٢ ص ٨٥: «يقال انّ الهاء التى فى «له» يراد بها القرآن. حافظون اى راعون. ويقال: ان الهاء لمحمد ــ ص ــ وانا لمحمد لحافظون». هذا كلامه على اجماله نقلناه هنا مع شئ من التوضيح.

(٢) فصل الخطاب ص ٣٦٠.

(٣) الطلاق ٦٥/ ١١.

(٤) الحجر ١٥/ ٦.

وهى تصلح قرينة على تعيين مراده تعالى من الذكر فى آية الحفظ بعدها، ولا دليل على ارادة خلاف هذا الظاهر(١).

٢ــ وقال تعالى:

وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ(٢).

هذه الآية اصرح دلالة من الآية الأولى. فقد وعد تعالى صيانة القرآن من الضياع وسلامته من حوادث الأزمان، مصوناً محفوظاً يشقّ طريقه الى الأمام بسلام.

قوله: **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ...** الباطل: الفاسد الضايع. أى لا يعرضه فساد او نقص لا فى حاضره ولا في مستقبل الايام. وذلك لأنه «تنزيل من لدن حكيم»: لإن حكمته تعالى لتبعث عل ضمان حفظه و حراسته مع ابدية الاسلام. «حميد»: من كان محموداً على فعاله، فلا يخلف الميعاد.

ويسبق هذه الآية قوله تعالى:

وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ(٣)

قرينة على انه ــ صلى الله عليه وآله ــ كانت تتضورّ نفسه الكريمة تلهفاً على امكان ابطال شريعته على يد اهل الفساد، إما فى حياته او بعد وفاته،

أَفَإِنْ مَاتَ أَوْقُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ. وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ

(١) راجع: البيان لسيدنا الأستاذ دام ظله ص ٢٢٦.
(٢) فصلت ٤١/ ٤٢.
(٣) فصلت ٤١/ ٣٦.

فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً... (١).

وفى هذه الآية ايضا تلميح الى بقاء هذا الدين وضمان سلامته عن كيد الأعداء.

* * *

وقد اعترف الخصم بأن مطلق التغيير فى القرآن يعدّ باطلا وتنافيا مع ظاهر الآية الكريمة... قال: سوى انّ المقصود غير هذا المعنى: قال: لانّ المقصود هو البطلان الحاصل من تناقض أحكامه وتكاذب أخباره (٢).

قلت: لعلّه لم يتنبه لموضع قوله تعالى: لا يَأتِيهِ الْبَاطِلُ.... والباطل الذى يمكن اتيانه للكتاب هو تناول يد المحرّفين، الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرآنَ عِضِينَ (٣).

امّا التناقض والتكاذب فى احكامه واخباراته، فهو من الباطل المنبعث من الداخل، وقد نفاه تعالى ايضا بقوله:

وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ إِخْتِلافاً كَثِيراً. (٤).

ومن ثمّ اطبق المفسرون على ان الآية هى من اصرح الآيات على نفى احتمال التحريف، فلاتناله يد مُغيّرٍ أبدا.

٣ــ ضرورة تواتر القرآن

من الدلائل ذوات الشأن الداحضة لشبهة التحريف هى مسألة «ضرورة كون

(١) آل عمران ٣/١٤٤.
(٢) فصل الخطاب ص ٣٦١.
(٣) الحجر ١٥/ ٩١.
(٤) النساء ٤/ ٨٢.

القرآن متواترا» فى مجموعه وفى ابعاضه، فى سوره و آيه، حتى فى جُمَله التركيبية وفى كلماته وحروفه، بل وحتى فى قرائته وهجائه ــ على ما اسلفنا فى بحث القراءات ــ وقلنا: ان الصحيح من القراءات هى القراءة المشهورة التى عليها جمهور المسلمين، وقد انطبقت على قراءة عاصم برواية حفص.

واذا كان من الضرورى لثبوت قرآنيّة كل حرف وكلمة ولفظ، ان يثبت تواتره منذ عهد الرسالة فإلى مطاوى القرون وفى جميع الطبقات، فان هذا مما يرفض احتمال التحريف نهائيا، لانّ ما قيل بسقوطه وأنّه كان قرآنا يتلى، انما نقل الينا بخبر الواحد، وهو غير حجة فى هذا الباب، حتى ولو فرض صحة اسناده.

اذن فكل ما ورد بهذا الشأن ــ بما انه خبر واحد ــ مرفوض ومردود على قائله.

وهكذا استدل آية الله جمال الدين ابومنصور الحسن بن يوسف ابن المطهّر العلامة الحلى (٧٢٦) فى كتابه «نهاية الوصول الى علم الأصول».

قال ــ رحمه الله ــ: «اتفقوا على ان ما نقل الينا متواترا من القرآن فهو حجّة ــ واستدلّ بانّه سند النبوة ومعجزتها الخالدة فما لم يبلغ حدّ التواتر لم يمكن حصول القطع بالنبوة قال: وحينئذ لايمكن التوافق على نقل ما سمعوه منه ــ على فرض الصحة ــ بغير تواتر، والرواى الواحد ان ذكره على انّه قرآن فهو خطأ، وان لم يذكره على انّه قرآن كان مترددا بين ان يكون خبرا عن النبى (ص) او مذهبا له، فلايكون حجّة. وقد قام اجماعنا على وجوب القائه (ص) على عدد التواتر، فانّه المعجزة الدالة على صدقه، فلو لم يبلغه الى حد التواتر انقطعت معجزته فلايبقى هناك حجّة على نبوته...» (١).

وعلى غراره سائر المحققين من علماء الأصول. كالسيّد المجاهد، محمد بن على الطباطبائى يقول ــ فى كتابه «وسائل الأصول» ــ: لا خلاف ان كل ما هومن القرآن يجب ان يكون متواترا فى اصله واجزائه، لانّ العادة تقضى بالتواتر فى تفاصيل امثاله. والقرآن هو المعجز العظيم الذى هو اصل الدين القويم، فالدواعى متوفرّة على نقل جمله

(١) البرهان للبروجردى ص ١١١.

وتفاصيله. فما نقل آحادا ولم يتواتر، يقطع بانه ليس من القرآن حتميّا(١).

والفقيه المحقق المولى احمد الأردبيلى (٩٩٣) ــ فى شرح الارشاد ــ قال: «بل يفهم من بعض كتب الأصول ان تجويز قرائة ما ليس بمعلوم كونه قرآنا، فسق، بل كفر. فكل ما ليس بمعلوم انه يقينا قرآن، منفى كونه قرآنا يقينا... فقال بوجوب العلم بما يقرأ قرآنا انّه قرآن. فينبغى لمن يجزم انه يقرأ قرآنا، تحصيله من التواتر، فلابدّ من العلم.

ثمّ قال: ولما ثبت تواتره فهو مأمون من الإختلال، مع انّه مضبوط فى الكتب، حتى انّه معدود حرفا حرفا وحركة حركة، وكذا طريق الكتابة وغيرها، مما يفيد الظنّ الغالب بل العلم بعدم الزيادة على ذلك والنقص...(٢).

والمحقق المتتبع السيد محمد الجواد العاملى ــ بعد نقله كلمات الاعلام بهذا الشأن ــ قال: «والعادة تقضى بالتواتر فى تفاصيل القرآن من اجزائه والفاظه وحركاته وسكناته ووضعه فى محله، لتوفر الدواعى على نقله، لكونه اصلا لجميع الأحكام ولكونه معجزا. فلايعبأ بخلاف من خالف او شك فى المقام» (٣).

وكلمات الاعلام هنا كثيرة نقتصر على هذا المقدار خوف الاطالة،

٤ــ العرض على كتاب الله

وايضا من الدلائل على ردّ شبهة التحريف، هى مسألة عرض الأحاديث على كتاب الله، فما وافق فهو صادق، وما خالف فهو كاذب. قال الصادق ــ عليه السلام ــ: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ: ان على كل حقّ حقيقة وعلى كل صواب نور. فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه(٤).

(١) بنقل صاحب الكشف. البرهان ص ١٢٠ــ ١٢١.

(٢) مجمع الفائدة ج ٢ ص ٢١٨.

(٣) مفتاح الكرامة ج ٢ ص ٣٩٠.

(٤) الكافى الشريف ج ١ ص ٦٩ باب الأخذ بالسّنة وشواهد الكتاب.

الأمر الذى يتنافى تماما مع احتمال التحريف فى كتاب الله، وذلك من جهتين: ــ الجهة الأولى ــ ان المعروض عليه يجب ان يكون مقطوعا به، لأنه المقياس الفارق بين الحق والباطل ولا موضع للشك فى نفس المقياس.

اذن فلو عرضت روايات التحريف على نفس ما قيل بسقوطه، لتكون موافقة له، فهذا عرض على المقياس المشكوك فيه، وهو دور باطل، وان عرضت على غيره فهى تخالفه، حيث قوله تعالى: لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقوله: انّا نحن نزّلنا الذّكر وانّا له لحافظون.

الجهة الثانية ــ ان العرض لابدّ ان يكون على هذا الموجود المتواتر لدى عامة المسلمين، لما ذكرنا ــ فى الجهة الأولى ــ من ان المقياس لابدّ ان يكون متواترا مقطوعا به. وروايات التحريف اذا عرضت على هذا الموجود بايدينا كانت مخالفة له، لأنّها تنفى سلامة هذا الموجود وتدلّ على انه ليس ذلك الكتاب النازل على رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ وهذا تكذيب صريح للكتاب ومخالفة عارمة مع القرآن.

هكذا استدل المحقق الثانى قاضى القضاة نورالدين على بن عبدالعالى الكركى (٩٤٠) فى رسالة وضعها للردّ على احتمال النقيصة فى القرآن. قال فيها: «الحديث اذا جاء على خلاف الدليل القاطع من الكتاب والسنة المتواترة والإجماع، ولم يمكن تأويله وجب طرحه. قال وعلى هذه الضابطة اجماع علمائنا. ثمّ قال: ولا يجوز ان يكون المراد بالكتاب المعروض عليه، غير هذا المتواتر الذى بايدينا وايدى الناس، والاّ لزم التكليف بما لايطاق. فقد ثبت وجوب عرض الأخبار على هذا الكتاب. واخبار النقيصة اذاعرضت عليه كانت مخالفة له، لدلالتها على انه ليس هو، واىّ تكذيب يكون اشد من هذا؟!» (١).

ومثله السيد محمد مهدى الطباطبائى، بحر العلوم، (١١٥٥) فى كتابه «فوائد الأصول» قال ــ بشأن حجية الكتاب ــ: «وقد اطبق جماهير العلماء منذ عهد الرسالة الى يومنا هذا على الرجوع الى الكتاب العزيز والتمسك بمحكم آياته فى الأصول

(١) بنقل السيد شارح الوافية. انظر: البرهان ص١١٦ ــ ١١٧.

والفروع، بل اوجبوا عرض الأحاديث عليه ــ كما ورد فى متواتر النصوص ــ (ان لكل حق حقيقة وعلى كل صواب نورا. فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فذروه). قال: والمعتبر فى الحجية ما تواتر اصلاً وقراءة. ولا عبرة بالشواذ، وليست كأخبار الآحاد، لخروجها عن كونها قرآنا، لانّ من شرطه التواتر، بخلاف الخبر...(١).

* * *

لكن زعم المحدث النورى ان لامنافاة بين اخبار العرض، ووقوع التحريف فى القرآن! قال: لانّ الأمر بالعرض على كتاب الله صدر من رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ حال حياته. امّا وقوع السقط والتبديل فانما حصل بعد وفاته. قال: ان ما ورد عنه ــ صلى الله عليه وآله ــ فى ذلك لاينافى ما ورد فى التغيير بعده. وقال ايضا: ان ما جاء من ذلك عن النبى (ص) فهو اقلّ قليل، ولا منافاة بينه وبين ورود التحريف عليه بعده، وعدم التمكن من امتثال امره ــ صلى الله عليه وآله ــ (٢).

وهذا كلام غريب، اذ احاديث العرض لايختص صدورُها عن الرسول (ص) بل نطق بها دستوراً عاماً ــ ايضاً ــ الأئمةُ المعصومون بعده.

ثمّ ان النبى (ص) انما قال ذلك خشية وفور الكذّابة بعده، فبيّن للأمة على طول الدهر معياراً يقيسون عليه السليم من السقيم من الأحاديث المنسوبة اليه.

٥ ــ مسألة الأعجاز

مما يتنافى واحتمال التحريف فى كتاب الله، هى مسألة الاعجاز المتحدّى به. وقد اعتبره العلماء من اكبر الدلائل على نفى التحريف: ــ

اما احتمال الزيادة، كما احتمله اصحاب ابن عجرد من الخوارج، قالوا

(١) بنقل البروجردى فى البرهان ص ١١٨ ــ ١٢٠.

(٢) فصل الخطاب ص ٣٦٣ و ٣٦٢.

بزيادة سورة يوسف فى القرآن، لانّها قصة عشق ولا يجوز ان تكون وحيا(١). وكما زعمه ابن مسعود بشأن سورتى المعوذتين، كان يحكّهما من المصحف ويقول: انهما عوذتان وليستا من القرآن(٢). فهذا كلّه احتمال باطل، اذ يستدعى ذلك، ان يكون باستطاعة البشرية ان تقوم بانشاء سورة كاملة تماثل سُوَر القرآن تماما. وقد قال تعالى:

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلىٰ اَنْ يَاْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَاْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً. (٣)

وقال:

اَمْ يَقُولُونَ افْتَرٰاهُ قُلْ فَاْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ... (٤)

وقال:

اَمْ يَقُولُونَ افْتَرٰاهُ قُلْ فَاْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ... (٥)

وقال:

وَاِنْ كُنْتُمْ فى رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنا عَلىٰ عَبْدِنا فَاْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِه... (٦)

(١) الملل والنحل للشهرستانى ج ١ ص ١٢٨.
(٢) فتح البارى لابن حجر ج ٨ ص ٥٧١.
(٣) الاسراء ١٧/٨٨.
(٤) هود ١١/١٣.
(٥) يونس ١٠/٣٨.
(٦) البقرة ٢/٢٣.

فهذا التحدى الصارخ يبطل دعوى كل زيادة فى سور القرآن وآياته الكريمة.

وكذا احتمال التبديل، فان المتبدَّل لايكون من كلامة تعالى، وانما هو من كلام مبدّله، والكلام انما يسند إلى قائله اذا كانت مجموع الكلمات مستندةً اليه لا البعض دون البعض، اذن فاحتمال التبديل ولو من بعض كلمات القرآن يبطل اسناد مجموع الكتاب اليه سبحانه وتعالى.

ومن ذلك تعلم فساد مازعمه الشيخُ النورى ومن قبله السيدُ الجزائرى، ومن لفّ لفهما بشأن كثير من كلمات قرآنية: انّها متبدلات عما جاء فى كلامه تعالى. زعموا من قوله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ...[1] انها متبدّلة من «كنتم خير أئمة...» (٢).

وزعموا من قوله: فَلَمَّا خَرَّتَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ...(٣) انها متبدّلة من: فَلَمّا خرّ تبينت الانس ان لو كانت الجن يعلمون الغيب.

ومن قوله: وَفِيهِ يَعْصِرُونَ...(٤) بفتح ياء المضارعة ــ انها متبدلة من «يُعصرون...» بضم الياء بمعنى الإمطار.

وقوله: أُمَّةً وَسَطاً... (٥) انها كانت «ائمة وسطا...».

وقوله: يا لَيْتَنِى كُنْتُ تُراباً (٦) انها كانت «كنت ترابيا...».

قالوا: ومثل هذا كثير... (٧).

كل ذلك باطل، لانّه ورد بخبر واحد، وهو غير حجة فى باب القطعيات.

وهكذا التبديل الموضعى يخلّ بنظم الكلام المبتنى عليه الاعجاز نظما واسلوبا.

(١) آل عمران ٣/ ١١٠.

(٢) منبع الحياة للجزائرى ص ٦٧.

(٣) سبأ ٣٤/ ١٤.

(٤) يوسف ١٢/ ٤٩.

(٥) البقرة ٢/ ١٤٣.

(٦) الانبياء ٧٨/ ٤٠.

(٧) راجع فيما نسبوه الى النعمانى، البحار ج ٩٠ ص٢٦ــ ٢٧ ط بيروت مؤسسة الوفاء.

قالوا ــ فى قوله تعالى:

أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَاماً وَرَحْمَةً... (١)

انها متغيرّة من «ويتلوه شاهد منه اماما ورحمة ومن قبله كتاب موسى» قالوا: تقدم حرف على حرف فذهب معنى الآية (٢) حسب زعمهم... ــ

ومثله النقص باسقاط كلمة او كلمات ضمن جملة واحدة، انها اذا كانت منتظمة فى اسلوب بلاغى بديع، فان حذف كلمات منها سوف يُؤدّى الى اخلال فى نظمها ويذهب بروعتها الأولى ولا يدع مجالا للتحدى بها.

الأمر الذى غفل عنه زاعموا التحريف فجنوا جنايتهم بشأن قداسة القرآن الكريم:

زعموا اسقاط اسم الإمام اميرالمؤمنين ــ عليه السلام ــ من مواضع من القرآن، ذهولا عن انه لو اثبتناه فى تلك المواضع لذهب عنها تلك الروعة الراهنة. فى حين عدم الحاجة الى ذكر الاسم، وانما هوبيان شأن النزول لاغير.

قالوا ــ فى قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ... (٣)

:ان اسم على اسقط من قوله «انزل اليك فى على» (٤)

وسنأتى على مزاعم من هذا القبيل فى فصل قادم.

(١) هود ١١/١٧.

(٢) البحارج ٩٠ ص ٢٦ ــ ٢٧.

(٣) المائدة ٥/٦٧.

(٤) منبع الحياة للسيد نعمة الله الجزائرى ص ٦٧.

واسخف مزعومة زعمها هؤلاء هى سقط اكثر من ثلث القرآن ــ اى ما يزيد على الفى آية ــ من خلال آية واحدة. هى آية القسط فى اليتامى، زعموا عدم تناسبها مع ذيلها فى جواز نكاح النساء، مَثْنىٰ وَثُلاثَ وَرُباعَ (١). فهناك زعموا سقطا كثيرا فيما بين الجملتين! (٢) هكذا ــ وبهذه العقلية الهزيلة ــ حاولوا توجيه نظم الآية الموجود!.

وخلاصة القول: ان زعم التحريف سواء بالزيادة او النقص ام بالتبديل، يتنافى وموضع القرآن البلاغى المعجز، تنافياً بيّناً.

٦ــ تصريح ائمة الهدى

واخيراً ماورد فى لسان ائمة اهل البيت ــ وهم ادرى بما فى البيت ــ تصريحاً او تلويحاً او تقريراً، أنّه لم ينله مسّ سوء، وان نالته الايدى الأثيمة تأويلاً او تفسيراً بغير حق...

منها: ما جاء فى رسالة ابى جعفر الامام محمد بن على الباقر ــ عليه السلام ـ الى سعد الخير: «وكان من نبذهم الكتاب، ان اقاموا حروفه، وحرّفوا حدوده...» (٣) فقد جَدَّ جِدُّهم في اقامة حروفه والمحافظة على نصّه صحيحاً سليماً عن الخلل والضياع وان حاولوا قصارى جهدهم في تأويل معناه وتحوير محتواه... ولكن من غير جدوى... «ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون».

ويشهد لارادة هذا المعنى ما جاء فى تعقيب ذلك: «فهم يروونه ولا يرعونه، والجهال يعجبهم حفظهم للرواية والعلماء بجزنهم تركهم للرعاية، وكان من نبذهم الكتاب ان ولّوه الذين لا يعلمون! فأوردوهم الهوى، واصدروهم الى الرّدى، وغيّروا عُرى الدين، ثم اورثوه فى السفه والصبا...».

ومنها: ما صحّ عن ابى بصير قال: سألت ابا عبدالله الامام جعفر بن محمد

(١) النساء ٤/٣.

(٢) منبع الحياة ص ٦٦.

(٣) رواها ثقة الاسلام اللكينى باسناد صحيح فى روضة الكافى (ج ٨ ص ٥٣ رقم ١٦).

الصادق ــ عليه السلام ــ عن قوله تعالى: « اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامرمنكم...» وما يقوله الناس: ما باله لم يسمّ علياً واهل بيته.؟ قال: إنّ رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ نزلت عليه الصلاة ولم يسمّ لهم ثلاثاً ولا اربعاً، حتى كان رسول الله، ص ــ هوالذى فسّر لهم ذلك ...(١) . فقد قرّر عليه السلام انه لم يأت ذكرهم فى الكتاب نصاً، وان كانوا هم المراد جداً... وغير ذلك من روايات... وسياتى مزيد توضيح لذلك فى مجاله المناسب الآتى، ان شاء الله.

ومنها: ما رواه جابر عن الامام محمد بن على الباقر عليه السّلام ـ قال: اذا قال قائم آل محمد ــ صلى الله عليه وآله ــ ضرب فسا طيط لمن يُعلّم الناس القرآن، على ما انزل الله ــ جلّ جلالُه ــ فأصعب ما يكون على من حفظ اليوم، لانه يخالف التأليف..(٢)

فكانت صعوبة مصحفنا ذلك الحين، انما هى من جهة مخالفة ترتيبه مع ترتيب المصحف الذى يخرجه الامام ــ عجلّ الله فرجه الشريف ــ الى النّاس.. وليست مخالفة سواها.. اذن فماذا يقوله اهل القول بالتحريف؟!

(١) اصول الكافى ج ١ ص ٢٨٦.

(٢) الارشاد للمفيد ص ٣٦٥. والبحار ج ٥٢ ص ٣٣٩ رقم ٨٥.

تصريحات أعلام الطائفة

وإليك الآن تصريحات من المع وجوه الطائفة، ممن دارت عليهم رحى الاعتبار، وكانوا قدوة التحقيق وأسوة النقد والإختيار، فكانت اقوالهم بالذات حجة وآراؤهم بالخصوص سند القبول. وقد اجمعوا بلا استثناء على رفض احتمال التحريف فى كتاب الله المجيد، حتى جعله مثل الصدوق ــ وهو المضطلع بآثار المعصومين عليهم السلام ــ من اصول معتقدات الشيعة الإمامية(١) وصرح المولى ابوالقاسم الجيلانى (١٢٣١) صاحب قوانين الأصول بان جمهور المجتهدين على عدم التحريف(٢). وهكذا الامام كاشف الغطاء (١٣٧٣) قال: عليه اجماع الشيعه الاماميّة(٣).

اذن فلاعبرة بما لهجت به فئة شاذة، من القول بالتحريف قولا بلاعلم ودعوى بلابرهان، ولا يؤخذ من سفاسفهم حجة على المذهب الحنيف.

قال الشهيد السعيد السيد نورالله التسترى (١٠١٩)(٤) «ما نسب الى الشيعة الإمامية من القول بالتحريف، ليس مما قاله جمهور الاماميّة، وانما قاله شرذمة قليلة لا

(١) سياتى نقل كلامه.

(٢) البرهان للبروجردى ص ١١٢.

(٣) اصل الشيعة واصولها ص ١١٣.

(٤) وقد اعترف السيد الجزائرى بامامته وتبحره فى العلوم والمعارف الإسلامية (الروضات ج٦ ص١٧). ومع ذلك نراه قد خالفه وترأس الفئة الشاذة (الشرذمة من الأمة) القائلة بالتحريف، كما يأتى.

لا اعتداد بهم فى جماعة الشيعة» (١).

ولأعلام التحقيق من اهل السنة ايضا شهادات ضافية بهذا الشأن ونزاهة موقف علماء الإمامية عن القول بالتحريف، نعرضها فى ختام هذ العقد.

وبعد... فاليكم نماذج من تصريحات اعلامنا تكشف من رأى الطائفة وعن عقيدتها بشأن القرآن: ــ

١ــ شيخ المحدثين ابوجعفر محمد بن على بن الحسين الصدوق (٣٨١).

قال ــ فى رسالته التى وضعها لبيان معتقدات الشيعة الاماميّة حسب ما وصل اليه من النظر والتمحيص ــ: «اعتقادنا انّ القرآن الذى انزله الله تعالى على نبيّه محمد ــ صلى الله عليه وآله ــ هو ما بين الدفّتين. وهو ما فى ايدى الناس ليس باكثر من ذلك. وعدد سوره على المعروف (١١٤) سورة. وعندنا تعدّ و«الضحى» و«الم نشرح» سورة واحدة. وكذا «لإيلاف» و«الم تركيف».

قال: «ومن نسب الينا انا نقول انه اكثر من ذلك فهو كاذب...».

ثم اخذ فى الإستدلال على ذلك بما روى من ثواب قراءة كل سورة، وثواب ختم القرآن. والنهى عن القِران بين السورتين. والنهى عن ختم القرآن فى اقل من ثلاثة ايام... قال: كل ذلك تصديق لما قلناه.

وقال ــ بشأن ما روى انّ القرآن سبع عشرة الف آية ــ: «انه يمكن من خلط سائر الوحى بالقرآن المعجز، بمعنى انه قد نزل من الوحى الذى ليس بقرآن، ما لوجمع الى القرآن، لكان مبلغه مقدار كذا. وهذا نظير ما اوحى الله الى نبيّه المعروف عندنا بالحديث القدسى.. واخذ فى سرد امثلة من ذلك، ثم قال: ومثل هذا كثير، كله وحى، ليس بقرآن. اذ لو كان قرآنا لقرن به موصولا لامفصولا، كما قال اميرالمؤمنين ــ على السلام ــ لما جمعه وجاء به اليهم: هذا كتاب ربكم كما انزل على نبيكم، لم يزد فيه حرف ولم ينقص منه حرف. فقالوا: لاحاجة لنافيه، عندنا مثل

(١) آلاء الرحمان ج ١ ص ٢٥ــ ٢٦ عن كتابه «مصائب النواصب»، وراجع الفصول المهمة للسيد شرف الدين ص ١٦٥ نقلا عن الشيخ رحمة الله الدهلوى فى كتابه اظهار الحق ج ٢ ص ٨٩.

الذى عندك ...

... وقال الصادق عليه السلام ـ: القرآن واحد نزل من عند واحد على نبى واحد وانما الإختلاف من جهة الرواة...» (١).

٢ـ عميد الطائفة، محمد بن محمد بن النعمان المفيد (٤١٣).

قال ـ فى كتابه الفذّ« اوائل المقالات» الذى وضعه لبيان اصول المسائل الاسلامية فيما تفترق فيه الشيعة الإماميّة عن غيرهم من اهل العدل ـ: «وقد قال جماعة من اهل الإمامة: انه لم ينقص من كلمة ولا من آية ولا من سورة. ولكن حذف ما كان مُثبتاً فى مصحف امير المؤمنين ـ عليه السلام ـ من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله، وذلك كان ثابتا منزلا وان لم يكن من جملة كلام الله تعالى الذى هو القرآن المعجز. وقد يسمّى تأويل القرآن قرآنا...»

قال: «وعندى ان هذا القول اشبه من مقال من ادعى نقصان كلم من نفس القرآن على الحقيقة دون التأويل، واليه اميل».

قال: «واما الزيادة فيه فمقطوع على فسادها ـ ان اريد بالزيادة زيادة سورة على حدّ يلتبس على الفصحاء. فانه متناف مع تحدى القرآن بذلك ـ.

وان اريد زيادة كلمة اوكلمتين او حرف او حرفين. ولست اقطع على كون ذلك، بل اميل الى عدمه وسلامة القرآن عنه. قال: ومعنى بذلك حديث عن الصادق جعفر بن محمد ـ عليه السلام» (٢).

وقال فى اجوبة المسائل السروية: «فان قال قائل: كيف يصح القول بأن الذى بين الدفّتين هو كلام الله تعالى على الحقيقة من غير زيادة ولا نقصان، وانتم تروون عن الأئمة ـ عليهم السلام ـ أنهم قرأوا« كنتم خير ائمة اخرجت للناس». «وكذلك جعلناكم ائمة وسطا» وقرأوا «يسألونك الأنفال». وهذا بخلاف ما فى

(١) كتاب «اعتقادات الإمامية» المطبوع مع شرح الباب الحاد يعشر ص٩٣ ـ ٩٤ وسنبحث عن حديث السبعة عشر الف. وانّه من خطاء النسخة. والصحيح ما اثبته الوافى ص٢٧٤ ج ٢: «سبعة آلاف آية» عددا تقريبيا يتوافق مع الواقع نوعا ما.

(٢) اوائل المقالات ص ٥٤ ـ ٥٦.

المصحف الذى فى ايدى الناس؟.

قيل له: قد مضى الجواب عن هذا، وهو: ان الأخبار التى جاءت بذلك أخبار آحاد لايقطع على الله تعالى بصحّتها، فلذلك وقفنا فيها ولم نعدل عما فى المصحف الظاهر، على ما امرنا به حسب ما بيّناه. مع انه لا ينكرأن تأتى القراءة على وجهين منزلين احدهما ما تضمنه المصحف، والثانى ما جاء به الخبر، كما يعترف به مخالفونا من نزول القرآن على وجوه شتى» (١).

٣ــ الشريف المرتضى على بن الحسين علم الهدى (٤٣٦).

قال ــ فى رسالته الجوابية الأولى عن المسائل الطرابلسيات: ــ

«ان العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة واشعار العرب المسطورة. فان العناية اشتدت والدواعى توفّرت على نقله وحراسته. وبلغت الى حد لم يبلغه فيما ذكرناه، لان القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعيّة والاحكام الدينية. وعلماء المسلمين قد بلغوا فى حفظه وحمايته الغاية، حتى عرفوا كل شيىء اختلف فيه من اعرابه وقرائته وحروفه وآياته، فكيف يجوز ان يكون مغيّرا ومنقوصا، مع العناية الصادقة والضبط الشديد!

وقال ــ ايضا ــ: ان العلم بتفصيل القرآن وابعاضه، فى صحة نقله، كالعلم بجملته، وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة، ككتاب سيبويه والمزنى. فان اهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلها ما يعلمونه من جملتها حتى لوان مدخلا ادخل فى كتاب سيبويه بابا فى النحو ليس من الكتاب لعرف وميّز وعلم انه ملحق وليس من اصل الكتاب. وكذلك القول فى كتاب المزنى. ومعلوم ان العناية بنقل القرآن وضبطه اصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء.

وذكر ــ اخيرا ــ: ان من خالف فى ذلك من الامامية والحشوية، لايعتدّ بخلافهم، فانّ الخلاف فى ذلك مضاف الى قوم من اصحاب الحديث نقلوا اخبارا

(١) بنقل العلامة المجلسى ــ بحار الأنوار ــ كتاب القرآن ــ ج ٨٩ ص ٧٥ ط بيروت.

ضعيفة ظنوا صحتها، لايرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته» (١).

٤ ــ شيخ الطائفة ابوجعفر محمد بن الحسن الطوسى (٤٦٠).

يقول ــ فى مقدمة تفسيره الاثرى الخالد «التبيان» ــ: «واما الكلام فى زيادته ونقصانه فمما لايليق بهذا الكتاب المقصود منه العلم بمعانى القرآن. لأنّ الزيادة منه مجمع على بطلانها. والنقصان منه، فالظاهر ايضا من مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا. وهو الذى نصره المرتضى. وهو الظاهر فى الروايات. غير انه رويت روايات كثيرة من جهة الخاصة والعامة بنقصان كثير من آى القرآن ونقل شيىء منه من موضع الى موضع. طريقها الآحاد التى لا توجب علما ولا عملا، والأولى الاعراض عنها، وترك التشاغل بها، لانّه يمكن تأويلها...» (٢).

٥ ــ وهكذا قال ابوعلى الفضل بن الحسن الطبرسى (٥٤٨) ــ فى مقدمة التفسير ــ قال: «والكلام فى زيادة القرآن ونقصانه، مما لايليق بالتفسير. اما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه. واما النقصان منه فقد روى جماعة من اصحابنا وقوم من حشوية العامة ان فى القرآن تغييرا ونقصانا. والصحيح من مذهب اصحابنا خلافه وهو الذى نصره المرتضى واستوفى الكلام فيه غاية الاستيفاء» (٣).

٦ ــ جمال الدين ابومنصور الحسن بن يوسف ابن المطهر العلامة الحلى (٧٢٦) فى اجوبة المسائل المهناوية، عند ما سأله السيد المهنا: «ما يقول سيدنا فى الكتاب العزيز، هل يصح عند اصحابنا انه نقص منه شيىء اوزيد فيه اوغيّر ترتيبه، ام لم يصح عندهم شيىء من ذلك ؟ افدنا افادك الله من فضله وعاملك بما هو من اهله».

قال العلامة فى الجواب: «الحق انه لاتبديل ولا تأخير ولا تقديم فيه، وانه لم يزد ولم ينقص ونعوذ بالله تعالى من ان يُعتقد مثل ذلك وامثال ذلك، فانّه يوجب التطرق الى معجزة الرسول عليه السلام المنقولة بالتواتر» (٤).

(١) مجمع البيان ج ١ ص ١٥.

(٢) التبيان ــ طبعة النجف ــ ج ١ ص ٣.

(٣) مجمع البيان ج ١ ص ١٥ الفن الخامس.

(٤) المسألة ١٣ ص ١٢١.

وقد تقدم كلامه فى مسألة التواتر دليلا على دحض شبهة التحريف عن كتابه (نهاية الوصول).

٧ــ وهكذا المولى المحقق الاردبيلى (٩٩٣) تقدم قوله بوجوب العلم بما يُقرأ قرآنا انّه قرآن. فينبغى تحصيله من التواتر الموجب للعلم، وعدم جواز الاكتفاء بالسماع حتى من عدل واحد... واذ ثبت تواتره فهو مأمون من الاختلال... مع انه مضبوط فى الكتب، حتى انّه معدود حرفا حرفا وحركة حركة، وكذا الكتابة وغيرها، مما يفيد الظنّ الغالب، بل العلم بعدم الزيادة على ذلك والنقص...(١).

٨ــ شيخ الفقهاء، الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء (١٢٢٨).

قال ــ فى كتاب القرآن من موسوعته الفقهية القيمّة «كشف الغطاء» ــ:

«لا زيادة فيه من سورة ولا آية من بسملة وغيرها لا كلمة ولا حرف. وجميع ما بين الدفتين ممّا يتلى، كلام الله تعالى بالضرورة من المذهب بل الدين واجماع المسلمين واخبار النبى ــ ص ــ والائمة الطاهرين ــ ع ــ وان خالف بعض من لا يعتدّ به...

قال: وكذا لا ريب فى انه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديان كما دل عليه صريح القرآن واجماع العلماء فى جميع الازمان، ولا عبرة بالنادر، وما ورد من اخبار النقيصة، تمنع البديهة من العمل بظاهرها، ولا سيما ما فيه من نقص ثلث القرآن او كثير منه، فانه لو كان ذلك لتواتر نقله لتوفّر الدواعى عليه، ولاتّخذه غير اهل الاسلام من اعظم المطاعن على الاسلام واهله. ثم كيف يكون ذلك وكانوا شديدى المحافظة على ضبط آياته وحروفه. وخصوصاً ما ورد انه صرّح فيه باسماء كثير من المنافقين فى بعض السور ومنهم فلان وفلان، وكيف يمكن ذلك وكان من حكم النبى (ص) الستر على المنافقين ومعاملتهم بمعاملة اهل الدين...

قال: فلابدّ من تأويلها باحد وجوه: اما النقص فى اصله قبل النزول، بمعنى انه كان مقدراً ولم ينزل. أو انزل الى السماء ولم ينزل على النبى. او النقص فى المعانى. اوان الناقص كان من الحديث القدسى لا الوحى القرآنى.

(١) مجمع الفائدة ج ٢ ص ٢١٨.

قال: والذى اختاره ان ما قيل بنقصه كان محفوظاً عند النبى (ص) ولم ينطق به ومن ثم اودعه اوصيائه ولم يعلن به. واما الذى نزل اعجازا واعلن به النبى (ص) وخطب به اوخاطب به وشاع عنه واشتهر بين المسلمين، فلم يتغير ولم يتبدل منذ عهد النبى (ص) فالى الآن، فهو على ما كان من غير تحريف (١).

وقال ــ فيما كتبه ردا على مسلك الأخباريين ــ: وصدرت منهم احكام غريبة واقوال منكرة عجيبة، منها: قولهم بنقص القرآن، مستندين الى روايات تقضى البديهة بتأويلها وطرحها. وفى بعضها: نقص ثلث القرآن او ربعه ونقص اربعين اسما فى سورة «تبّت» منها اسماء جماعة من المنافقين. وفى ذلك منافاة لبديهة العقل، لانّه لو كان ذلك مما ابرزه النبى ــ صلى الله عليه وآله ــ وقرأه على المسلمين وكتبوه لافتضح المنافقون، ولم يكن النبى (ص) مأموراً الا بالستر عليهم، ولقامت الحرب على ساق، وكان فى ابتداء الإسلام من الفتن ما كان فى الختام. ثم لو كان حقاً لتواتر نقله وعرفه جميع الخلق، لانّهم كانوا يضبطون آياته وحروفه وكلماته تمام الضبط، فكيف يغفلون عن مثل ذلك. ولعرف بين الكفار، وعدوّه من اعظم مصائب الإسلام والمسلمين. ولكان القارئ لسورة من السور الناقصة مبعّضا فى الحقيقة. ولكان القرآن غير محفوظ، وقد اخبرالله بحفظه، ولعرف بين الشيعة، وعدوّه من اعظم الأدلة على خروج الاولين من الدين، لانّ النقص ــ على تقدير ثبوته ــ انما هو منهم.

قال: ياللعجب من قوم يزعمون سلامة الأحاديث وبقائها محفوظة وهى دائرة على الألسن ومنقولة فى الكتب، فى مدة الف ومأتى سنة، وانها لو حدث فيها نقص لظهر واستبان وشاع ...! لكنهم يحكمون بنقص القرآن، وخفى ذلك فى جميع الأزمان ...! (٢).

قلت: اكرم به من محقق خبير، واجدربه من ناطق بالحق المبين!

٩ــ وقال حفيده الفقيه المحقق، الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء

(١) «كشف الغطاء» كتاب القرآن من كتاب الصلاة، المبحث السابع والثامن ص ٢٩٨ــ ٢٩٩.

(٢) هامش الانوار ج ٢ ص ٣٥٩ عن كتابه «الحق المبين».

(١٣٧٣) فى رسالته التى وضعها فى اصول معتقدات الشيعة الغرّاء ــ: «وانّ الكتاب الموجود فى ايدى المسلمين هو الكتاب الذى انزله الله اليه (صلى الله عليه وآله) للاعجاز والتحدّى وللتعليم الأحكام وتمييز الحلال من الحرام. وانه لانقص فيه ولا تحريف ولا زيادة. وعلى هذا اجماعهم (اى اجماع الشيعة الإمامية). ومن ذهب منهم او من غيرهم من فرق المسلمين الى وجود نقص فيه او تحريف فهو مخطئ. نصّ الكتاب العظيم: **إنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإنّالَهُ لَحافِظُونَ** (١). والاخبار الواردة من طرقنا اوطرقهم الظاهرة فى نقصه او تحريفه، ضعيفة شاذة، واخبار آحاد لاتفيد علما ولا عملا. فامّا ان تؤوّل بنحو من الإعتبار او يضرب بها الجدار» (٢).

١٠ــ وقال شيخ الاسلام بهاء الملة والدين محمد بن الحسين الحارثى العاملى (١٠٣١): «والصحيح ان القرآن العظيم محفوظ من التحريف، زيادة كانت اوالنقصان بنص آية الحفظ من الذكر الحكيم. وما اشتهر من الإسقاط فى مواضع من الكتاب فهو غير معتبر عند العلماء» (٣).

١١ــ وقال المحدث العارف المحقق محمد بن المحسن المشتهر بالفيض الكاشانى (١٠٩٠) فى المقدمة السادسة التى وضعها قبل التفسير ــ بعد نقل روايات توهم وقوع التحريف فى كتاب الله ــ: «على هذا لم يبق لنا اعتماد بالنص الموجود، وقد قال تعالى: **وَإنَّه لكتاب عَزيز لا يَأتيهِ الْباطِل من بين يديه وَلا مِنْ خَلْفِه.**
وقال: إنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإنّالَهُ لَحافِظُونَ.

وايضا يتنافى مع روايات العرض على القرآن. فما دل على وقوع التحريف مخالف لكتاب الله وتكذيب له فيجب رده والحكم بفساده او تأويله(٤).

(١) الحجر ١٥/ ٩.
(٢) اصل الشيعة واصولها ص ١٣٣.
(٣) آلاء الرحمان ج ١ ص ٢٦.
(٤) الصافى ج ١ ص ٣٣ــ ٣٤ المقدمة السادسة. والوافى ج ٢ ص ٢٧٣ــ ٢٧٤.

وقال فى كتابه الذى وضعه فى بيان اصول الدين، عند الكلام عن اعجاز القرآن، واستعراض جملة من روايات تسند التحريف الى كتاب الله:

«ويرد على هذا كلّه اشكال وهو: انه على ذلك التقدير لم يبق لنا اعتماد على شيىء من القرآن، اذ على هذا يحتمل كل آية منه ان تكون محرفة ومغيّرة وتكون على خلاف ما انزله الله فلم يبق فى القرآن لنا حجة اصلا، فتنتفى فائدته وفائدة الامر باتباعه والوصيّة به.

وايضا، قال الله عز وجلّ:

وَإِنَّهُ لكتاب عَزِيزٌ لاَ يأتيه الباطل مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (١).

فكيف تطرّق اليه التحريف والنقصان والتغيير!؟ وايضا قال الله عز وجلّ:

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٢).

وايضا قد استفاض عن النبى ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ وعن الأئمة ــ عليهم السلام ــ عرض الخبر المروىّ عنهم على كتاب الله، ليعلم صحته بموافقته له وفساده بمخالفته. فاذا كان القرآن الذى بايدينا محرّفا مغيّرا، فما فائدة العرض، مع ان خبر التحريف مخالف لكتاب الله مكذّب له، فيجب ردّه والحكم بفساده او تأويله.

قال: ويخطر بالبال فى دفع الإشكال ــ والعلم عندالله ــ ان مرادهم ــ عليهم السلام ــ بالتحريف والتغيير والحذف، انما هو من حيث المعنى دون اللفظ، اى حرّفوه وغيّروه فى تفسيره وتأويله، اى حملوه على خلاف ما هو عليه فى نفس الأمر، فمعنى قولهم (ع): كذا انزلت، أنّ المراد به ذلك، لا ما يفهمه الناس من ظاهره. وليس المراد انها نزلت كذلك فى اللفظ، فحذف ذلك اخفاء للحق واطفاء لنورالله.

(١) فصلت ٤١/ ٤٢.
(٢) الحجر ١٥/ ٩.

ومـمّـا يـدلّ على ذلك مـا رواه فى الـكـافى بـاسـنـاده عـن ابى جـعـفـر ــ عـليه السلام ــ انه كتب فى رسالته الى سعد الخير: «وكان من نبذهم الكتاب ان أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه. والجهال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية...» (١).

١٢ــ وقال خاتمة المحدثين المتعهدين محمد بن الحسن بن على المشتهر بالحرّ العاملى، صاحب الموسوعة الحديثية الكبرى «وسائل الشيعة» (١١٠٤) فى رسالة كتبها بالفارسية، دحضاً لسفاسف بعض معاصريه ــ ما تعريبه ــ:

«ان من تتبع احاديث اهل البيت ــ عليهم السلام ــ وتصفح التاريخ والآثار، علم علما يقينيا، ان القرآن قد بلغ اعلا درجات التواتر، قد حفظه الالوف من الصحابة ونقلته الألوف. وكان منذ عهده ــ صلى الله عليه وآله ــ مجموعا مؤلفا...» (٢).

١٣ــ وقال المحقق التبريزى (١٣٠٧) ــ فى تعليقته على رسائل الشيخ مرتضى الأنصارى ــ: «القول بالتحريف هو مذهب الأخباريين والحشوية، خلا فا لاصحاب الأصول الذى رفضوا احتمال التحريف فى القرآن رفضا قاطعا. وهو الحق، للوجوه التالية: اولاً ــ اجماع الطائفة، على ما حكاه الشيخ الطوسى والطبرسى والمرتضى علم الهدى والصدوق وغيرهم من اقطاب الإمامية. ثانياً ــ صراحة القرآن بعدم امكان التغيير فيه، كآية التدبر (النساء: ٨٢) وآية الحفظ (الحجر: ٩) وآية عدم اتيانه الباطل (فصلت: ٤٢). وكذا الروايات الكثيرة الدالّة على وجوب الرجوع الى القرآن. ثالثاً ــ دليل العقل، حيث القرآن عماد الدين واساس الشرع المبين، لكونه معجزا ومصدقا لمقام النبوة الى قيام القيامة. ويؤيد ذلك عناية الأمة بحفظه وحراسته على ما كان عليه فى العهد الأول فى رسم الخط ونحوه. فلابدّ من تأويل ما ورد

(١) كتاب علم اليقين فى اصول الدين للمحقق الفيض الكاشانى ج ١ ص ٥٦٥ (ط ١٤٠٠).

(٢) بنقل الشيخ رحمة الله الدهلوى فى كتابه القيم (اظهار الحق) النصف الثانى ص ٨٩. راجع الفصول المهمة للسيد شرف الدين ص ١٦٦ وهامش الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٣٥٧.

بخلاف ذلك ، او طرحه(١).

١٤ــ وقال المحقق الآشتيانى (١٣١٩) ــ فى شرحه على رسائل الشيخ ــ: «المشهور بين المجتهدين والأصوليين بل اكثر المحدّثين، عدم وقوع التغيير مطلقا، بل ادعى غير واحد الإجماع على ذلك ...» (٢).

١٥ــ وقال سيد المجتهدين السيد حسين الكوهكمرى الذى تشرف بالتتلمذ على اعلام دهره كصاحب الضوابط وصاحب الفصول وصاحب الجواهر وشريف العلماء والشيخ الأنصارى والشيخ على آل كاشف الغطاء، ومن ثم كان حصيلة جهابذة الفن وكان له الصدى العلمى الفائق وانهال الأفاضل على مجالس درسه وتحت منبره ــ (١٢٩٩) (٣) ــ فيما حكى عنه تلميذه الموفق الشيخ محمدحسن المامقانى فى كتابه (بشرى الوصول الى علم الأصول) ــ:

«قد وقع الخلاف بين المجتهدين والأخباريين فى مسألة التحريف فالأولون منعوه اشدّ المنع، بل ذكره الصدوق من معتقدات الإمامية.

ــ قال: ــ والحق هو ما اختاره المجتهدون، نظراً لمنافاته مع كونه معجزا، اذ يفوت المعنى بالتحريف، وقد عرفت ان مدار الاعجاز هى الفصاحة والبلاغة الدائرتان مدار المعنى ... ولطالت ألسنة اهل الكتاب على اهل الإسلام... ولقوله تعالى:

لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٤).

ولحديث الثقلين، الدال على ان الكتاب احدى الوسيلتين الى النجاة. ولا وسيلة اذا حصل فيها تغيير او تحريف، وللأمر بالأخذ بهذا القرآن الموجود بين اظهرنا. وعليه فما دل على نقص فيه فهو مؤول الى وجوه، منها: تحريف فى المعنى، كما جاء فى

(١) اوثق الوسائل بشرح الرسائل ص ٩١.
(٢) بحر الفوائد فى شرح الفرائد ص ٩٩.
(٣) الكنى والألقاب ج ٣ ص١٢٦.
(٤) فصلت ٤١/ ٤٢.

رسالة ابى جعفر عليه السلام الى سعد الخير: وكان من نبذهم الكتاب ان اقاموا حروفه وحرفوا حدوده...(١).

١٦ــ وقال الحجة البلاغى (١٣٥٢) ــ بعد نقل كلمات الأعلام كالصدوق والمرتضى والطوسى وكاشف الغطاء والبهائى واضرابهم ــ: وقد جهد المحدث المعاصر فى كتابه (فصل الخطاب) فى جمع الروايات التى استدل بها على النقيصة، وكثّر اعداد مسانيدها باعداد المراسيل، مع ان المتتبع المحقق يجزم بان هذه المراسيل مأخوذة من تلك المسانيد.

قال: وفى جملة ما اورده من الروايات ما لا يتيسّر احتمال صدقها. ومنها ما هو مختلف بما يؤول الى التنافى والتعارض. مع ان القسم الوافر منها ترجع اسانيدها الى بضعة انفار، وقد وصف علماء الرجال كلا منهم اما بانه ضعيف الحديث فاسد المذهب مجفوّ الرواية، واما بانّه كذّاب متهم لا استحل ان اروى من تفسيره حديثا واحدا، وانه معروف بالوقف واشد عداوة للرضا ــ عليه السلام ــ واما بانّه فاسد الرواية يُرمى بالغلوّ.

قال: ومن الواضح ان امثال هؤلاء لاتجدى كثرتهم شيئا.

قال: ولوتسا محنا بالاعتناء برواياتهم فى مثل هذا المقام الخطير لوجب من دلالة الروايات المتعددة، ان ننزلها على ان مضامينها تفسير للآيات او تأويل او بيان لما يعلم يقينا شمول عمومها له لأنه اظهر الأفراد واحقها بحكم العام. او ما كان مرادا بخصوصه عند التنزيل او هو مورد النزول، او ما كان هو المراد من اللفظ المبهم.

قال: وعلى احد هذه الوجوه الثلاثة الأخيرة يحمل ما ورد انه تنزيل وانّه نزل به جبرئيل، كما يحمل التحريف الوارد فى الروايات على تحريف المعنى، كما يشهد بذلك مكاتبة سعد الى ابى جعفر عليه السلام «وكان من نبذهم الكتاب ان اقاموا حروفه وحرفوا حدوده». وكما يحمل ما ورد بشأن مصحف اميرالمؤمنين عليه السلام وابن مسعود انه من التفسير والتأويل. لقوله ــ عليه السلام ــ: «ولقد جئتهم بالكتاب

(١) راجع: البرهان ص ١٢٢.

كملا مشتملا على التنزيل والتاويل».

قال: وهكذا ما ورد من زيادة «بولاية على» فى مصحف فاطمة ــ عليها السلام ــ ومعلوم انه كان كتاب تحديث باسرار العلم. وقد ورد انه لم يكن فيه شيىء من القرآن. وايضا ما ورد من تنزيل «الأئمة» موضع «الامة»، لابد من حمله على التفسير وان التحريف انما هو فى المعنى. وكذا نظائره من سائر الروايات.

ثم قال ــ اخيرا ــ: والى ما ذكرنا وغيره يشير ما نقلناه من كلمات العلماء الأعلام ــ قدس الله اسرارهم ــ (١).

١٧ــ وقال الفقيه المحقق المولى عبدالله بن محمد المشتهر بالفاضل التونى (١٠٧١) فى رسالة «الوافية» ــ التى كتبها فى الأصول ــ: (٢)

«والمشهور ــ بين علمائنا الأعلام ــ انه محفوظ ومضبوط كما انزل لم يتبدل ولم يتغير، حفظه الحكيم الخبير، قال الله تعالى:

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٣).

١٨ــ قال السيد محسن الأعرجى المعروف بالمحقق البغدادى (١٢٢٧) ــ فى شرح الوافية ــ: اتفق الكل، لاتمانع بينهم، على عدم الزيادة، ونطقت به الأخبار، وقد حكى الاجماع على ذلك جماعة من ائمة التفسير والحديث، كشيخ الطائفة فى التبيان وشيخنا ابى على فى مجمع البيان.

وانما وقع الخلاف فى النقيصة، والمعروف بين اصحابنا، حتى حكى عليه الاجماع، عدم النقيصة ايضا. وبالجملة فالخلاف انما يعرف صريحاً من على بن ابراهيم فى تفسيره(٤). وتبعه فى ذلك بعض متأخرى المتأخرين، متمسّكا باخبار آحاد رواها

(١) راجع: تفصيل كلامه فى الأمر الخامس من مقدمة تفسير الآلاء ج ١ ص ٢٥ــ ٢٧.

(٢) بنقل البرهان ص ١١٣.

(٣) الحجر ١٥/٩.

(٤) نسبة الخلاف اليه كانت من قبل ما جاء فى مقدمة التفسير المنسوب اليه. وقد تشكك اهل التحقيق فى

المحدثون مطويّة على غرّتها، كما رووا اخبار الجبر والتفويض والسهو والبقاء على الجنابة ونحو ذلك، حتى نسب بعضهم ذلك الى شيخنا المتقدم صاحب الكافى عطرالله مرقده، لأنّه روى بعض تلك الأخبار فى بعض المقامات فى باب النكت والنتف من التنزيل فى الولاية(١).

قال: وناهيك فى ذلك قول الصدوق ابى جعفر فى اعتقاداته: «اعتقادنا ان القرآن الذى انزل الله على نبيّه هو ما بين الدّفتين، وهو ما فى ايدى الناس، ليس باكثر من ذلك». قال: «ومن نسب الينا انا نقول انه اكثر من ذلك فهو كاذب».

قال: فهذا ابوجعفر اعرف الناس بما عليه المحدثون وما استقامت عليه طريقة الامامية يقول: ان من نسب الينا معشر الإمامية القول بالنقيصة فهو مفترٍ علينا. وهذه حكاية اجماعٍ ونقل سيرة!

قال: وقال علم الهدى: ان من خالف ذلك من الإمامية والحشوية، لايعتدّ بخلافهم، فان الخلاف فى ذلك مضاف الى قوم من اصحاب الحديث، نقلوا اخبارا ضعيفة ظنّوا صحّتها، لايرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته.

ثمّ نقل كلام الشيخ في التبيان، وكلام الطبرسى فى مجمع البيان. وتعرض لما نقله الشيخ يوسف البحرانى فى كتابه (الدرر النجفية) عن الشيخ المفيد فى جواب المسائل السروية من احتماله النقص(٢) واستغرب صحة ذلك عنه مستدلاً بان السيد المرتضى والشيخ الطوسى اعرف الناس بمذاهب شيخهم المفيد، ولو عرفا منه ذلك لنقلا عنه.

صحة الإنتساب ولا سيّما المقدمة التى هى من صنع تلميذه العباس بن محمد بن القاسم الراوى عنه، وهو لم يوثق، اما نفس التفسير فهو مزيج مما املاه عليه شيخه القمى ومن التفسير المنسوب الى ابى الجارود الذى فى طريقه ضعف. راجع: الذريعة ج٤ ص٣٠٢ــ ٣٠٩.

مضافا الى ان رواية الحديث لاتنم عن رأى ناقله حسبما نذكر.

(١) سيأتى ان ما ذكره الكلينى فى هذا الباب وفى غيره مما لايمسّ مسألة التحريف. بل سوف نذكر انه ليس فى الكافى الشريف ما يمكن التشبث به للقول بالتحريف. هذا فضلاً عن ان نقل الحديث لايرتبط وعقيدة ناقله.

(٢) نقلنا عبارته برقم ٢ عن البحار ج٨٩ ص٧٥ وليس فيها ما يدل على احتمال النقص.

وبعد ذلك ينقل كلاما عن العلامة المجلسى، ويحتمل من الكلينى ايضا، لنقله بعض تلك الأخبار، واخيرا يلخص بحثه فى امرين:

الأوّل ــ فى كيفية جمع القرآن ايّام الخلفاء مما يقضى العادة بوجود خلل فيه! واجاب بان السور كملت ايام حياته ــ صلى الله عليه وآله ــ وانما الترتيب بقى بعد وفاته فجمعه العارفون بذلك وكان بمرآى من الصحابة الأخيار. فالجمع الحقيقى للقرآن باعتبار اكتمال سوره امر قد حصل فى حياته ــ ص ــ.

الثانى ــ كثرة الأخبار الواردة فى النقيصة. واجاب بان لها تاويلاً غير هذا، وهو ان النقص انما وقع فى الزوائد التى كانت بعنوان التفسير والتأويل، اذ كانت العادة ان يكتبوا التأويل مع التنزيل، لا انّ كل ذلك كانت فى التنزيل، كما يشهد لذلك قول اميرالمؤمنين: ولقد جئتهم بالكتاب كملا مشتملا على التأويل والتنزيل. وهو صريح فى ان الذى جاءهم به ليس تنزيلا كله. ويؤيده ما اشتهر من ان الذى جاءهم به كان مشتملا على ما يحتاج الناس اليه حتى ارش الخدش. ومن المعلوم ان صريح القرآن غيرمشتمل على ذلك كله. واى غرض يدعوهم الى اسقاط ما يدلّ على الأحكام وسائر العلوم وهم اشدّ الناس حاجة الى ذلك.

قال: وكذا الكلام فيما دلّ من الأخبار على انّ القرآن لو قرئ كما انزل لألفيتنا فيه مسمين ونحو ذلك، مؤول على ارادة التفسير والتأويل.

قال: واما ما يدل على مجرّد التحريف فالمراد تحريف المعنى بان تأولوا اللفظ وحملوه على خلاف ما اريد به، كما جاء فى رسالة ابى جعفر الى سعد الخير.

ثمّ تعرّض لروايات العامة مما روته الحشوية وانهم حملوها على ارادة منسوخ التلاوة.

١٩ــ رسالة الكركى فى نفى النقيصة:

قال الأعرجى: ثم انى رأيت للفاضل المحقق قاضى القضاة على بن عبد العالى (٩٤٠) رسالة فى نفى النقيصة، صدّرها بكلام الصدوق، ثم اعترض بورود ما يدل على

النقيصة، واجاب بان الحديث اذا جاء على خلاف الدليل القاطع من الكتاب او السنة المتواترة او الإجماع، ولم يمكن تأويله ولا حمله على بعض الوجوه، وجب طرحه. ثم حكى الاجماع على هذه الضابطة واستفاضة النقل عنهم وروى قطعةً من اخبار العرض، ثمّ قال: ولا يجوز ان يكون المراد بالكتاب المعروض عليه، غير هذا المتواتر الذى بايدينا وايدى الناس والا لزم التكليف بما لايطاق. فقد وجب عرض الأخبار على هذا الكتاب. واخبار النقيصة اذا عرضت عليه كانت مخالفة له، لدلالتها على انه ليس هو، واىّ تكذيب يكون اشدّ من هذا!

ثمّ ذكر انّ التأويل الذى يتخلص من معارضة الحكم ويتحقق الردّ اليه، هو ان ننزّل انّ المراد بقولهم ــ عليهم السلام ــ: ان القوم غيّروه وبدّلوه ونقصوا منه، التغيير فى تفسيره وتأويله بأن فسّروه بخلاف ما هو عليه فى نفس الأمر. وانّ المراد من الكتاب الذى نزل به جبرئيل وهو عند اهل البيت او عند القائم من آل محمد ــ ص ــ ان التفسير والتأويل الحق، هو الذى عندهم ــ عليهم السلام ــ.

ثم وجّه سؤالاً: لما ذا لم يطرح الأصحاب تلك الأخبار المخالفة للكتاب؟

واجاب بانّها مما صح طريقها عندهم ومن ثمّ اودعوها فى كتبهم مع عدم العمل بظواهرها وامكان تأويلها... (١).

٢٠ــ وللشيخ محمد ابراهيم الكلباسى الاصفهانى (١١٨٠ــ ١٢٦١) صاحب التحقيق والتدقيق الانيق فى المباحث الاصولية المبسّطة، مقال ضاف اسهب فيه الكلام عن مسألة التحريف، وفنّد مرعومة القائلين به، ودافع عن الكتاب العزيز باسلوب فنّى بديع، جمع بين الاستدلال الرصين والاعتبار المتين، وذلك عند البحث عن حجية ظواهر الكتاب فى المباحث اللفظية من كتابه القيم «اشارات الاصول» الذى يعد موسوعة اصولية معتمدة عند اهل الفنّ، وجاءت مباحثه عن دحض شبهة التحريف من امتن مباحثه فى الكتاب، وتعدّ لوحدها رسالة جامعة مبسطة بهذا الشأن، بحث عن جوانبها وسبر اغوارها وابعادها بشكل واف شاف، لايستغنى الباحث عن مراجعتها،

(١) شرح الوافية. مخطوط. باب حجية الكتاب من ابواب الحجج فى الأصول.

فان فيها من اللئالى والدرر الشيء الكثير والجم الغفير والعدد الوفير. فجزاه الله عن القرآن واهله خير الجزاء... والكتاب مطبوع فى مجلدين ضخمين، فى المطبعة المعتمدية اول ظهور الطباعة فى طهران.

وقد راجعت نسخته الخطية الجميلة التى توارثها من احفاده العلماء، فضيلة العلامة الشيخ محمد حسين الكلباسى نزيل قم المقدسة لازال مُؤيداً بشرف العلم والتحقيق، وفقه الله.

٢١ــ وقد اسبقنا كلام المولى المحقق ابى القاسم الجيلانى (١٢٣١) صاحب كتاب «قوانين الأصول» بأن جمهور المجتهدين على عدم التحريف (١).

٢٢ــ كما تقدم ايضا كلام الشهيد السعيد التسترى (١٠١٩): «ما نسب الى الشيعة الإمامية من القول بالتحريف، ليس مما قاله جمهور الإمامية، وانّما قاله شر ذمة قليلة لا اعتداد بهم فى جماعة الشيعة» (٢).

٢٣ــ وقال الإمام السيد شرف الدين العاملى (١٣٨١) ردّاً على من حاول إلصاق تهمة القول بالتحريف الى جماعة الشيعة، ظلماً وزوراً وتفريقاً بين المسلمين وارصاداً لمن حارب الله ورسوله ــ:

«وكل من نسب اليهم تحريف القرآن فانّه مفترٍ عليهم ظالم لهم، لانّ قداسة القرآن الحكيم من ضروريات دينهم الإسلامى ومذهبهم الإمامى، ومن شك فيها من المسلمين فهو مرتدّ باجماع الإمامية. وظواهر القرآن ــ فضلاً عن نصوصه ــ من ابلغ حجج الله تعالى، واقوى ادلّة اهل الحق بحكم البداهة الأوّلية من مذهب الإمامية. ولذلك تراهم يضربون بظواهر الأحاديث المخالفة للقرآن عرض الجدار، ولا يأبهون بها وان كانت صحيحة. وتلك كتبهم فى الحديث والفقه والأصول صريحة بما نقول. والقرآن الحكيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه انمّا هو ما بين الدّفتين وهو ما فى ايدى الناس، لا يزيد حرفاً ولا ينقص حرفاً ولا تبديل فيه لكلمة بكلمة

(١) البرهان للبروجردى ص ١١٢.
(٢) آلاء الرحمان للبلاغى ج ١ ص ٢٥.

ولا لحرف بحرف، وكل حرف من حروفه متواتر فى كل جيل تواتراً قطعيا الى عهد الوحى والنبوة...(١).

وقال فى موضع آخر: «نعوذ بالله من هذا القول، ونبرأ الى الله تعالى من هذا الجهل وكلّ من نسب هذا الرأى الينا جاهل بمذهبنا اومفترٍ علينا، فانّ القرآن العظيم والذكر الحكيم متواتر من طرقنا بجميع آياته وكلماته وسائر حروفه وحركاته وسكناته تواتراً قطعيا عن ائمة الهدى من اهل البيت ــ عليهم السلام ــ لايرتاب فى ذلك الا معتوه. وائمة اهل البيت كلهم اجمعون رفعوه الى جدهم الرسول ــ صلى الله عليه وآله ــ عن الله تعالى ــ وهذا ايضا مما لاريب فيه...» (٢).

٢٤ــ وقال السيد محسن الأمين العاملى (١٣٧١) ــ ردّا على ابن حزم واذنابه كصادق الرافعى وامثاله فى افترائهم القول بالتحريف على الشيعة ــ: «لايقول احد من الإمامية، لاقديماً ولا حديثا انّ القرآن مزيد فيه قليل او كثير، فضلا عن كلهم. بل كلهم متفقون على عدم الزيادة. ومن يعتدّ بقول من محقّقيهم متفقون على انّه لم ينقص منه... ومن نسب اليهم خلاف ذلك فهو كاذب مفترٍ مجترئ على الله ورسوله...» (٣).

وهكذا تجده ــ رحمه الله ــ فى كتابه «الشيعة والمنار» يرفض التهم التى وجهها صاحب المنار الى الشيعة ونصب لهم العداء العارم من غير ما مبالاة، منها تهمة القول بالتحريف(٤).

٢٥ــ وقال سيدنا الأستاذ السيد محمد هادى الميلانى (١٣٩٥) ــ قدس سره ــ:

«ان الذى نقطع به هو عدم وقوع اىّ تحريف فى القرآن الكريم، لازيادة ولا نقصانا ولا تغييرا فى ألفاظه. ولو جاء فى بعض الأحاديث ما يفيد التحريف، فانما

(١) الفصول المهمة ص ١٦٣.
(٢) اجوبة مسائل جارالله ص ٢٨.
(٣) اعيان الشيعة ج ١ ص ٤١.
(٤) فى الجزء السادس وما بعده من المجلد التاسع والعشرين تباعا. (الفصول المهمة ص ١٦٢).

المقصود من ذلك ما وقع من تغيير معانى القرآن حسب الآراء السقيمة والتأويلات الباطلة، لاتغيير الفاظه وعباراته. واما الروايات الدالة على سقوط آيات او سورمن هذه المعجزة الخالدة، فهى مجهولة او ضعيفة للغاية. بل ان تلك الآيات والسور المزعومة ــ كالسورتين اللتين رواهما فى الإتقان، او تلك السورة التى رويت فى دبستان المذاهب، وكذا ما جاء فى غيرها من الكتب ــ هى وحدها تكشف عن حقيقتها. اذ لايشك الخبير بعد عرضها على اسلوب القرآن البلاغى فى كونها مختلقة باطلة.

هذا على ان احداً لم يقل بالزيادة، والقول بنقصانه ــ كما توهمه بعضهم ــ لايمكن الركون اليه، لاسيما بعد الالتفات الى قوله تعالى: **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ** (١) وقول تعالى: **وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** (٢). وقوله تعالى: **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ** (٣). الى غيرها من الآيات.

وبهذا الذى ذكرنا صرّح كبار علماء الإمامية منذ الطبقات الاولى كالمفيد والمرتضى والطوسى وهم جميعا يعتقدون بما صرح به رئيس المحدثين الشيخ الصدوق فى كتاب الإعتقادات الذى ألفه قبل اكثر من ألف سنة. حيث قال: «اعتقادنا انّ القرآن الذى انزله الله تعالى على نبيّه محمد ــ صلى الله عليه وآله ــ هو ما بين الدفتين وهو ما فى ايدى الناس، ليس باكثر من ذلك ... ومن نسب الينا انا نقول انه اكثر من ذلك فهو كاذب». والحاصل ان من تأمل فى الأدلة وراجع تاريخ اهتمام المسلمين فى حياة الرسول ــ صلى الله عليه وآله ــ وبعده بضبط القرآن وحفظه ودراسته، يقطع ان سقوط الكلمة الواحدة منه محال. ولو ان احداً وجد حديثا يدلّ بظاهره على التحريف وظنّ صحته فقد اخطأ، وانّ الظن لايغنى من الحق شيئا» (٤).

(١) القيامة ٧٥/١٧.

(٢) الحجر ١٥/٩.

(٣) فصلت ٤١/٤٢.

(٤) عن مقال ضافٍ فى نفى التحريف بقلم حفيده السيد على الميلانى طبع فى نشرة «تراثنا» لمؤسسة آل البيت(ع) فى قم المقدسة. العدد الأول للسنة الثانية (محرم ١٤٠٧ هـ) ص ١٤٢.

ذكر ــ رحمه الله ــ ذلك جوابا لمن سأله عن رأيه فى مسألة التحريف، وطبعت فى مقدّمة مصحف طبعه بعض الشيعة الإمامية فى باكستان.

٢٦ــ ولسيدنا الطباطبائى (١٤٠٢) ــ قدس سره ــ بحث واف باثبات صيانة القرآن عن التحريف فى جميع اشكاله وصوره، ذكره فى سبعة فصول، فى استدلال قوىّ وبرهان حكيم. لايستغنى الباحث عن مراجعته. واليك ملخص تلك الفصول:

١ــ انّ للقرآن فى آيه وسوره اوصافا خاصة ونعوتا قد تحدى بها من اول يومه، ونجدها كما هى محفوظة حتى اليوم. كالإعجاز، وعدم الإختلاف، والهداية، والنورية، والذكرية، والهيمنة وما شاكل ذلك. فلوكان وقع فيه تحريف، لزالت منه بعض تلك السمات.

٢ــ ويدل على عدم التحريف، روايات العرض على كتاب الله، والرجوع اليه عند مشتبكات الأمور. وحديث الثقلين ونحو ذلك.

٣ــ ان الوجوه التى تمسّك بها القائل بالتحريف كلها مخدوشة غير وافية باثبات مقصوده.

٤ــ تعرض لمسألة الجمع الأول على عهد ابى بكر.

٥ــ ثم جمعه وتوحيده على عهد عثمان.

٦ــ ما ورد بشأن الجمع الأول والثانى يفيد القطع بانّهم انما جمعوا ما كمل فى حياته ــ صلى الله عليه وآله ــ من آيات وسور. جمعوها بين الدفتين من غيران يمسوها بيد فى المتن زيادةً او نقصاناً. وهو الباقى الى اليوم بسلام.

٧ــ تزييف مسألة الإنساء التى تذرع بها بعض الأصوليين من العامة لتوجيه ماورد من ضياع بعض الآى بعد وفاته (ص).

وبذلك يتم ما ذكره ــ قدس سره ــ بهذا الشأن (١).

(١) فى تفسير الميزان ج ١٢ ص ١٠٦ــ ١٣٧.

٢٧ ــ **وللعلامة سيّدنا الامام الگلپايگاني دام ظلّه** ــ بيان صافٍ فى دحض شبهة التحريف، اصدره بالتماس بعض الافاضل بالحوزة العلمية بقم المقدسة. جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذى انزل على عبده الكتاب وجعله تذكرة ونوراً لاولى الالباب وصانه عما يطفى نوره الى يوم الحساب فقال عز من قائل:

(وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ لا يَأتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد (١)

وتعهد سبحانه وتعالى لحفظه من التغيير والتحريف والزيادة والنقصان والاندراس والانطماس فبشر نبيه صلّى الله عليه وآله وسلّم والامة ومنّ عليه وعليهم بقوله الكريم

(إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنّا لَهُ لَحافِظُونَ) (٢)

والصلاة والسلام على من ارسله به على العباد ليكون لهم حجة باقية الى يوم المعاد، واخذ منه الميثاق لتعليمه وتبليغه وضبطه ونشره فى البوادى والبلاد، فقال تعالى شانه:

(وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيّينَ مِيثاقَهُم وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ومُوسىٰ وَعِيسىٰ ابن مَرْيَمَ وَأَخَذْنا مِنهُم ميثاقاً غيظاً)

(١) فصلت ٤١/ ٤٢.
(٢) الحجر ١٥/ ٩.

وقال عز وجل.

(هُوَ الذّى بَعَثَ فِى ٱلأُمِيّيـنَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ايٰاتِهِ وَيُزَكّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلكِتابَ وَٱلحِكْمَةَ وَإِنْ كانُوا مِنْ قَبْلُ لَفى ضَلالٍ مُبينٍ)(١)

وعلى آله وعترته المعصومين الذين قرنهم بالكتاب الى يوم الدين فقال صلّى الله عليه وآله وسلّم انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله عز وجل وعترتى اهل بيتى الاوهما الخليفتان من بعدى لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض واللعن على اعدائهم اجمعين.

وبعد فالصحيح من مذهبنا ان كتاب الله الكريم الذى بايدينا بين الدفتين هو ذلك الكتاب الذى لاريب فيه من لدن عزيز حكيم، المجموع المرتب فى زمانه وعصره بامره بلاتحريف وتغيير وزيادة ونقصان، والدليل على ذلك تواتره بين المسلمين كلا وبعضا ترتيباً وقراءةً مع توفر الدواعى لهم فى حفظه وابقائه ونقله بلازيادة ونقيصة، حيث كان اساس الدين واعظم معجزات سيد المرسلين (ص) اجمعين وحجة باقية على الاعداء بما هو منزل من رب العالمين.

ولقد اجاد السيد علم الهدى قدس سره فيما افاد فى جواب المسائل الطرابلسيات ــ على ما حكى عنه الطبرسى قدس سره فى مجمع البيان قال فى مواضع ولله دره ــ: ان العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقايع العظام والكتب المشهورة واشعار العرب المسطورة فان الغاية اشتدت والدواعى توفرت على نقله وحراسته وبلغ الى حد لم يبلغه فيما ذكرناه لان القرآن معجزة النبوة وماخذ العلوم الشرعية والاحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا فى حفظه وحمايته الغاية حتى عرفوا كل شئى اختلف فيه من اعرابه وقرائته وحروفه وآياته فكيف يجوزان يكون مغيرا او منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد. وقال ايضاً قدس الله سره: ان العلم بتفصيل القرآن وابعاضه فى صحة نقله كالعلم بجملته وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه والمزنى فان اهل العناية بهذا الشأن يعلمون من

(١) الجمعة ٦٢/٢.

تفصيلها ما يعلمونه من جملتها حتى لوان مدخلا ادخل فى كتاب سيبويه باباً فى النحوس ليس من الكتاب لعرف وميزوعلم انه ملحق وليس باصل الكتاب وكذلك القول فى كتاب المزنى ومعلوم ان العناية بنقل القرآن وضبطه اصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء وذكر ايضاً ان القرآن كان على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الان واستدل على ذلك بان القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه فى ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة فى حفظهم له وانه كان يعرض على النبى ويتلى عليه وان جماعة من الصحابة مثل عبدالله بن مسعود وابى ابن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم عدة ختمات وكل ذلك يدل بادنى تامل على انه كان مجموعاً مرتبا غير منثور ولا مبثوت وذكر ان من خالف فى ذلك من الامامية والحشوية لايعتد بخلافهم فان الخلاف فى ذلك مضاف الى قوم من اصحاب الحديث نقلوا اخباراً ضعيفة ظنوا صحتها لايرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته...(١)

(١) البرهان للبروجردى ص١٥٦ــ ١٥٨.

٢٨ــ وهكذا الامام الشيرازى السيد ميرزامهدى الحائرى (١٣٠٤ ــ ١٣٨٠) ــ قدس سره ــ اصدر بياناً بنفس المناسبة فتد خير شبهات اهل القول بالتحريف. واليك نصه: ــ

بسم الله الرحمن الرحيم

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)

لم يزل القرآن الكريم منذ بدء نزوله فى اعلا مرتبة الاشتهار واسما درجة العز والجلال وكان المسلمون يحتفلون به بكمال الرغبة وفرط الاشتياق فكلما نزل منه شيى تلقوه بوجوه بسيمة وصدور واسعة واخذوا يرتلونه آناء الليل واطراف النهار فى افنيتهم فى ممساهم ومصبحهم هتافاً وصراخاً وتلاوة وألحاناً. وقد كان فيهم كتاب الوحى يكتبون ما نزل منه سورة او آية اواقل اواكثر.

وقد رووا انه اذا نزلت آية امر النبى (ص) بوضعها فى اية سورة واذا نزلت سورة امر النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم بوضعها فى اى موضع من القرآن وقد طفق المسلمون منذ ابتداء نزوله يحفظونه ويعملون بما فيه يبتغون فضلا من ربهم ورضواناً. وكان هو الشعار الوحيد للمسلمين واستمروا على هذا الاحتفال بكتابهم المقدس وعلى منهجهم سلك التابعون لهم باحسان. فقد كان فيهم القراء والحفاظ والامناء والعلماء وكان مدوناً مجموعاً من عهد النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم كما هو ظاهر ماروى فى البحار عن الامالى مسنداً من انه نهى النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو مخافة ان يناله العدو، ومن المستبعد جداً بل المحال عادة ان تنال مثل هذا الكتاب الحكيم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يد التحريف ويحوم حول حمى عزه المنيع ومكانته الرفيعة رين الزيادة والنقصان، وهو المهيمن على

ما تقدمه من الكتب المنزلة حياطة على سياج الحق واساس الديانة. واما ما ورد من الاخبار التى ظاهرها وقوع التحريف فى بعض الآى فلايثبت بها ذلك لوجوه:

(الاول) انها شاذة ضعيفة الاسانيد فان كثيراً منها من السيارى الذى ضعفه علماء الرجال كما فى الفهرست لشيخ الطايفة والخلاصة للعلامة والرجال للنجاشى والكنى والالقاب للقمى: انه ضعيف الحديث فاسد المذهب مجفو الرواية كثير المراسيل انتهى ونحو هذه العبائر ذكر وافى حال غالب رواة هذه الاخبار.

(الثانى) ضعف الدلالة من حيث ظهور كثير منها فى بيان المراد وذكر التفسير والمورد كما يظهر للمراجع.

(الثالث) معارضة بعضها مع البعض من وجهين احدهما تعارضها من حيث تعيين الساقط مثلا فى آية التبليغ ذكر فى بعض الاحاديث ان الساقط كلمة (ان علياً مولى المؤمنين) وفى جملة منها (بلغ ما انزل اليك فى على عليه السلام) ثانيها ما ورد فى روايات من سقوط اسم (على عليه السلام) فى مواضع كثيرة من الايات مع ان بعض الروايات تدل على ان الله تعالى لم يسم (عليا) فى القرآن كما فى صحيحة ابى بصير المروية فى الكافى قال (قلت له ان الناس يقولون فماله لم يسم علياً واهل بيته فى كتاب الله قال قولوا لهم ان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم نزلت عليه الصلاة ولم يسمّ الله لهم ثلاثاً ولا اربعاً) الحديث.

(الرابع) وضوح اختلاف نظم بعضها مع نظم القرآن بحيث لايقبل الطبع كون المجموع كلاماً واحداً.

(الخامس) حكومة بعض الاخبار الواردة الدالة على كون الساقط من قبيل التفسير وبيان المراد على تلك الاخبار فى رواية الفضيل المروية فى الكافى عن ابى الحسن الثانى عليه السلام قال قلت له (هذا الذى كنتم به تكذبون) قال يعنى اميرالمؤمنين عليه السلام قلت تنزيل قال نعم. فانها ظاهرة فى كون المراد من التنزيل بيان الله النازل على النبى صلّى الله عليه وآله وسلّم بطريق جبرئيل وان لم يكن من القرآن، حيث ان القرآن هو النازل على وجه التحدى لا كل ما نزل به جبرئيل من عندالله تعالى وان صح التعبير عنه بالتنزيل.

فكيف تركن النفس الى مثل هذه الاخبار في اثبات مثل هذا الامر العظيم المستبعد غاية الاستبعاد المخالف لظاهر قوله تعالى (وانا له لحافظون) وقوله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) وقوله (مُهَيْمِناً عَلَيْهِ) (١)

واما ما اشتهر من جمع عثمان وحرقه المصاحف فيقرب انه كان ليخلص القرآن عما كتب معه من التفاسير والبيانات النازلة عن الله تعالى او الواردة عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم في شأن اهل البيت لا التحريف في نفس القرآن كيف وهو لم يغير قوله تعالى: (إِنْ هٰذَانِ لَسَاحِرَانِ) (٢) مع زعمه انه لحن كما ذكره العلامة الحلي والرازي واما ردهم لمصحف علي عليه السلام حين جمعه واتى به اليهم في المسجد فمن القريب جداً انه كان مشتملا على التفسير والتأويل الوارد عن الله تعالى وعن النبي (ص) مما كان لا يمكنهم انكاره فاراد عليه السلام الزامهم به على الحق ويدل على ذلك قول امير المؤمنين عليه السلام كما في نهج البلاغة وغيرها (ولقد جئتهم بالكتاب كملا مشتملا على التنزيل والتاويل) الحديث وكذا ما حكاه في البحار عن سلمان (فلما جمعه كله وكتبه بيده تنزيله وتأويله) الحديث ونحوهما غيرهما.

ويشهد لذلك كله، مضافاً الى ما تقدم ذهاب رؤساء المذهب قديماً وحديثاً الى الانكار حتى قال الشيخ الاكبر في كشف الغطاء في كتاب القرآن، لا ريب انه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديان كما دل عليه صريح القرآن واجماع العلماء في كل زمان، ولا عبرة بالنادر وما ورد من اخبار النقص تمنع البديهة من العمل بظاهرها انتهى.

ثم ما الفرق بين هذه الاخبار والاخبار الواردة في سهو النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم والائمة عليهم السلام بل اخبار التحريف ابعد عن الصواب فان شيخ المحدثين الاقدم ابن بابويه الصدوق ذهب الى السهو دون النقصان وقال من نسب الينا انا نقول انه اكثر من ذلك فهو كاذب الخ مع معلومية حال الصدوق قده وشدة تورعه وتقواه وكثرة اعتنائه بالاخبار حتى انه يعتمد على المرسل المحفوف بالقرينة وكونه ره في مركز

(١) المائدة ٥/٤٨.
(٢) طه ٢٠/٦٣.

اخبار الائمة عليهم السلام ومحط رجال الشيعة ومخيم ارباب الفضل من العلماء والمحدثين والله تعالى الموفق وهو المستعان(١).

(١) البرهان للبروجردى ص ١٤٥ــ ١٤٨. والفوائد الجلّية للشهرستانى ج ١ ص ١٧ــ ٢٠.

٢٩ــ وقال سيدنا الأستاذ الامام الخمينى ــ دام ظله العالى (١):

«انّ الواقف على عناية المسلمين بجمع الكتاب وحفظه وضبطه، قراءة وكتابة، يقف على بطلان تلك المزعومة. وما ورد فيه من أخبار ــ حسبما تمسكوا ــ اما ضعيف لا يصلح للإستدلال به، او مجعول تلوح عليه امارات الجعل، او غريب يقضى بالعجب. أما الصحيح منها فيرمى الى مسألة التأويل والتفسير، وانّ التحريف انما حصل فى ذلك، لا فى لفظه وعباراته.

وتفصيل ذلك يحتاج الى تأليف كتاب حافل ببيان تاريخ القرآن والمراحل التى قضاها طيلة قرون. ويتلخص فى ان الكتاب العزيز، هو عين ما بين الدفتين، لا زيادة فيه ولا نقصان. وانّ الإختلاف فى القراءات امر حادث، ناش عن اختلاف فى الإجتهادات، من غير ان يمسّ جانب الوحى الذى نزل به الروح الأمين على قلب سيّد المرسلين...» (٢).

ذكر لى العلامة السبحانى، انّ سيدنا الأستاذ كان يذكر ذلك على المنبر بكل حماسةٍ وشدّة، وكان شديد التغيّر على تلك الفئة الشاذة من الأخباريين فى نسبتهم التحريف الى كتاب الله العزيز الحميد.

(١) ومع الاسف الشديد، ارتحل سيدنا الامام الى الملأ الاعلى، قبل ان يقدم المقال الى الطبع، وكانت وفاته ــ قدس الله نفسه الزكية ــ الليلة البارحة (٢٩ شوال ١٤٠٩ ــ ١٤ خرداد ١٣٦٨) عن عمر قارب التسعين (١٣٢٠ ــ ١٤٠٩) وخلّفت رحلته الكريمة اسىً فى القلوب وحزًّا فى النفوس، لا يندمل ابداً. فقد جاهد وناضل وقاد الحركة الاسلامية فى اتجاهها العالمى قيادة حكيمة لازالت مناهجه الرشيدة وسيرته القويمة قدوة واسوة للخلف الباقين ان شاء الله تعالى. فلقد عاش سعيداً ومات حميداً، فسلام الله عليه يوم ولد ويوم رحل ويوم يبعث حياً...

(٢) تهذيب الأصول تقريرا بقلم العلامة السبحانى ج ٢ ص ١٦٥.

٣٠ــ وختاماً، فان لسيدنا الأستاذ الامام الخوئي ــ دام ظله ــ بحثا ضافياً ومستوفى لجوانب المسألة ووافياً باثبات صيانة القرآن من احتمال كل زيادة او نقصان. وكان ما كتبناه بهذ الصدد اقتفاءً لأثره واقتداءً لمنهجه في هذا السبيل، ومن ثمّ فقد اخذنا عنوان البحث من بيانه، لازالت كرائم افكاره الرشيدة فائضةً بالخير والبركات(١).

* * *

وبعد فتلك كانت الأهم من كلمات اصحابنا الامامية، وفيه من نظرات اعلام علمائنا الكبار ممن تشرفت المعاهدُ العلمية بفيض وجودهم، وملاء الأفاق صيت فضلهم ونبوغهم في الأدب والكمال، فكانوا قدوةً للأمة واسوة في الخافقين، ومثلاً في العلوم والمعارف الاسلامية على توالي الدهور وعبر العصور. ومن ثمّ اقتصرنا عليهم ولم نستقص الجميع، اذ فيهم الكفاية وآراؤهم هي الحجّة الماثلة فيها آراء الأمة على الاطلاق.

نعم هؤلاء هم الذين يمثّلون الأمة وتتجلىّ في نظراتهم طريقة المذهب الحق، لا اولئك الشرذمة القليلة الذين لفظتهم الأمة سُحالة منبذوة لا شخصية لهم ولا حجية في اقوالهم المنكوسة.

لكن الذين في قلوبهم زيغ انّما يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، سعياً وراء الفساد في الأرض، لا وفقهم الله.

(١) راجع: البيان ص ٢١٥ــ ٢٥٤.

شهادات ضافية
بنزاهة موقف أعلام الإماميّة
عن القول بالتحريف

هناك شهادات من اعلام التحقيق من اهل السنة، بشأن نزاهة مواقف علماء الشيعة الإمامية تجاه مسألة التحريف. ومن درس بحوث اعلام الطائفة فى مختلف شؤون الدين، ولا سيمّا فيما يمسّ جوانب كتاب الله العزيز الحميد، يجد نظرتهم المُشرِفة بشأن هذا الكتاب، كما يجدهم احرص الناس على حفظه وحراسته والدفاع عن قدسيته طول عهد التاريخ. فأجْدِرْبهم أن يتبرأوا من سخف القول بالتحريف، الذى هو مسّ بكرامة القرآن وحطّ من شأن اقدس شيَىء في حياة الأمة، وعلى رأسها علماء الطائفة، الذين هم رهن ارشادات الأئمة المعصومين عليهم السلام.

واليك نماذج من تلكم الشهادات الضافية: ــ

هذا ابوالحسن على بن اسماعيل الأشعرى (رأس الأشاعرة) تراه يجعل من ابناء الشيعة (وقد سمّاهم الروافض) فريقين: فريق هم اصحاب الظواهر، ممن لاعمق لهم فى تفكير ولا باع لهم فى مجالات البحوث النظرية، يزعمون ان القرآن قد نُقص منه، استناداً الى لفيف من روايات يروونها بهذا الشأن، مما لاقيمة لها عند المحققين(١) وانما اخذها هؤلاء على علاتها، نظير اخوانهم الحشوية من ابناء السنة.

(١) هؤلاء هم الفئة الأخبارية المقلّدة، لاشأن لهم فى تحقيق ولا قدم لهم فى بحث. وقد انفصلوا عن مبانى الشيعة ←

غير انهم ينكرون اشد الإنكار وجود زيادة فى النص الموجود، وان ذلك غير جائز بضرورة الشرع، كما لاتبديل فى شيىء منه ولا تغيير عما كان عليه. سوى انّه ذهب منه ــ فى زعمهم ــ شيىء كثير(١) قالوا: والإمام القائم يحيط به علماً.

وامّا الفريق الثانى ــ وهم المحققون من اهل النظر والإستنباط ــ ممن بنوا اسس الشّريعة على قواعد العقل والحكمة الرشيدة، واشادوا من مبانى العدل وقالوا بضرورة تحكيم الإمامة بعد انقضاء عهد النبوة. هؤلاء يرفضون احتمال كل تغيير او تبديل، لابنقص ولا بزيادة ولا بتحوير، رفضاً باتاً، وان القرآن باق كما هو، على ما انزله الله على رسوله ــ صلّى الله عليه وآله ــ لم يغيّر ولم يبدّل ولا زال عما كان عليه.

قال الأشعرى: واختلفت الروافض فى القرآن، هل زيد فيه او نقص منه؟ وهم فرقتان، فالفرقة الأولى منهم يزعمون ان القرآن قد نقص منه. واما الزيادة فذلك غير جائز ان يكون قد كان، وكذلك لايجوز ان يكون قد غيّر منه شيىء عما كان عليه، فاما ذهاب كثير منه فقد ذهب كثير منه، والإمام يحيط علماً به.

والفرقه الثانية منهم وهم القائلون بالإعتزال (لقولهم باصل العدل) والإمامة(٢) يزعمون ان القرآن ما نقص منه ولا زيد فيه، وانه على ما أنزل الله تعالى

الإمامية، بعد ان ابعدوا الشريعة عن مجال البرهان، ونبذوا اللبّ واخذوا بالقشور. ليسوا من الشيعة والشيعة منهم براء.

(١) اول من زعم ان القرآن قد ذهب منه شيىء كثير، هو عبدالله بن عمر، كان يقول: لايقولن احدكم قد اخذت القرآن كله، ما يدريه ما كله؟ قد ذهب منه قرآن كثير (الإتقان ج ٣ ص ٧٢).
ولعل هذا كان مغبة ما قرع سمعه من قولة والده: قد ذهب من القرآن اكثر من ثلثيه (الإتقان ج ١ ص ١٩٨). او ما ذكره ابن شهاب: قد ذهب قرآن كثير بذهاب حملته يوم اليمامة (منتخب كنزالعمال بهامش المسند ج ٢ ص ٥٠).

(٢) القول بالإمامة اشارة الى الطائفة الإمامية الذين هم اضخم طوائف الشيعة (القائلون بإمامة الأئمة الإثنى عشر) والثلة النافعة الباقية الماكثة فى الأرض، وهم اعضاد الأمة واشهاد الملّة، وبهم دارت رحى التحقيق والتدقيق فى مجالات العلوم والمعارف الإسلامية، وكذا فى استنباط مبانى الشريعة المقدسة، ولا تزال ابواب الإجتهاد مفتوحة لديهم بمصراعين.

على نبيّه عليه الصلاة والسلام، لم يغيّر ولم يبدّل، ولازال عما كان عليه(١).

هذا كلام اكبر زعيم من زعماء الفكر الإسلامى فى مطلع القرن الرابع الهجرى (توفى سنة ٣٣٠) يشهد بوضوح ان الأعلام المحققين من علماء الشيعة الإمامية يرفضون القول بالتحريف فى جميع اشكاله، فمن ذا، ياترى يمكنه نسبة هذا القول اليهم الاّ ان يكون تائها فى ضلال؟!.

* * *

وللسيد شرف الدين العاملى بحث لطيف فى سلامة القرآن من احتمال التحريف، وعتاباً مع اولئك الذين تسرعوا فى قذف التهم الشعواء الى امة ابرياء، واخيراً يقول:

والباحثون من اهل السنة يعلمون ان شأن القرآن العزيز عند الإمامية ليس الا ما ذكرناه والمنصفون منهم يصرحون بذلك: ــ

قال الإمام الهمام الباحث المتتبع «رحمة الله الهندى» فى صفحة ٨٩ من النصف الثانى من كتابه النفيس «اظهار الحق» ما هذا لفظه:

القرآن المجيد عند جمهور علماء الشيعة الإمامية الإثنى عشرية، محفوظ عن التغيير والتبديل. ومن قال منهم بوقوع النقصان فيه (اى الفئة الأخبارية) فقوله مردود غير مقبول عندهم.

ثمّ يستشهد الإمام الهندى بكلمات اعلام الطائفة امثال: الصدوق، والشريف المرتضى، والطبرسى، والحر العاملى، وغيرهم من مشاهير. ويعقبها بقوله: فظهران المذهب المحقّق عند علماء الفرقة الإمامية الاثنى عشرية، ان القرآن الذى انزله الله على نبيّه، هو ما بين الدفّتين، وهو ما فى ايدى الناس ليس باكثر من ذلك. وانه كان مجموعاً مؤلفاً فى عهده ــ صلى الله عليه وآله ــ وحفظه ونقله ألوف من الصحابة. ويظهر القرآن ويشهر بهذا الترتيب عند ظهور الإمام الثانى عشر، عجّل الله تعالى فرجه.

قال: والشر ذمة القليلة التى قالت بوقوع التغيير فقولهم مردود عندهم ولا

(١) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١١٩ــ ١٢٠.

اعتداد به فيما بينهم. قال: وبعض الأخبار الضعيفة التي رويت في مذهبهم لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته. قال: وهو حق، لانّ خبر الواحد لا يقتضي علماً فيجب ردّه اذا خالف الأدلة القاطعة، على ما صرح به ابن المطهر الحلّي (العلامة) في مبادي الوصول الى علم الأصول... (١).

* * *

هذا وقد اشتبه الأمر ــ ظاهراً ــ على ابن حزم الظاهري في رمي الشيعة عموماً بتهمة القول بالتحريف، حاشا الشريف المرتضى وصاحبيه. قال: ومن قول الإمامية كلها قديماً وحديثاً انّ القرآن مبدّل زيد فيه ما ليس فيه، ونقص منه كثير، وبدّل منه كثير، حاشا علي بن الحسين (المرتضى علم الهدى) وكان امامياً يظاهر بالإعتزال، مع ذلك فانّه كان ينكر هذا القول ويكفّر من قاله. وكذلك صاحباه ابويعلى ميلاد الطوسي وابوالقاسم الرازي (٢).

وليته سمّى القائلين بالتحريف من الشيعة، اذ ليس مذهب الشيعة (القائلين بالإمامة والمعتقدين باصل العدل) سوى الطريقة التي مشى عليها السيد وشيخه المفيد وزميله الطوسي واضرابهم من اعلام الطائفة، فاستثناء هؤلاء الأمثال يعني استثناء رؤوس المذهب واعيان الملّة لانّ المذهب والملّة انما يتمثل فيهم لافي غيرهم من الشرذمات.

ومن طريف ما يذكر في المقام ما ذكره الشريف رضي الدين ابوالقاسم علي بن موسى، ابن طاووس المتوفى سنة ٦٦٤ بصدد تفنيد ما نسبه ابوعلي الجبائي المتوفى سنة ٢٣٥ الى الشيعة الامامية من القول بالتحريف، قال: «كلما ذكرته من طعن وقداح على من يذكر ان القرآن وقع فيه تبديل وتغيير، فهو متوجّه على سيدك عثمان، لان المسلمين اطبقوا على انّه جمع الناس على هذا المصحف الشريف، وحرّف واحرق ما عداه من المصاحف، فلولا اعتراف عثمان بانّه وقع تبديل وتغيير من الصحابة، ما كان هناك مصحف محرّف، وكانت تكون متساوية، ويقال له: انت مقرّ بهؤلاء

(١) الفصول المهمّة ص ١٦٤ ــ ١٦٦.

(٢) الفصل في الملل والنحل ج ٤ ص ١٨٢.

القراء السبعة وهم مختلفون فى حروف وحركات وغير ذلك ، ولولا اختلافهم لم يكونوا سبعة، بل كانت هناك قراءة واحدة... فمن ترى ادعى اختلاف القرآن وتغيّره، انتم وسلفكم لا الرافضة على حدّ تعبيركم! ومن المعلوم من مذهبنا ان القرآن واحد نزل من عند واحد، كما صرح بذلك امامنا جعفر بن محمد الصادق، عليه السلام.

ويقال له: انك ادعيت فى تفسيرك ان «بسم الله الرحمان الرحيم» ليست من القرآن ولاتعرونها آية من القرآن، وهى مائة وثلاث عشرة آية فى المصحف الشريف تزعمون انّها زائدة وليست من القرآن، وان عثمان هو الذى اثبتها فيه على رأس السور فصلا بين السورتين... فهل هذا الا اعتراف منك يا اباعلى بزيادتكم انتم فى المصحف الشريف زيادةً لم تكن من القرآن ولا من آيه الكريمة...(١).

* * *

وبعد... فكم نستغرب سقطات هفت من بعض كتاب العصر، انتهجوا سبيل سلفهم تقليدا من غير تحقيق «قالوا انا وجدنا آبائنا على امةٍ وانا على آثارهم مقتدون». نسبوا الى امة كبيرة اسلامية ما هم منه براء.

هذا (الاستاذ الرافعى) وهو كاتب قدير، نراه قد لهج مالاكه سلفه المفترى (ابن حزم الظاهرى) فى رمى الشيعة الامامية بالقول بالتحريف افتراء عليهم ناشئا من عصبية عمياء «فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور».

انظر الى هذر هذا الاستاذ الناقد:

«اما الرافضة ــ اخزاهم الله ــ فكانوا يزعمون ان القرآن بدّل وغيّر، وزيد فيه، ونقص منه، وحرّف عن مواضعه، وان الأمة فعلت ذلك بالسنن ايضا. وكل هذا من مزاعم شيخهم وعالمهم (هشام بن الحكم) لأسباب لامحل لشرحها هنا، وتابعوه عليها جهلا وحماقة» (٢).

كل كلمة كلمة من تعابيره هذه كذبة فظيعة وفرية شنيعة، وان شئت فقل:

(١) سعد السعود ص ١٤٤ــ ١٤٥.

(٢) هامش الاعجاز ص ١٤٣.

كلها مسبّات وشتائم لاذعة، لاتليق بقلم كاتب اديب له شأن فى امته وبلاده، اللهم الا اذا استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكرالله، والعياذ بالله، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والعاقبة للمتقين.

توجيه كلام بمالايرضى صاحبه

تلك كانت مواقف علمائنا الأعلام المشرّفة بشأن الدفاع عن قدسيّة القرآن الكريم. وكانت مواقف حاسمة وكلمات صريحة فى رفض احتمال التحريف.

غير ان جماعة من اصحاب السلائق المعوجّة ــ حيث لم يرقهم ذلك الدفاع النزيه ــ حاولوا توجيه كلماتهم الى غير وجهها فى تأويلات بعيدة.

فقد حاول الشيخ النورى تأويل صمود اقطاب الإماميّة فى قولهم بعدم التحريف، الى انّها مماشاة مع الخصوم فى ظاهر الأمر، اما العقيدة فعلى خلاف ظاهر المقال!!.

قال: ان لكلام هؤلاء الأ جلاّء تأويلاً غير ظاهر كلامهم، فانّه صادر مجاراة مع المخالفين او سداً لباب الطعن فى الدين!

قال ــ تعقيباً على كلام الصدوق الآنف ــ: والأولى توجيهه بما نوجّه كلام السيد والشيخ وغيرهما من سائر المحققين الأعاظم(١). وقال ــ فى توجيه كلامها ــ: انّ طريقتها المماشاة والمداراة مع المخالفين(٢).

واستند ــ فى هذا التوجيه غير الوجيه ــ الى رواية رواها الصدوق فى كتابه «معانى الأخبار»: «انّ عائشة قرأت: حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر»(٣). وهكذا نقل عن الشيخ انّه ذكر فى تفسيره «التبيان» قراءة ابن مسعود: «فما استمتعتم به منهنّ الى اجل مسمّى»(٤). وعن السيّد ــ فى الشافى ــ انه طعن

(١) فصل الخطاب ص ٣٢.
(٢) فصل الخطاب ص ٣٤.
(٣) معانى الأخبار ص ٣١٤ (ط نجف).
(٤) التبيان ج ٣ ص ١٦٦.

على عثمان احراقه للمصاحف وابطاله سائر القراءات(١).

واستنتج اخيراً: انّهم ذهبوا فى مسألة التحريف مذهب التقيّة!

وذكر انّ هؤلاء المشايخ الأربعة (الصدوق والمفيد والمرتضى والطوسى) خالفوا المذهب وقد شاعت هذه المخالفة حتى صارت مذهب الأصوليين من اصحابنا الإمامية واشتهر بينهم حتى قال المحقق الكاظمى فى شرح الوافية: انّه حكى عليه الإجماع.

قال النورى: وبعد ملاحظة ما ذكرنا تعرف انّ دعوى الإجماع هنا جرأة عظيمة! قال: وكيف يمكن دعوى الإجماع بل الشهرة المطلقة على مسألة خالفها جمهور القدماء وجل المحدثين واساطين المتأخرين. بل رأينا كثيراً من كتب الأصول خالية عن ذكر هذه المسألة، ولعل المتتبع يجد صدق ما قلنا(٢).

انظر الى هذا التهافت الباهت، كيف يجعل من المشايخ الأربعة، مخالفين للمذهب، وهم اساطينه وعلى عواتقهم رست قواعدها. فان كانت لمذهب الحق طريقة، فانّهم مهدوّها وعبّدوها واسسوا معالمها، ولا يعرف المذهب الا من قبلهم هم لا عن سواهم من اغيار!

والاغرب انّه جعل جماعة الإمامية ايضاً مخالفين للمذهب، ولا ندرى ما هذا المذهب الذى اختص به هو وسائر الأخباريين المساكين؟! وقد خالفهم جماعة الشيعة الإمامية من اصوليين والمتعهدة من قدامى المحدثين!

قوله: جمهور القدماء...

اراد بهم جماعة من اصحاب الحديث القدامى كالصفّار(٢٩٠) والعياشى (٢٣٣). والنعمانى (٣٦٠) واضرابهم من اصحاب الكتب، وفيها روايات حسبها دالة على التحريف حسب فهمه، وسنبحث ــ فى فصل قادم ــ انّ رواية الحديث لاتكشف عن معتقد الراوى اطلاقاً. وما ذلك الّا تحميل فى الرأى يشبه الإفتراء.

(١) فصل الخطاب ص ٣٢ــ ٣٤.

(٢) فصل الخطاب ص ٣٤ــ ٣٥.

وكذا نسب الى بنى نوبخت(١) من متكلمى الشيعة قولهم بالتحريف فى مثل الكلمة أو الكلمتين ممّا لايضرّ بجانب الإعجاز. كقراءات ابن مسعود. وفى مثل قراءة بعضهم: «وسارعوا» وآخر: «سارعوا» بلا واو.

ومن الواضح انّ ذلك يرجع الى إختلاف القراءات ممّا لايمسّ حديث التحريف، لكن الغريق يتشبّث بكلّ حشيش!

وهكذا نسب الى ابن شاذان (٢٦٠) ايضا ذهابه الى التحريف، بحجة انّه فى كتاب «الإيضاح» انتقد على العامة رواياتهم بشأن ضياع كثير من القرآن كحديث داجن البيت، وحديث رجم الشيخ والشيخة، وحديث جوف ابن آدم وما شاكل، المستلزم تحريفا فى الكتاب العزيز! فقد انكر على اهل الحشو فى روايتهم ما يتنافى وقدسية القرآن الكريم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه(٢). وهذا الإنكار اللاذع ان دلّ فانّما يدلّ على عقيدته الخلاف، ومع ذلك فقد زعم النورى انّه يعتقد الوفاق. قال: وممّن ذهب الى القول بالتحريف الفضل بن شاذان، لانّه يظهر من كتابه انّ ضياع طائفة من القرآن كان من المسلّمات عند العامة(٣)! استنتاج غريب!!.

نعم هكذا تشبثات غريبة تكشف عن وحشة العزلة التى احس بها الشيخ النورى عند تأليف فصل الخطاب، فحاول اختلاق معاضدين له ولو فى عالم الأوهام. الأمر الذى لمسه المسكين من اول يومه، فجعل يتسلّى بنفسه بموافقة الدليل

(١) بنو نوبخت بيت معروف من الشيعة منسوبون الى نوبخت الفارسى المنجم. نبغ منهم كثير من اهل العلم والمعرفة بالكلام والفقه والأخبار والآداب، واشتهر منهم بعلم الكلام جماعة اشهرهم ابوسهل اسماعيل بن على النوبختى وابومحمد الحسن بن موسى النوبختى وكان لهم المام بالفلسفة وسائر علوم الأوائل. ومن هذه الجهة كانت لبعضهم مخالفات يسيرة فى خصوص بعض المسائل مع سائر المتكلمين من الإمامية واهل الفقه والحديث.

(هامش اوائل المقالات ص ٢).

(٢) الإيضاح ص ٢٠٩ فمابعد.

(٣) فصل الخطاب ص ٢٨ وفى المقدمة ص ١٥.

فلايستوحش الإنفراد. قال: لانستوحش الإنفراد مادام يوافقنا الدليل(١) ولكن اين الدليل الذى زعمه مرافقاً له، سوى روايات عاميّة شاذّة ومخالفة لصريح القرآن ولإجماع الأمة على الإطلاق.

واما قوله: جلّ المحدثين واساطين المتأخرين، فارادبهم تلك الفئة الأخبارية التى جعلت اساطينها المتزعزعة تتداعى تجاه صرخة الحق المدويّة. ولا كلام لنا معهم سوى ابداء خطائهم فى هذا الإختيار.

نقل الحديث لاينمّ عن عقيدة ناقله

من سفه القول ان ينسب الى جماعة ما لم يقولوه وانما نقلوه نقلاً. ومجرد نقل الحديث لاينمّ عن عقيدة ناقله مالم يتعهّد صحة ما يرويه والتزامه به. وهكذا نسبوا الى جماعة من اعاظم اهل الحديث كمحمد بن يعقوب الكلينى وعلى بن ابراهيم القمى ومحمد بن مسعود العياشى، انّهم ذهبوا الى القول بالتحريف، بحجة انّهم اوردوا فى كتبهم احاديث قد تستدعى ــ حسب زعم الناسب ــ وقوع تغيير فى الكتاب العزيز.

وهى نسبة جاهلة لاتعتمد على اساس، وترفضه ضرورة فنّ التحقيق.

وللسيد الشهرستانى الكبير، (الميرزا محمد حسين الحائرى (١٣١٥) كان من اجلة علماء عصره وصاحب فنون) برهانٌ لطيف فى تزييف هكذا مزعومات باطلة، ذكره فى رسالة وضعها دحضاً لشبهة القائل بالتحريف. نورده هنا مع شيىء من تفصيل وتوضيح حسب المناسبة:

قال: انّما تستقيم نسبة عقيدة التحريف الى هؤلاء الأجلاّء، اذا ما تجمعت هناك مقدمات اربعة ضروريّة:

اولاها ــ تعهد صاحب الكتاب بصحة ما يرويه على الإطلاق تعهدا صريحاً وشاملاً.

ثانيتها ــ ظهور تلكم الأحاديث فى التحريف ظهوراً بيّناً بحيث لايحتمل تأويلاً

(١) فى آخر المقدمة من فصل الخطاب ص ٣٥.

أو محامل اخر معتمدة على شواهد من عقل او نقل متواتر.

ثالثها ــ عدم وجود معارض لها بحيث يترجح عليها حسب نظر صاحب الكتاب.

رابعها ــ حجية خبر الواحد عند صاحب الكتاب، كما هو حجة عند الأخباريين، فى مسائل الأصول والفروع على سواء.

فاذا ما توفّرت المقدمات الأربعة، صحت نسبة التحريف الى ارباب تلكم الكتب المشتملة على روايات التحريف كما زعموا! ولكن أنّى لهم باثبات ذلك، ودون اثباته خرط القتاد(١).

ثمّ مع فرض التعهد ايضاً فهو امر تقريبى لاتحقيق. هذا الصدوق ــ رحمه الله ــ قد التزم فى مفتتح كتابه «الفقيه» بأن ما يرويه فى هذا الكتاب مضمون الصحة ويعتقد حجيّته فيما بينه وبين ربّه، ومع ذلك نراه قد يروى المراسيل او شواذ الأخبار وربما على خلاف فتواه صريحا.

ومن ثمّ فمن الجفاء نسبة القول بالتحريف الى ارباب الكتب الأقدمين الأجلاء لمجرد العثور على بعض ما يستدعى التحريف فى كتبهم، حسب زعم الناسب لاغير.

نسبة مفضوحة

هذا المحدث النورى ينسب الى ثقة الإسلام الكلينى ذهابه الى القول بالتحريف استناداً الى ايراده فى الكافى الشريف روايات قد تستدعى تحريف الكتاب دلالة تبعية لا ذاتية.

قال: وهو ــ اى القول بالتحريف ــ مذهب الكلينى، على ما نسبه اليه جماعة، لنقله الأخبار الكثيرة الصريحة(!) فى هذا المعنى، فى كتاب الحجة خصوصاً فى باب النكت والنتف من التنزيل، وفى الروضة. من غير تعرّض لردّها أو تأويلها،

(١) البرهان ص ١٣٩.

كما استظهر شارح الوافية من الباب الذي عقده لبيان انه لم يجمع القرآن كله الاّ الأئمة ــ عليهم السلام ــ فانّ الظاهر من طريقته انه انّما يعقد الباب لما يرتضيه(١).

قلت: غالبية الروايات التي اشار اليها، انّما اوردها الكليني ايراداً من غير ما التزام بصحتها. وقد صرح العلامة المجلسي ــ في الشرح ــ بضعف اسنادها في الأكثر. هذا فضلاً عن عدم دلالتها على التحريف ولا اشارة اليه. بل لها معانٍ غيره، سنذكره بتفصيل عند التعرض لآحاد الروايات.

ولنذكر هنا اهم ما تمسكوا به في هذا الشأن ونجعله مثلاً باقياً في سائر الموارد. ونتبيّن كيف غرّ هؤلاء المساكين ظواهر العبائر من غير ان يتدبروا في حقيقة الأمر. واليك شاهداً من تلك الشواهد:

ليس في الكافي ما يريب؟

عقد الكليني في كتاب الحجة من اصول الكافي، باباً اسماه: (باب انه لم يجمع القرآن كلّه الاّ الأئمة ــ عليهم السلام ــ وانهم يعلمون علمه كلّه)(٢).

هذا عنوان الباب، ومقصوده من جمع القرآن كله، هو ما ذكره في العبارة التالية له التي هي عطف تفسيري: اي العلم بجميع القرآن ظاهره وباطنه.

والدليل على ذلك هي نفس الروايات التي ذكرها تحت هذا العنوان، وهي ست روايات، كانت الثانية حتى الخامسة ضعيفة الإسناد، والأولى مختلف فيها، والأخيرة حسنة كالصحيحة. صرّح بذلك المجلسي في الشرح(٣).

جاء في الحديث الأول: «ما ادّعى احد من الناس انه جمع القرآن كلّه كما انزل الاّ كذّاب وما جمعه وحفظه كما نزّله الله تعالى الاّ علي بن ابي طالب والأئمة من بعده ــ صلوات الله عليهم ــ».

(١) فصل الخطاب ــ المقدمة الثالثة ــ ص ٢٥.

(٢) اصول الكافي الشريف ج ١ ص ٢٢٨.

(٣) مرآة العقول الطبعة الحديثة ج ٣ ص ٣٠ ــ ٣٤.

قوله: «جمع القرآن كله كما انزل» اشارة الى مصحف على ــ عليه السلام ــ حيث كان على ترتيب النزول تماماً، مشتملاً على التنزيل والتأويل ــ حسبما شرحناه فى موضعه(١) ــ وقد ورثه اولاده الأئمة المعصومون عليهم السلام. ولو وجد لوجد فيه علم كبير، كما قال الكلبى. الأمر الذى لايرتبط ومسألة الزيادة او النقص فى نص الكتاب.

فى الحديث الثانى: «ما يستطيع احد أن يدعى ان عنده جميع القرآن كلّه، ظاهره وباطنه غير الأوصياء».

وفى الحديث الثالث: «أوتينا تفسير القرآن واحكامه».

وفى الحديث الرابع: «انى لأعلم كتاب الله من اوله الى آخره كأنّه فى كفّى».

وفى الحديث الخامس: «وعندنا ــ والله ــ علم الكتاب كلّه».

وفى الحديث السادس: ــ عند تفسير قوله تعالى: ومن عنده علم الكتاب ــ: «ايانا عنى».

هذه هى الأحاديث التى ذكرها الكلينى تحت العنوان المذكور. وهى لاتعدو دلالتها على ان علم الكتاب كلّه انما هو عند اهل البيت الذى هم أدرى بما فى البيت. فاذا كان رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ هو مدينة العلم، فانهم ابوابها المؤدية اليه، باجماع الأمة.

هذا هو محتوى جموع هذه الأحاديث الشريفة، وقد أوردها الكلينى الخبير بمواضع كلمات الأئمة ــ عليهم السلام ــ مع علمه بظهورها فى نفس المحتوى. الأمر الذى يطلعك على مراده من عقد ذلك العنوان الفخم الرهيب.

ومن ثمّ كان من الجفاء، نسبة الخلاف اليه، ان هو إلا إفتراء وقول زور. لاسامح الله اصحاب التسامح فى القول بلاعلم.

(١) التمهيد ج ١ ص ٢٢٨ ــ ٢٣٣.

موقفنا من الفئة الأخبارية

كان علماؤنا الأعلام منذ عهد الحضور فالى طول عصر الغيبة على طريقتين فى الإتجاه الأصولى وفى استنباط مبانى شريعة الاسلام: اهل نظر وتحقيق، وهم: المجتهدون. واهل نقل وتحديث، وهم: المحدّثون.

يختلف المحدثون عن المجتهدين بالإعتماد على النقل اكثر من العقل، ولا سيا فى مسائل الأصول، حيث لاحجية لأخبار الآحاد هناك عند المجتهدين.

وقد كان لأهل الحديث أساليب معروفة بالإتقان والإحكام فى الأخذ والتلقّى والتحديث، فى أسانيد الروايات وفى متونها عرضا ومقابلةً مع الأصول المعتمدة.

وعلى هذا الأسلوب الروائى المتقن دوّنت الأصول الأربعة الجامعة لأحاديث اهل البيت عليهم السلام، مأخوذة من مشايخ اجلاّء وعن كتب ذوات اعتبار. وهى: (الكافى الشريف) لثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكلينى (٣٢٩) و(من لايحضره الفقيه) لشيخ المحدثين محمد بن على بن الحسين الصدوق (٢٨٠) و(التهذيب) و(الإستبصار) كلاهما لشيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسى (٤٦٠). قدس الله اسرارهم.

وقد سادت طريقة الإتقان فى النقل والتحديث حقباً من الزمان، وانتهت بدور خاتمة المحدثين الشيخ الحرّ العاملى (١٠٣٣ ــ ١١٠٤) صاحب الموسوعة الحديثية الكبرى (وسائل الشيعة) وفيها ما يسدّ حاجة الفقيه فى استنباط مختلف احكام الشريعة. (جزاه الله خيراً) وفرغ من تأليفه عام (١٠٨٢).

وسار على منهاجه المحدّث الفقيه المولى محسن الفيض (١٠٠٧ ــ ١٠٩١) فى تأليفه كتاب (الوافى) الجامع لأحاديث الكتب الأربعة مع الشرح والبيان. وقد فرغ من تأليفه عام (١٠٦٨) وقد ارخه المصنف فى بيت شعر انشده فى آخر الكتاب:

(جمعت الأحاديث) تاريخه اذا انت احسنت تعداده

* * *

اما وبعد هذا الدور، فيأتى دور الإنحطاط والإسترسال فى نقل الحديث وفى رواية الأخبار، واصبح أهل الحديث مجرد نَقَلة آثار وحَفَظة أخبار، من غير اكتراث لا بالأسانيد ولا بصحة المتون. فقد زالت الثقة بأحاديث ينقلها هؤلاء (الأخباريون) المسترسلون، بعد انتهاء دور (المحدِّثين) المُتقِنين.

إنهم اهتموا بتضخم الحجم اكثر من الدقّة فى المحتوى، ومن ثمّ لم يأبهوا ممن يأخذون وعلى اىّ مصدر يعتمدون، انما المهم حشد الحقائب وملؤ الدفاتر بنقول وحكايات هى اشبه بقصص القصّاصين واساطير اسرائيليّة مبتذلة.

ومن ثمّ واكبوا اخوانهم (حشويّةً العامة) الذين سبقوهم فى هذا المضمار، وخلطوا وخبطوا وابتذلوا شرّ ابتذال.

فقد جاءت بليّة اهل السّنة من العامة من قبل اهل الحشو فى الحديث، كذلك جائتنا البليّة من قبل هؤلاء (فئة اخباريّة) نبعت فى عصر متأخر عن دور الشيخين العلمين (العاملى والكاشانى) الذّين خُتم بوفاتها دور التحقيق والإتقان فى نقل الحديث.

* * *

وقد عرفت ان علمائنا المحققين أطبقوا على رفض احتمال التحريف فى كتاب الله الذى: ــ

لايأتيه الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (١).

وكذلك محدّثونا القُدامى من لدن شيخهم ورئيسهم الصدوق، حتى عصر العلمين خاتمتى المحدثين الحرّ العاملى والفيض الكاشانى.

نعم جاءت فكرة التحريف، قصداً الى رفض حجيّة الكتاب، من قبل هذه الفئة (الأخباريّة) التى نبعت على حاشية الخليج فى جوّ مظلم بغياهب الجهل والعاميّة مضافاً اليه بعض السذاجة وسرعة الإسترسال.

(١) فصلت ٤١/ ٤٢.

كان من طابع هذه الفئة هى السذاجة فى التفكير، الناجمة عن حياتها البدائية، بعيدة عن معالم الحضارة العلميّة التى كانت عليها علماؤنا فى مراكز العلم المعروفة.

وهذا مما جعل من كتب هذه الفئة لاتُشبه من كتب اقطاب الشيعة الإمامية المليئة بالتحقيق والتدقيق فى اصول الشريعة وفروعها.

هذا السيد نعمة الله الجزائرى ـ غفرالله له ـ (١٠٥٠ ـ ١١١٢) عَلَم هذه الفئة الشاخص(١) والمبدع لفكرة التحريف على اساس جمع الشوارد من الأخبار، نراه يعتمد الغرائب والشواذ فى كتبه ويشحنها بأقاصيص أسطورية، لاسابقة لها فى كتب علمائنا الأعلام.

بينما الصدوق ـ عليه الرحمة ـ يقول فى مقدمة كتابه (من لايحضره الفقيه):

«ولم اقصد فيه قصد المصنفّين فى ايراد جميع ما رووه، بل قصدت الى ايراد ما أُفتى به وأحكم بصحته واعتقد فيه انه حجّة فيما بينى وبين ربّى ـ تقدس ذكره وتعالت قدرته ـ وجميع ما فيه مستخرج من كتب مشهورة عليها المعوّل واليها المرجع...».

... نرى المحدث الجزائرى يقول: «نحن نروى جميع احاديث الكتب الأربعة عن المحمدين الثلاثه، بواسطة رجل مجهول الحال، مجهول الحسب والنسب، مع بعد الطريق بقرون...»: ـ

يا لها من سذاجة مفجعة ؟

يحكى من اوثق مشايخه (السيد البحرانى) انّه نقل عن شيخه (الحرفوشى) انّه لاقى رجلاً فى مسجد مهجور من مساجد دمشق، ادعى انّه (المعمّر ابوالدنيا) كان يقول: انّه صحب علياً والأئمة ـ عليهم السلام ـ وسمع حديثهم واحداً واحداً، وسمع مشايخ الحديث وارباب الكتب وسمع حديثهم. فاستجازه الحرفوشى فى الإسناد اليه فاجازه. فكان شيخه يقول: انا نروى عن اصحاب الكتب منذ ذلك الوقت بهذا

(١) يحاول فى كتابه (منبع الحياة) اثبات جواز تقليد الأموات، ميزة اخبارية، تشبه طريقة العامة فى تقليد هم لأصحاب المذاهب الأربعة، على خلاف طريقة المجتهدين من الخاصة بعدم جواز تقليد الأموات.

الإسناد القصير. وهكذا ابتهج السيد الجزائرى بهذه المفاجئة السانحة فجعل يقول: وهانحن ايضا نروى الكتب الأربعة للمحمدين الثلاثة بنفس هذا الإسناد! (١).

وكتابه الذى اسماه (الأنوار النعمانية) ــ من خير تآليفه، وعدّه القوم من جلائل كتبهم ــ مليء بأخبار وقصص خرافية غريبة، ممّا لانظير لها فى كتب اصحابنا الإماميّة.

وهذا الكتاب هو المنبع الأصل للقول بالتحريف(٢) والذى اعتمده النورى صاحب (فصل الخطاب)، وكان قدوته فى هذا الإختيار(٣).

واليك إلمامة قصيرة بشأن هذا الكتاب (الأنوار)، تعرف مدى الفاصل بينه وبين تآليف الشيعة المتقنة:

وقفة عند كتاب (الأنوار النعمانية)

نظرة عابرة فى طيات الكتاب تنبئوك عن مدى ضحالة مستواه، الذى اسقطه عن درجة الإعتبار وعن صلاحية درجه ضمن مؤلفات الطائفة:

مثلا: يحفل بضرطة ابليس اهداها الى لحية فرعون فى قصة اسطورية(٤) ويحكى عن تعلقه بذنب الحمار ليركب سفينة نوح معبراً عليه(٥) ويتكلم عن السبب لكشف عورة الماعز ومسح نوح على حياها(٦) ويعلل نجاسة عذرة الإنسان ونتنها بأنها من اثر تغوط ابليس فى جوفه فى بدء الخلقة(٧). ويقول عن الشجرة المنهية انها كانت

(١) راجع: الأنوار النعماتية ج ٢ ص ٧. وقد جاءت روايته بهذا الإسناد الغريب فى ج ٢ ص ٣٨٢ بالتصريح، فى قصة خيالية محضة.

(٢) ج ٢ ص ٣٥٧ وج ١ وص ٩٧ و ٩٨ و ٢٧٧.

(٣) راجع: فصل الخطاب ص ٢٥٠.

(٤) راجع: الأنوار النعمانية ج ١ ص ٢٣٨.

(٥) المصدر ج ١ ص ٢٣٩.

(٦) ج ١ ص ١٥٣.

(٧) ج ١ ص ٢٣٣.

مدّخرة لعلي ــ عليه السلام ــ وشيعته(١) ويقول في سبب امكان احتواء صلب آدم لتلك الكثرة من الذر، بانّه كان عظيم الجثة، رجلاه على الصفا ورأسه فوق اطباق السماء(٢) كما كان عوج يأخذ الحيتان من قعر البحار ويرفعها الى عين الشمس. ولم يبلغ الماء عند الطوفان ركبتيه(٣) ويذكر عن الغول وانه يسكن شطوط البحار في بلاده، حكاية عن الثقات(٤) ويصف السحب بانّها كالغرابيل تستقر على الجبال، وقد يحتال الناس لاصطيادها، فيسحبونها بالحبال ويستعملونها في مصالح لهم، وقد شاهد ذلك بنفسه(٥). ويعلل حرمة لحم الجرّى بانّه رفض ولاية اهل البيت ــ ع ــ اما العصفور فانّه سنّيّ المذهب فيجب قتله واكل لحمه(٦) ويروى عن شيخ اسدى انه رأى علياً ــ عليه السلام ــ في صورة اسد جاء لزيارة جثة ولده الحسين ــ عليه السلام ــ (٧) ويحاول اثبات شجاعة اميرالمؤمنين ــ ع ــ بما حكاه الحافظ البرسى (٨) انه عند ما شق المرحبَ نصفين اصاب سيفه الأرض فشق طبقاتها حتى وصل الى الحوت لولا ان تداركه جبرائيل (٩) ويشنع على اصحابنا الإمامية في ترجيحهم المعقول على المنقول، بكلام نقله عن افلاطون عند ما دعاه المسيح الى الإسلام. قائلاً: أنت مبعوث الى ضعفاء العقول(١٠) مع العلم انّه سبق زمان المسيح باربعة قرون (٤٣٠ ــ ٣٤٨ق م) وزعم من جنود فرعون انّهم اغرقوا في شط النيل(١١) مع العلم ان غرقهم

(١) ج ١ ص ٢٤٤.
(٢) ج ١ ص ٢٨١.
(٣) ج ١ ص ٢٥٠.
(٤) ج ١ ص ٣٢٩.
(٥) ج ١ ص ٣١٧.
(٦) ج ١ ص ٢٩٢.
(٧) المصدر ج ٣ ص ٢٤٩.
(٨) يقول العلامة المجلسي عنه: لا اعتمد على ما يتفرد به الحافظ البرسي لخلطه وخبطه (بحار الأنوار ج ١ ص ١٠).
(٩) الأنوار النعمانية ج ١ ص ٥٥.
(١٠) المصدر ج ٣ ص ١٣٠.
(١١) المصدر ج ٣ ص ٣١٠.

كان بمضيق السويس من البحر الأحمر. ويذكر في سبب استحكام العداء بين بني هاشم وبني امية ان اميّة وهاشماً ولدا توأمين ملصقاً احدهما بالآخر فوضع بينهما السيف (١) في حين انّ هاشما اخو عبد شمس الذى تبنّى امية من جالية الروم...

الى غيرها من سخائف واقاصيص صبيانية ساقطة ملأبها كتابه الذى اسماه (الأنوار) بتناسب الضد!

ضجّة صاخبة اثارها فصل الخطاب!

قد اسلفنا تواجد الشيخ النورى نفسه فى وحشة العزلة منذان سلك هذا الطريق الشائك، اذ وجد من اقطاب الطائفة متفقة على خلاف رأيه. وكم حاول العثور على رفقة من مشاهير العلماء ولكن من غير جدوى، وقد احسّ الرجل من اول يومه بشَنَعات ومَسبّات سوف تنهال عليه من كل صوب ومكان، وبالفعل قد حصل ووقع فى الورطة التى كان يخافها:

هذا العلامة السيد هبة الدين الشهرستانى ــ يحدثنا عن ايام شبابه يوم كان طالباً من طلبة الحوزة العلمية بسامراء على عهد الإمام الشيرازى الكبير ــ يحدثنا عن ضَجَةٍ ونعراتٍ ثارت حول الكتاب ومؤلفه وناشره يومذاك، يقول فى رسالة بعثها تقريظاً على رسالة البرهان التى كتبها الميرزامهدى البروجردى بقم المقدسة ١٣٧٣ هـ.

يقول فيها: «كم انت شاكر مولاك اذ أولاك بنعمة هذا التأليف المنيف، لعصمة المصحف الشريف عن وصمة التحريف. تلك القعيدة الصحيحة التى آنست بها منذ الصغر ايام مكوثى فى سامراء، مسقط رأسى، حيث تمركز العلم والدين تحت لواء الإمام الشيرازى الكبير، فكنت أراها تموج ثائرةً على نزيلها المحدث النورى، بشأن تأليفه كتاب (فصل الخطاب) فلاندخل مجلساً فى الحوزة العلمية الا ونسمع الضجّة والعجّة ضدّ الكتاب ومؤلفه وناشره، يسلقونه بألسنة حداد...» (٢).

(١) المصدر ج ١ ص ٦٧.

(٢) البرهان ص ١٤٣ ــ ١٤٤.

وهكذا هبّ ارباب العلم يسارعون فى الردّ عليه ونقض كتابه بأقسى كلمات واعنف تعابير لاذعة، لم يدعوا لبثّ آرائه ونشر عقائده مجالا ولا قيد شعرة.

وممن كتب فى الردّ عليه من معاصريه، الفقيه المحقق الشيخ محمود بن ابى القاسم الشهير بالمعرّب الطهرانى (١٣١٣) فى رسالة قيّمة أسماها (كشف الإرتياب فى عدم تحريف الكتاب) فرغ منها فى (١٧ ج ٢/ ١٣٠٢). تقرب من اربعة آلاف بيت فى ٣٠٠ صفحة. وفيها من الإستدلالات المتينة والبراهين القاطعة، ما ألجاء الشيخ النورى الى التراجع عن رأيه بعض الشيء، وتأثّر كثيراً بهذا الكتاب، فقام بتأليف رسالة اخرى فارسية(١) بصدد الإجابة وتوجيه ما قصده من التحريف، بأنّه ما أراد من الكتاب المحرّف، هذا القرآن الموجود بين الدّفتين، فانّه باق على حالته الأولى منذ ان توحّدت المصاحف على عهد عثمان، لم يتغيرّ ولم يلحقه زيادة ولا نقصان منذ ذلك الزمان فإلى الآن. بل المراد الكتاب الآلهى المنزل، فقد سقط منه عند الجمع الأول ما ذهب ببعضه، وذلك فى غير الأحكام. وامّا الزيادة فالإجماع قائم من جميع فرق المسلمين كافّة على انّه لم يزد فى القرآن ولو بمقدار اقصر من آية. ولا كلمة واحدة فى جميع القرآن.

فكان يقول ــ دفاعاً عن نفسه، بعد ان وصلته رسالة الردّ ــ: لا ارضى عن الذى يطالع فصل الخطاب ان يترك النظر فى الرسالة الجوابية على كشف الإرتياب. وكان يوصى كل من كانت عنده نسخة من فصل الخطاب ان يضم اليه تلك الرسالة، فانّها بمنزلة المتمّم لذلك الكتاب والكاشف عن مقصود مؤلفه.

يقول صاحب الذريعة: سمعت شيخى النورى يقول: انى حاولت فى هذا الكتاب اثبات ان هذا الموجود بين الدّفتين كذلك باق على ما كان عليه فى اول جمعه كذلك فى عصر عثمان ولم يطرأ عليه تغيير وتبديل كما وقع فى سائر الكتب. فكان حريّاً بأن يسمّى (فصل الخطاب فى عدم تحريف الكتاب)! فتسميته بهذا الإسم الذى يحمله الناس على خلاف مرادى، خطأ فى التسمية، لكنى لم ارد ما يحملونه عليه. بل

(١) فرغ منها فى محرم سنة ١٣٠٣ اى بعد نشر الردّ بسنة.

مرادى اسقاط بعض الوحى المنزل الآلهى، وان شئت فسمّه (القول الفاصل فى اسقاط بعض الوحى النازل) (١).

وقد فرغ من تأليف فصل الخطاب فى ٢٨ ج ٢/ ١٢٩٢. وطبعت فى ١٢ شوال ١٢٩٨.

وايضا كتب فى الردّ عليه معاصره العلامة السيد محمد حسين الشهرستانى (١٣١٥) فى رسالة أسماها (حفظ الكتاب الشريف عن شبهة القول بالتحريف) وقد احسن الكلام فى الدلالة على صيانة القرآن عن التحريف وردّ شبهات المخالف ببيان واف شاف. والرسالة فى واقعها ردّ على فصل الخطاب، ولكن فى اسلوب ظريف بعيد عن التعسف والتحمس المقيت(٢).

وهكذا كتب فى الردّ عليه كل من كتب فى شؤون القرآن اوفى التفسير، كالحجة البلاغى (١٣٥٢) فى مقدمة تفسيره (آلاء الرحمان) قال تشنيعا عليه: وان صاحب فصل الخطاب من المحدّثين المكثرين المجدّين فى التتبع للشواذ وانّه ليعدّ هذا المنقول من دبستان المذاهب ضالته المنشودة، مع اعترافه بأنّه لم يجد لهذا المنقول أثراً فى كتب الشيعة(٣).

ثمّ يذكر طرفاً من روايات تذرّع بها اهل القول بالتحريف، ويحكم عليها بالضعف والشذوذ، وان لها محامل غير ظاهرها المريب، كالرواية عن الكافى ــ فى قوله تعالى: هٰذَا الذّى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٤).

قال عليه السلام: يعنى اميرالمؤمنين عليه السلام. قال الرواى: تنزيل؟ قال:

(١) الذريعة ج ١٠ ص ٢٢٠ــ ٢٢١ وج ١٨ ص ٩ وج ١٦ ص ٢٣١ــ ٢٣٢. ولصاحب الذريعة رسالة حاول فيها الدفاع عن شيخه النورى اسماها «النقد اللطيف فى نفى التحريف عن القرآن الشريف» حاول فيها تأويل ما عرف عن شيخه من القول بتحريف الكتاب. وقدمه للشيخ محمد الحسين آل كاشف يطلب رأيه فى الكتاب. فقرّظه الشيخ ورجح فيه عدم نشره. ومن ثم لم يطبعها امتثالا لأمره. (الذريعة ج ٢٤ ص ٢٧٨) وراجع ايضا كتاب يوم الأربعين للقاضى ص ١٥.

(٢) راجع: البرهان ص ١٤٢.

(٣) آلاء الرحمان ج ١ ص ٢٥. وسنذكر المنقول من كتاب دبستان المذاهب فى فصل مفتريات العامة.

(٤) المطففين ٨٣/ ١٧.

نعم(١) فقوله: يعنى، يدل على انه تفسير. اذ معنى التنزيل هنا هو شأن النزول. فزعمه اهل القول بالتحريف انّه كان قرآنا فأسقط.

واخيراً يقول: هذه الرواية وامثالها قاطعة لتشبثات فصل الخطاب بما حشده من الروايات التى عرفت حالها اجمالاً. والى ما ذكرنا وغيره يشير ما نقلناه من كلمات العلماء الأعلام قُدست اسرارهم(٢).

تراجع ام التواء فى التعبير؟!

قد سمعت الشيخ النورى تراجعه عن رأيه فى التحريف، زاعماً انّه حاول فى كتابه (فصل الخطاب) اثبات عدم تحريف الكتاب المودع بايدى المسلمين منذ الجمع الأول فالى الآن، وان كان هناك تغيير فى الكتاب النازل على رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ ضاع منه ماغفل عنه الجامعون.

هذا كلامه فى (الرسالة الجوابية) التى كتبها ردّاً على كتاب (كشف الإرتياب) الذى نقض شبهات (فصل الخطاب). ومن ثمّ جعل الرسالة متممة للفصل ولم يرض فصلها عنه! وبهذا الأسلوب الملتوى حاول التمويه على اولئك المعترضين الذى قاموا ضدّه واثاروا العجاج على إقدامه ذلك الجرئ! واظنه ــ قد فشل فى هذه المحاولة، اذ يقول: انّى حاولت فى هذا الكتاب اثبات عدم تحريف القرآن، فبالحرى ان يسمّى (فصل الخطاب فى عدم تحريف الكتاب) العزيز الحميد الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

يالله والتساهل بشأن الكتاب العزيز، وليته اعترف بخطائه صريحاً واستغفر ربّه واناب، وترك هذا الالتواء المفضوح!

انه حشد كتابه بابباطيل القول بالتحريف وقاس القرآن بالعهدين(٣) فى

(١) الكافى الشريف ج ١ ص ٤٣٥ رقم ٩١.

(٢) آلاء الرحمان ج ٢ ص ٢٩.

(٣) راجع الدليل الأول من ادلته الاثنى عشر على التحريف، قال: اليهود والنصارى حرفوا كتبهم بعد نبيهم فهذه الأمة ايضاً لابدّ ان تحرف القرآن بعد نبينا... فصل الخطاب ص ٣٥.

التلاعب به ــ والعياذ بالله ــ ثمّ يقول: انّى اردت فى هذا الكتاب اثبات عدم تحريف القرآن وانّه لم يطرأ عليه تغيير وتبديل كما وقع فى كتب العهدين! (١). ان هذا الاّ تناقض صريح، والتواء فى التعبير وخداع مكشوف.

ثمّ انّه فى دليله السابع يقول: ان ابن عفان لما جمع القرآن ثانياً أسقط بعض الكلمات والآيات من القرآن. وما فعل ذلك الاّ ليمحو ما يخاف منه على سلطانه، وقد غفل الشيخان عن إسقاطه، فقام هو بهذا الأمر(٢).

لكنه فى الرسالة الجوابية يقول: ليس مرادى من الكتاب الذى حصل فيه النقص هذا القرآن الموجود بين الدفّتين، فانّه باق على الحال الذى وضع بين الدفتين فى عصر عثمان، لم يلحقه زيادة ولا نقصان، بل المراد الكتاب الآلهى المنزل(٣).

ويقول ــ ايضا ــ: المراد من التحريف الواقع فى الكتاب غير التحريف الواقع فى كتب العهدين، فانّه فى القرآن بالتنقيص فقط فى غير آيات الأحكام(٤).

ما احسن قولهم: توجيه الغلط غلط آخر. يريد ان يرمّم خطائه بارتكاب خطايا أغلظ!

ما هو المفهوم المحصل من كلامه فى الرسالة الجوابية؟!

ان محور البحث فى التحريف وعدمه هى الفترة بعد وفاة الرسول ــ صلى الله عليه وآله ــ حتى عام توحيد المصاحف على عهد عثمان. واما بعد عهد عثمان فلم يقل احد بحصول تغيير فى المصحف الشريف فيما سوى التنقيط والتشكيل والترقيم وما شاكل مما لايمسّ جانب اصل النص.

فان حاول اثبات التحريف فى هذه الفترة القصيرة فهو من اصحاب القول بالتحريف، وقد وضع كتابه (فصل الخطاب) لهذه الغاية، فما وجه الإعتذار، والتعسّف باد على محيّاه؟!

(١) فى حديثه مع تلميذه الطهرانى. الذريعة ج١٦ ص ٢٣٢.
(٢) فصل الخطاب ص ١٤٩.
(٣) الذريعة ج١٦ ص ٢٣١.
(٤) الذريعة ج ١٠ ص ٢٢١.

ماذا يعنى التحريف فى كتب التعهدين ؟

قد يزعم بعض اصحاب التزمّت القشريين، لزوم التماثل بين أحداث الغابر والحاضر تماماً، حتى انهم لو دخلوا جحر ضبّ لدخلته هذه الأمة المرحومة، حذو النعل بالنعل. ومنه مسألة تحريف كتب السالفين، فيجب ان يقع التحريف فى كتاب المسلمين ايضاً، تحقيقاً لضرورة التشابه بين الأمم!

هذا القياس بهذا الشكل يتركب من مقدمتين، احداهما صغرى جلية لابدّ من العلم بتحققها اولاً. والأخرى كبرى شرطية يجب ثبوت التلازم الكلّى فيها بين المقدم والتالى. حسب المقرّر فى علم الميزان (المنطق).

وسوف ــ فى فصل قادم ــ نتكلّم عن مدى كلية الشرطية التى هى كبرى القياس، وان لاضرورة تدعو الى لزوم التشابه التام فى جميع مناحى حياة السلف والخلف.

اما الصغرى فهو موضع دراستنا فى هذا الفصل: ــ

قال النورى: التغيير والتحريف فى كتب العهدين مما لاشك فيه، بعد ملاحظة الآيات الكثيرة، ومتواتر الأخبار، واجماع المسلمين. بل ملاحظة نفس كتب العهدين تكفى شاهداً لإثبات التحريف... (١).

قلت: ليس فى القرآن ما يدل على وقوع التحريف فى التوراة والإنجيل، تحريفاً بهذا المعنى المصطلح (تبديل النص او الزيادة فيه او النقص). وانما هو تحريف معنوى: تفسير الكلام على غير وجهه.

ولم يأت فى شيىء من الأخبار ولا فى كلمات علماء الإسلام مايشى بوقوع تغيير او تبديل فى لفظ النص وتحريفه بالذات، كما لا شاهد عليه البتة!

واليك تفصيل هذا الجانب: ــ

* * *

(١) فصل الخطاب ص ٣٥.

قد اسبقنا(١) ان التحريف الذى استعمله القرآن بشأن كتب العهدين، يراد به التفسير على غير وجهه وهو تحريف معنوى لا غير.

وقال الإمام محمد بن على الباقر ــ عليه السلام ــ: وكان من نبذهم الكتاب ان أقاموا حروفه وحرفوا حدوده، فهم يروونه ولا يرعونه(٢).

وقال الشيخ الطوسى ــ فى تفسير قوله تعالى: يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ (٣) يعنى يغيّرونها عن تأويلها(٤).

وقال الشيخ محمد عبده: من التحريف تأويل القول بحمله على غير معناه، وهو المتبادر (اى من تعبير القرآن) لأنه هو الذى حمل اليهود والنصارى على مجاحدة النبى ــ صلى الله عليه وآله ــ وانكار نبوّته، ولا يزالون يأوّلون البشارات الى اليوم(٥).

وقد قال تعالى:

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٦).

وقال:

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللهِ... (٧)

وقد صرح القرآن بأن من التوراة والإنجيل وسائر الكتب النازلة كانت محفوظة

(١) برقم ٢ (القرآن ولغة التحريف) ص ١١.
(٢) روضة الكافى ج ٨ ص ٥٣ رقم ١٦.
(٣) النساء ٤/٤٦.
(٤) تفسر التبيان ج ٣ ص ٤٧٠.
(٥) تفسير المنار ج ٥ ص ١٤٠.
(٦) آل عمران ٣/ ٧١.
(٧) البقرة ٢/ ١٤٠.

لديهم لو أقاموها وعملوا بها لإبتهجت بهم الحياة العليا السعيدة:

وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ، مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (١).

وقال بشأن التوراة:

أَلْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا...(٢).

كان اهل الكتاب يجعلون من كتبهم اجزاء مجزّأة، يبدون للناس منها ماينفع مقاصدهم اما مايضر منافعهم فانهم كانوا يخفونها. كما كانوا يأولون البشارات ويفسّرونها على غير مجراها فى البشائر بظهور نبى الإسلام.

ومن ثمّ فقد مدح اولئك الذين أخذوا بالكتاب وعملوا بما فيه من غير تحوير او تأويل:

الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ...(٣).

* * *

واليك نماذج من تحريفات فى تراجم العهدين لافى لفظها: ــ

(١) المائدة ٥/٦٦.
(٢) الانعام ٦/٩١.
(٣) الاعراف ٧/١٥٧.

تحريف فى البشائر

١ــ جاء فى سفر التثنية (اصحاح ١٨ عدد ١٥): «يقيم لك الرّب آلهك نبيّا من (وسطك) من اخوتك مثلى. له تسمعون ــ الى قوله: ــ اقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم مثلك، واجعل كلامى فى فمه، فيكلّمهم بكل ما اوصيه به» (١).

هذه ترجمة قام بها المسيحيون تفاديا فى الإنطباق على المسيح عيسى بن مريم ــ عليه السلام ــ حيث انتسابه الى بنى اسرائيل من جهة امّه. فكان نبيّاً مختاراً من وسط بنى اسرائيل.

لكنها ترجمة محرَّفة، والصحيح: «من مقربك» ترجمة مطابقة للأصل، اى من قرابتك ليصحّ كونه من اخوة بنى اسرائيل لامن انفسهم، فكان منطبقا على نبى الإسلام ــ صلى الله عليه وآله ــ كان من ولد اسماعيل اخى اسحاق الذى كان اباً لبنى اسرائيل.

قال الحجة البلاغى: والمترجمون انما ترجموه بذلك تمويها على العامّة. قال: ويكفينا صراحة التوراة المتكررة بكون ذلك النبى من اخوة بنى اسرائيل لامنهم (٢).

٢ــ وفى سفر اشعياء (ص ٢١ ع ٧): «فرآى ركّاباً ازواج فرسان، ركاب حمير وركاب جمال...»، كانت بشائر بافراج تأتى على يد «راكبى حمار» كناية عن ظهور المسيح عليه السلام. و«راكبى جمال» كناية عن ظهور نبى الإسلام صلى الله عليه وآله.

والترجمة هكذا جاءت بصيغة الجمع، امّا الأصل فكان بصيغة الإفراد. قال الحجّة البلاغى: لانّ الأصل العبرى هكذا: «ورآه ركب صمد ركب حمور وركب جمل» وهو لفظ مفرد اما الجمع فى العبرية فيأتى بلفظ «ركبيم. جمليم. حموريم».

قال: وهذه الترجمة المحرفة (بصيغة الجمع) موجودة فى كافة التراجم المطبوعة،

(١) الكتاب المقدس ــ العهد القديم ــ ص ٣٠٨ ــ ٣٠٩.

(٢) الرحلة المدرسية ج ١ ص ٧٤.

سوى النسخة المطبوعة فى لندن سنة (١٨٥٦ م) والمطبوعة فى ادن برغ سنة (١٨٤٥ م). فانّها بالإفراد طبقاً للأصل.

قال: وهذا التحريف يهدف الى تمويه الأمر على العوام لئلا تنصرف اذهانهم الى خصوص شخص النبى ــ صلى الله عليه وآله ــ لو كان بصيغة الإفراد (١).

٣ــ وهكذا اختلف المترجمون فى تفسير كلمة «فارقليطا» معرّب «پيركلوطوس» اليونانية. (والأصل المحفوظ من انجيل يوحنا هى النسخه اليونانية المترجمة عن الأصل العبرى).

جاء فى انجيل يوحنا (ص ١٥ ع ٣٦ وص ١٦ ع ٧) تبشير المسيح عليه السلام بنبىّ يأتى من بعده، فيذكره بصفات وسمات، منها تلك اللفظة، وقد ترجمت الى «المبشر» او «المسلّى» (٢).

قال فخر الإسلام: كلمة «پارقليطا» سريانية، مأخوذة عن اصل يونانى هى «پرى قلى طوس» بمعنى «كثير المحمدة» وينطبق تماما على اسم «محمد واحمد». لكن القوم زعموها مأخوذة من لفظة «پاراقلى طوس» التى هى بمعنى «صاحب التسلية» ومن ثم ترجموها الى «المبشر» او «المسلّى» (٣).

وقال الحجة البلاغى: الكلمة فى الأصل اليونانى «پيركلوطوس» الذى تعريبه «فير قلوط» بمعنى «كثير المحمدة» الموافق لاسم «احمد» و«محمد»، لكنهم صححوه حسب زعمهم الى «پيراكلى طوس» ويعبّرون عنه بـ«فارقليطا» كما عن التراجم المطبوعة بلندن سنة (١٨٢١ و ١٨٣١ و ١٨٤١ م) ومطبوعة وليم بلندن (١٨٥٧ م) على النسخة الرومية المطبوعة سنة (١٦٦٤ م) والترجمة العبرية المطبوعة سنة (١٩٠١ م). لكن ابدله بعض المترجمين الى لفظة «المعزّى والمسلّى» وشاع ذلك (٤).

(١) الرحلة المدرسية ج ١ ص ٧٥.

(٢) العهد الجديد ص ١٧٧ ــ ١٧٨.

(٣) بهامش انيس الأعلام ج ١ ص ١٣.

(٤) الرحلة المدرسية ج ٢ ص ٣٣.

شهادة الأسقف الأعظم :

يقول القسيس المستبصر فخر الإسلام: كنت عند الأسقف الأعظم بواتيكان ــ وكان يحبّني ويقرّبني اليه ــ فسألته عن تفسير كلمة «فارقليطا» فى السريانية، و«پيركلوطوس» فى اليونانيّة ما هو المراد الحقيق ؟.

وكان قد جرى بينى وبين سائر التلامذة حديث ومشاجرة فى تفسيرها ومن ثمّ حاولت فهم معناها الصحيح من الأب الأعظم.

فأشفق علَيَّ الأسقفُ ولا طفنى و اَخَذَتْهُ العبرة فقال: يابنىّ، يصعب علَيَّ مخادعتك ولكن لو بُحت بسرّى هلكت! فحلفت له الأيمان المغلظة، ان لا ابوح بسره مادام على قيد الحياة.

فاعطانى مفتاح غرفة كان قد خصصها لنفسه، وكنت قد ظننت ان بها امواله ونقوده التى تعلق بها، وآذن لى فى فتح صندوق فيه كتب عتيقة، منها نسختان من الكتاب المقدس على ورق الجلد، احداهما سريانية والأخرى يونانية. وكان تاريخ كتابتها يعود الى ما قبل الإسلام.

وكانت ترجمة اللفظة فيها: «احمد» و«محمد» صريحاً...(١).

شهادة المستشرق «كارلونلينو»:

يقول الأستاذ عبدالوهاب النجار: كنت فى سنة ١٨٩٣ ــ ١٨٩٤ ميلادية طالبا بدار العلوم. وكان يجلس بجانبى ــ فى درس اللغة العربية ــ العلامة الكبير الدكتور «كارلونلينو» المستشرق التليانى. وكان يحضر درس اللغة العربية بتوصية من الحكومة الإيطالية، فانعقدت اواصر الصحبة المتينة بينى وبينه. فاتفق ليلة السابع والعشرين من شهر رجب سنة (١٣١١) هجرية ــ وهى ليلة المعراج، والشوارع والدرابين

(١) راجع تفصيل القضية فى انيس الأعلام ج ١ ص٨ ــ ٢٠.

مزّينة والناس فى سرور عيد ان خرجنا فى درب الجمامين، وجرى الحديث بيننا بالمناسبة. وقلت له فى اثناء الكلام ــ وانا اعلم انه يحمل شهادة الدكتوراه فى آداب اليهود اليونانية القديمة ــ: ما معنى «بيريكلتوس»؟ فأجابنى: ان القسس يقولون: ان هذه الكلمة معناها «المعزّى». فقلت له: انىّ اسأل الدكتور «كارلونلينو» الدكتوراه فى اللغة اليونانية القديمة، ولست اسأل قسّيساً! فقال: ان معناها «الذى له حمد كثير». فقلت له: هل ذلك يوافق افعل التفضيل من «حمد»؟ فقال: نعم. فقلت: انّ رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ من أسمائه «أحمد». فقال يا اخى انت تحفظ كثيراً، ثمّ افترقنا، وقد ازددت بذلك تثبتا فى معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح:

«وَمُبَشِّراً برسُولٍ يأتى مِنْ بَعْدِى اسمُهُ أحْمدُ» (١)

تحريف بلهجة التعبير:

هناك نوع آخر من التحريف كان تحريفاً بلهجة التعبير، كانوا يعبّرون بالكلمة تعبيراً محرّفاً فيختلف معناها عما لو كانت تؤدّى بلهجتها الأصيلة.

كانت اليهود تلوّى ألسنتها عند النطق ببعض الكلمات فتنقلب فحشاً ومسبّة. كما قال تعالى عنهم:

مِنَ الذّينَ هادُ وايُحَرّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَواضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنا وَعَصَيْنا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَراعِنا، لَيّاً بِألسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فى الدّين. وَلَوْ أنَّهُمْ قالُوا سَمِعْنا وَأطَعْنا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنا لَكانَ خَيْراً لَهُمْ وَأقْوَمَ وَلكِنْ لَعَنَهُمُ اللهُ بِكُفْرِهِمْ... (٢).

قال الإمام الباقر ــ عليه السلام ــ: «هذه الكلمة سبّ بالعبرانية. اليه كانوا

(١) بهامش تاريخ الأنبياء ص ٣٩٧ برقم ٢.
(٢) النساء ٤/٤٦.

يذهبون». قال الحسين بن على المغربى (١): فبحثت عن ذلك فوجدتهم يقولون: راع على وزن قال ــ فعلاً ماضياً ــ بمعنى الشّر والفساد.

قال الحجة البلاغى: وقد تتبعت العهد القديم العبرانى ــ (وكان رحمه الله يعرف العبرية) ــ فوجدت ان كلمة «راع» ــ بفتحة مشالة الى الألف (راعا) ــ تقريبا ــ وتسمّى عندهم قامص، تكون بمعنى الشر او القبيح (٢) وبمعنى الشرّير واحد الأشرار (٣) وكما فى ترجمة الأناجيل بالعبرانية. و«نا» ضمير المتكلم وفى العبرانية تبدل الفها واواً او تمال الى الواو، فتكون «راعنا» ــ ممالة الى الواو، بمعنى شريرنا ونحو ذلك (٤).

وقال الأستاذ عبده: ومن تحريف اللّسان وليّه فى خطابهم للنبى (ص) قولهم فى التحية «السام عليكم» ــ وهو بمعنى الموت ــ يوهمون بذلك اى بفتل اللسان وجمجمته انهم يقولون: «السلام عليكم». وقد ثبت ذلك فى الصحيح. وانه (ص) بعد علمه بذلك كان يجيبهم بقوله «وعليكم» اى كل احد يموت (٥).

(١) هو الوزير الموفّق ابوالقاسم المغربى من شيوخ النجاشى. كان اديباً شاعراً فاضلاً مترسلاً كثير الفنون، حافظاً وكبيراً من العلماء عالماً بالحساب والجبر والهندسة. قال ابن ابى الحديد: وكان غالياً فى تعصّبه لقحطان مع تشيّعه!

توفى فى النصف من رمضان سنة ٤١٨ هـ بميافارقين، وكان اوصى بدفن جثمانه فى جوار الإمام اميرالمؤمنين عليه السلام فانتقل اليه. كما اوصى ان يكتب على قبره هذان البيتان:

كنت فى سوء الغواية والجهل ... مقيما فحان منّى قدوم
تبت من كل مأثم فعسى ... يمحى بهذا الحديث ذلك القديم

(٢) كما جاء فى الفصل الثانى والثالث من السفر الأول من العهد القديم.
(٣) كما جاء فى الفصل الأول من السفر الخامس. وفى ٦٤ و٧٨ من المزامير.
(٤) تفسير آلاء الرحمان ج ١ ص ١١٣ ــ ١١٤.
(٥) تفسير المنار ج ٥ ص ١٤٢.

لمحة خاطفة عن تاريخ العهدين :

ان وقفة قصيرة عند تأريخ العهدين تجعل من موقف المحقّق متشككا فى بقاء النص الأصل، انّما الباقى هى تراجم ناقصة اوشئت فقل: انّها كتب مؤلفة فيما بعد، وفى ضمنها بعض تعاليم الأنبياء مودعةً فيها بالمناسبة.

امّا العهد القديم المشتمل على (٣٩) كتابا فطابعه طابع كتب التاريخ يسجل فيها احداث امة بالذات. ففيها من تاريخ بنى اسرائيل عبر حياتهم السياسية والإجتماعية والدينية.

وكذا العهد الجديد المشتمل على (٢٧) كتاباً ورسالةً، منها الأناجيل الأربعة المعروفة، وهى جميعا قصة حياة المسيح عليه السلام وفيها من تعاليمه الشيىء الكثير حسب رواية مؤلفيها.

وهذه الكتب قدفقدت نسخها الأصلية، وبقيت تراجمها بلغات غير لغتها الأولى. ومن ثمّ فالتحريف انّما كان فى هذه التراجم بالذات وليس فى الأصل.

لعلك تقول: فما تصريح القرآن بوجود التوراة عندهم وفيها حكم الله (١). وكذا ترغيبهم فى العمل بالكتابين واقامة ما فيها من تعاليم واحكام(٢). فلولا وجودهما لحد ذلك الوقت ــ على الأقل ــ لما كان لذلك التصريح وهذا الترغيب وجه وجيه؟!

لكن يجب ان لانتغافل مسألة المجاراة فى التسمية. قوله تعالى: **قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** (٣). اى فأتوا بهذه التى تسمّونها التوراة، فانّ فيها التحريم والتحليل الذى كان لبنى اسرائيل، حسب زعمكم.

(١) الآية: ٤٣ من سورة المائدة.

(٢) المائدة: ٦٦ و ٦٨ وآل عمران: ٩٣.

(٣) آل عمران ٣/٩٣.

وقوله: وَعِنْدَهُمُ التَّوراةُ فيها حُكْمُ اللهِ...(١). اى فى هذا الموجود الحاضر ايضاً قسط وافر من شريعة الله. لو عملتم بها لكان خيراً لكم. لكنكم:

تَجْعَلُونَه قَراطيسَ تُبْدُونَها وَتُخْفُونَ كَثيراً (٢).

اما الآن فقد جاء الإسلام ليبدى ما كنتم تكتمون:

قَدْ جاءكُمْ رَسُولُنا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثيراً مِمّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتابِ ... (٣).

قال الحجة البلاغى: بل سماه التوراة لأن اسم ذلك الكتاب (العهد القديم ولا سيّما الأسفار الخمسة) عند اليهود توراة، فجاراهم فى التسمية لكى يجادلهم بالتى هى احسن (٤).

قلت: ومن ثمّ عبّر عنهم فى سورة آل عمران: ٢٣ وفى سورة النساء: ٤٤ و ٥١ بالذّين اوتوا نصيبا من الكتاب. تعبيراً حقيقياً باعتبار ما عندهم هو قسط من التوراة والإنجيل فيما بايديهم من الكتب الموروثة.

واليك فهرسا موجزاً عن العهدين وعن قصة حياتها:

العهد القديم:

هو عبارة عن مجموعة كتب تبلغ تسعاً وثلاثين كتاباً، يرجع تاريخ كتابتها الى ما بين القرن العاشر ونهاية القرن الثانى قبل الميلاد. اى الى ما بعد وفاة موسى ـ عليه السلام ـ (كانت وفاته سنة ١٤٥١ ق م) بخمسه قرون تقريباً.

(١) المائدة ٥/٤٣.
(٢) الانعام ٦/٩١.
(٣) المائدة ٥/١٥.
(٤) الرحلة المدرسية ج ٢ ص ٣٣.

قال الدكتور المحقق «بوكاى»: كتبت مجموعة العهد العتيق خلال تسعة قرون على اساس تدوين النقول الشايعة. وكان تدوين بنية الأسفار الخمسة المنسوبة الى نبى الله موسى ــ عليه السلام ــ حوالى القرن العاشر قبل الميلاد. ثم زيدت عليه بعض الإلهيات وروايات الكهنة فى عهد متأخر. وهكذا استمر تدوين كتب اخرى طى القرون المتأخرة. وفى عام ٥٣٨ (ق م) وبه ينتهى الأسر البابلى على يد كورش الكبير، وبعده عاد كهنة بنى اسرائيل الى كتابة جملة من الكتب منها: كتاب حجى وزكريا واشعياء الثالث ودانيال وغيرها. وفى القرن الثالث قبل الميلاد كُتب كتابا التاريخ وكتاب عزرا ونحميا. وفى القرن الثانى كُتب «اكله زياستيك». وكتاب امثال سليمان وكتابا مكابيون، قرناً قبل الميلاد.

ثم يقول: هكذا نجد العهد العتيق يتجلى اثراً ادبياً لقومية اليهود، يحتوى على تاريخ حياتهم منذ البدء فالى عصر ظهور المسيح ــ عليه السلام ــ كتبت هذه المجموعة واكملت فى الفترة مابين التاريخين: القرن العاشر والقرن الأول قبل الميلاد. قال: وليس هذا من نظرتى الخاصة، وانّما هو مأخوذ من معلومات جاءت بها دائرة المعارف العامة من مقال «ژ. ب. ساندروز» (١).

وقال الأستاذ وجدى: يقول نقدة التاريخ: ان موسى ــ عليه السلام ــ ولد سنة (١٥٧١ ق م) وتوفى على جبل ينبو فى التيه سنة (١٤٥١) فيكون قد عمر مئة وعشرين سنة. ثم ينقل عن دائرة معارف «لاروس»: انّ قدماء المسيحيّين وغيرهم يمجدون مؤسس الديانة الموسوية، وانّه قد اسّس مدنيّة ودِيناً. لكنا لانملك الكتاب الحقيقى لشريعته. ولقد نسبت اليه التوراة او الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس، ولكن هذه التوراة حاملة لآثار لانزاع فيها من الحواشى والتنقيحات ومن دلائل اخرى تدل على أنها أُلفت بعد وفاة موسى بعهد طويل. فقد ذكرت فيها اسماء مدن لم توجد الاّ بعد موسى. ويجد القارئ فيها ان موسى قد ذكر وفاة نفسه فيه! ويلاحظ تالى التوراة ان مؤلّفة الذى لم يذكر اسمه ينوّه عن موسى كما ينوّه عن رجل

(١) من كتابه المترجم «العهد ان والقرآن والعلم» ص ٢٥ ــ ٢٨ ترجمتها الفارسية بقلم الدكتور حسن حبيبى.

مات منذ قرون كثيرة. وزيادة على ما تقدم فان الأسفار الخمسة اسماؤها يونانية وتاريخها هو تاريخ الترجمة السبعينيّة ...(١).

التوراة المنسوبة الى موسى عليه السّلام :

وهى الخمسة الأولى من اسفار العهد العتيق: سفر التكوين. وسفر الخروج. وسفر اللاويين. وسفر العدد. وسفر التثنية. تشتمل على ذكر الخلقة وتاريخ حياة الإنسان ومبعث الأنبياء واحداً بعد واحد، حتى ينتهى الى اضطهاد فرعون لشعب اسرائيل وقيام موسى بالأمر والخروج بنى اسرائيل والاحداث الكبرى التى مرت بهم فى التيه وموت موسى بها فى النهاية (١٤٥١ ق م).

وقد قلنا: ان هذه الأسفار لا تصلح ان تكون هى التوراة الأصلية التى نزلت على موسى ــ عليه السلام ــ فى ألواح.

نعم تلك الألواح التى كان مكتوباً عليها شريعة موسى ــ عليه السلام ــ جعلت فى صندوق، وكانت مع بنى اسرائيل يحفظها الكهنة يداً بيد.

لكنها ــ حسب ما جاء فى سفر الملوك الأول (اصحاح ٨ عدد ٩) ــ ضاعت على عهد سليمان (٩٧١ ــ ٩٣١ ق م) ــ عليه السلام ــ عند ما اكمل بناء البيت واراد نقل التابوت الى محراب القدس عام (٩٦٠ ق م) اى بعد موت موسى ــ عليه السلام ــ بأربعمأة وتسعين عاماً. وذلك ان الكهنة ــ حينذاك ــ فتشوا التابوت فلم يجدوا فيه سوى لوحين من الواح الشريعة(٢). ولم يكن على اللوحين المذكورين سوى عشرة من احكام الشريعة، اما البقية فقد ضاعت الى غير اثر(٣).

وهل عثروا عليها بعد ذلك العهد؟

جاء فى سفر الملوك الثانى (اصحاح ٢٢ عدد ٨): ان «حلقيا» الكاهن

(١) دائرة معارف القرن العشرين ــ فريد وجدى ــ ج ٩ ص ٥٥٣ ــ ٥٥٤.

(٢) الكتاب المقدس ــ العهد القديم ــ ص ٥٤٥.

(٣) انيس الأعلام ج ٣ ص ١٧٠ وراجع الجزء الثانى ايضا ص ٢٢ ــ ٢٣ وراجع سفر التثنية (اصحاح ٥ عدد ٢٢) الكتاب المقدس ــ العهد القديم ص ٢٨٨.

الأعظم عثر على سفر الشريعة اثناء محاسبته للنقود المتبرعة فى صندوق البيت. وذلك بعد ان مضى من ملك «يوشيّا» (١) سبعة عشر عاماً، اى سنة (٦٢٢ ق م) فسلّمه الى كاتب الملك «شافان» الذى كان ناظرا فى امر العمّال الشاغلين لترميم ثلم البيت آنذاك . فجاء به شافان الى الملك فاستبشر به وطار فرحاً، لما فيه من نعمة غير مترقّبة. فاعلن به الملك وقرأه على عامة بنى اسرائيل فى اجتماع عظيم.

وكان بنوا اسرائيل قد انحرفوا قبل ذلك وافسدوا واتخذوا الأصنام، فاهتمّ الملك باعادة الشريعة وتطهير البيت من الأوثان، وطرد السحرة والعرّافين وجميع الرجاسات من ارض يهوذا ومن كافة انحاء اورشليم. هكذا يصفه سفر الملوك الثانى: كان متجهاً بكل قلبه الى الله، ساعياً فى احياء شريعته بكل قوّة. فلم يكن قبله ولا جاء بعده احد مثله(٢).

هذا... ولكن الأمر مريب، وهل كان «حلقيّاً» صادقاً فى عثوره على سفر الشريعة بعد ضياعه ذلك الامد البعيد؟ فقد طال دور الضياع اكثر من ثلاثة قرون (٣٣٨) من سنة (٩٦٠) الى (٦٢٢) قبل الميلاد، وكان الخطوب خلال هذه المدة تترى على القدس، فقد تعرض البيت للنهب والغارة مرّات، منها عام (٩٢٧ ق م) حيث اغار «شيشاق» فرعونُ مصر، على صهيون وخرّب بلادهم واباد آثارهم وسلب البيت ونهب مافيه. ومنها ما تكرر على عهد الملك الإسرائيلى المرتد (منسىّ) ــ(٦٩٨ ــ ٦٤٢ ق م) ــ حيث دعى الى عبادة الأوثان وافسد الشريعة واستبدل من القدس الذى هو بيت عبادة، معبداً للأصنام والأرجاس.

هذا ولم يكن البيت ــ اثناء تلك المدة الطويلة ــ بمعزل عن الزوّار والنظار، والحرس والخدم يعملون فى تنظيفه ومراقبته كل صباح ومساء، فاين كان السفر المزعوم مختبئا عن الأنظار؟!.

نعم، هو امر مدبّر، قد دبّر بليل. ولعلّ الملك وهو يحاول الإصلاح الدينى قد

(١) تملك يوشيا احدى وثلاثين سنة اى من عام (٦٣٩) الى (٦٠٩) ق م.

(٢) العهد القديم ص ٦٢٧ ــ ٦٢٨.

تواطأ مع الكاهن الأعظم فى اختلاق هذا العثور. او لعل الكاهن هو الذى دبّر الأمر بنفسه ــ حسب ما احتمله فخر الإسلام(١) ــ حيث رآى من الملك منذ بدايته نشاطاً فى ترويج الدين واقامة الشعائر، ففكر فى دعمه بجمع شتات احكام الشريعة وتدوينها فى سفر كما كانت من ذى قبل، فجمعها خلال سبعة عشر عاماً، وعند ما اكملها قدمها الى الملك بتلك الحجّة المختلقة وبذلك الأسلوب المريب.

والمعروف من عادة كهنة صهيون جواز الكذب فى صالح الدين. قالوا: ويجب ذلك اذا توقف ترويج الشريعة على الكذب والتزوير(٢).

وهكذا راجت الكذبة على لسان الأنبياء ــ حسبما زعموا ــ كما فى انبياء كذبوا على الملك «آحاب» لاغرائه. وكان ذلك بأمرمن الرّب، نفث روح الكذب فى انبيائه ليكذبوا، وجعل الكذب على افواههم(٣).

وقال ارميا ــ فى رسالة ارسلها الى سبى بابل ــ عن نبيّين كانا مع السبى: انهما قد كذبا على الله. وهما: آحاب بن قولايا وصدقيّابن معسيّا. وسوف يبتليان بقتل ذريع بيد ملك بابل. وجاء فى الرسالة ــ مضافا الى ذلك ــ انهما كانا يخونان اصحابها فيعملون القبيح فيهم ويزنيان بنسائهم ...(٤).

وكان الملك «صدقيّا» يتواطأ مع انبياء كانوا لايتورعون الكذب، ليقوموا باغواء الأسباط ويفسدوهم...(٥).

نهاية امر سفر الشريعة:

كان حظّ سفر الشريعة الذى عثر عليه الكاهن «حلقيّا» ان لايعيش سوى

(١) راجع انيس الأعلام ج ٢ ص٢٧ــ ٢٩ وج ٣ ص١٧٥.

(٢) كتبه عنهم المؤرخ الشهير «موشيم» فى كتابه «رجال القرن الثانى» ط ١٨٣٦ ص٦٥ بنقل انيس الأعلام ج ٣ ص١١٣.

(٣) انظر: الأصحاح ٢٢ ع ١١ــ ٢٤ الملوك الأول.

(٤) انظر: الاصحاح ٢٩ ع ٢١ــ ٢٣ ارميا.

(٥) انظر: قاموس الكتاب المقدس ــ مادة صدقيا ــ ص ٥٥٣.

ثلاثة عشر عاماً، بقية ملك الملك «يوشيّا» الذى حكم البلاد احدى وثلاثين سنة، كان العثور على السفر فى السنة السابعة عشرة من ملكه.

مات «يوشيّا» عام (٦٠٩ ــ ق م) فمات السفر بموته وضاعت الشريعة ثانياً مع الأبد، حيث اخلافه عادوا الى وثنية اسلافهم مع ضعف وانهيار، ومن اجله هُجر البيت وذهبت معالمه ادراج الرياح ولم يعد للشريعة وسفرها ذكر.

وانتهى الأمر اخيراً بإغارة «بخت نصّر» للبلاد، مرتين: احداهما عام (٥٩٧ ــ ق م) والثانية القاضية كانت عام (٥٨٨ ــ ق م). فكان فيها هلاك الحرث والنسل وابادة معالم الحياة فى ربوع صهيون.

وقد نهب فى ذلك جميع ما فى البيت، واحرق البناء والهيكل والمحراب وكل ما فى البلاد من اماكن مقدسة.

وبذلك انتهت حياة العهد القديم وفى ضمنها التوراة مع الأبد.

كارثة بخت نصّر:

حمل «بخت نصّر» ــ فى مدة ملكه (٤٤ سنة من ٦٠٥ الى ٥٦١ ق م) ــ على اورشليم اربع مرّات، كانت الكارثة شديدة فى ثنتين منها، الثانية والرابعة، ولا سيما الأخيرة التى أبادب كلّ شيىء.

اولاها، على عهد «يهوياقيم» كان ملكا على بنى اسرائيل وخاضعا لسلطان مصر وهو الفرعون «نكوه» حيث استولت جيوش بابل على مستعمرات مصر ومنها ارض اليهود، دخلت تحت سلطة بابل. كان ذلك عام (٦٠٢ ــ ق م).

ثانيتها، ايضا على عهد «يهوياقيم» حاول التمرد عن حكم بابل، والاتصال بفرعون مصر ثانياً. لكن جيوش «بخت نصر» داهمته بكل قوّة وبأس، فأخضع البلاد ودمّر واسر، ومن جملتهم الملك وحواشيه اسرهم ثم أطلقهم ليموتوا صغارا. كان ذلك عام (٥٩٨ ق م).

ثالثتها، على عهد خلفه «يهوياكين» الملك الاسرائيلى الضعيف، فقد فسد وافسد البلاد، ومن ثمّ لم يدم ملكه سوى بضعة اشهر، حتى جاءه الزحف البابلى

فأُخذ وحواشيه اسراء الى سجون بابل لمدة ٣٧ سنة وبعده اطلق فمات هناك .

ورابعتها ــ القاضية ــ كانت على عهد «صدقيّا» عام (٥٨٨ ــ ق م) كان قد نصبه «بخت نصّر» ملكا على اليهود، وكان اسمه «متانيا» فغيّر «بخت نصر» اسمه الى «صدقيّا». لكنه فى السنة التاسعة من ملكه حاول العصيان والاستقلال بالملك، على ضعفه وفساده وجهله البالغ. الأمر الذى جرّ الوبال على ارض يهوذا، فحاصر هم جيش كلدان ونصبوا القذائف والمجانيق فاحرقوا ودمروا واهلكوا الحرث والنسل، واستباحوا البلاد نهباً وقتلاً واسراً. وهدموا هيكل سليمان وكل آثار بنى اسرائيل ابادوها سحقاً ومحقاً.

وفى هذا الأثناء حاول «صدقيّا» وحواشيه الفرار من خلف المدينة ولكن من غير جدوى، فقد أُخذ واتى به الى «بخت نصر». فاول شيىء فعله ان امر بقتل ابنيه امامه ثم قلع عينيه واخيراً قيّده فى سلسلة وارسله الى بابل مغلولا.

وقد عم الأسر جميع بنى اسرائيل سوى المرضى والصعا ليك الضعفاء، فخلّف عليهم «بخت نصر» رجلاً ضعيفاً اسمه «جدليا» وكان من الأسباط. وبعد مدة ثارت جماعة من اليهود وعلى رأسهم رجل اسمه «اسماعيل» من ابناء الملوك، فقتلوا الملك وهربوا الى فرعون مصر لاجئين اليه.

تلك كانت خاتمة امر اليهود بفلسطين. اما التوراة وسائر كتب اليهود فضاعت جميعا على يد عساكر كلدان ولم يعدلها اثر بعد ذلك الى الوجود(١).

هل عادت التوراة الى الوجود ؟

شمل الأسر البابلى اكثر من سبعين الفاً من رجالات اليهود وكهنتهم وذراريهم. ودام الإعتقال أكثر من نصف قرن فى اضطهاد وضغط شديد، ضاعت خلاله كل نواميس الشريعة وفى ضمنها ضاع التابوت الذى فيه سفر الشريعة ضياعاً بلا أثر. وكان الأمر على ذلك حتى فتحت بابل على يد ملك فارس «كورش» الكبير

(١) سفر الملوك الثانى (اصحاح ٢٤ ــ ٢٥) العهد القديم ص ٦٢٩ ــ ٦٣٢.

عام (٥٣٨ ــ ق م) فاول شيىء صنعه ان اطلق سراح بنى اسرائيل وامدّهم وافسح لهم المجال. وهو الذى امر باعادة بناء البيت وتجديد مقدسات اليهود. وقد تمّ ذلك على يد حفيده «داريوش»: (٥٢١ ــ ٤٨٦ ق م).

كانت اكثرية رجالات اليهود قد آثروا البقاء فى حماية ملوك فارس، وربما كانوا يؤازرونهم فى امر الديوان بما اوتوا من علم الكتاب.

واخيراً وعلى عهد الملك «اردشير ــ درازدست» عام (٤٥٧ ــ ق م) قام الكاهن العجوز «عزرا» على رأس جماعات كبيرة من اسرى اليهود (جاءت أسامیهم فى الاصحاح الثانى من كتاب عزرا) (١) بالرحلة الى القدس، وقد امدّهم الملك بالقوة والمال الكافى. فجاء الى اورشليم ليجدّد الشريعة ويصحّح عبادات ومراسيم عتيدة. ومن اجل ذلك اسّس كنائس كانت تتلى فيها دعوات ونسخ من كتابات قديمة.

الأمر الذى دعى بجماعة اليهود ان يلتمسوا منه تدوين الشريعة من جديد وكتابة العهد العتيق، فعزم «عزرا» على اجابة ملتمسهم، وكان ذلك بعد ان مضى من سقوط اورشليم (١٣٠) عاماً. ومن فتح بابل على يد «كورش» (٨٠) عاماً. فقام بالأمر مستمداً من متخلفات ذاكرته او بعض الأوراق الممزّقة من كتابات قديمة ومن معلومات متفرقة على افواه الرجال، فكتب الموجود من العهد القديم.

قال «جيمس هاكس» ص ٩٧: قام عزرا بالإصلاح الدينى وتصحيح الشعائر الدارجة، كما قام بتأسيس كنائس فقرأ فيها بعض الأدعية المأثورة والكتابات المقدسة القديمة. والمعتقد: انّه بعد هذه الوقائع قام بكتابة كتب التواريخ وكتاب عزرا وقسم من كتاب نحميا. وجميع كتب العهد العتيق، الذى هو قانوننا اليوم، انّما هو من جمعه وتصحيحه وقد استمد فى ذلك من «نحميا» بل ومن «ملاكى» ايضا (٢).

وقال «ترتولين»: المعروف ان كتب العهد القديم الموجودة قد كتبها «عزرا» ــ عليه السلام ــ بعد اغارة جيوش بابل لأورشليم (٣).

(١) الكتاب المقدس ــ العهد القديم ــ ص ٧٣٩.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ــ مادة عزر ــ ص ٦١٠.

(٣) بنقل انيس الأعلام ج ٢ ص ١٩.

من أين جاء «عزرا» بنقول التوراة ؟

قالوا: ان روح القدس نفث فى روعه! هكذا قال «كلى منس»: قد ضاعت الكتب السماوية، فألهم «عزرا» ليعيد كتابتها من جديد. وقال «تهيوفلكت»: ان الكتب المقدسة ضاعت جميعاً ثمّ وجدت على يد «عزرا» بالهام منه تعالى.

وقال «جان ملنر ــ كاتلك» اتفق اهل العلم على ان نسخ التوراة وكذا سائر كتب العهد العتيق قد ضاعت على ايدى عساكر «بخت نصّر». وان نقولاتها الصحيحة التى ظهرت بواسطة «عزرا» قد ضاعت للمرة الأخرى فى حادث «انليوكس» (١).

قال القسيس المستبصر «فخر الإسلام»: ان الفرق المسيحيّة تعتقد فيما كتبه «عزرا» بعد احراق الكتب المقدسة القديمة: انّه كتبها وجمعها للمرة الثانية، باعانة روح القدس (٢).

لكن كيف يكتبها بمعونة روح القدس فتوجد فيها تلكم الأخطاء الكبيرة والتناقضات الفاضحة فضلاً عن منكرات غيرمعقولة!؟ مثلاً جاء فى سفر التكوين (اصحاح ٤٦ عدد ٢١) انّ اولاد «بنيامين» عشرة (٣). لكن فى اخبار الأيام الأول (اصحاح ٧ عدد ٦): ان اولاده ثلاثة (٤) وفى (اصحاح ٨ ع ١): انهم خمسة (٥) هذا فضلاً عن الإختلاف فى الأسماء.

والإختلاف بين الكتب كثيرة للغاية فضلاً عن الأخطاء والإشتباهات.

ذكرها بتفصيل، العلامة المتتبع فخر الإسلام فى موسوعته القيّمة «انيس

(١) ذكره فى تاريخه المطبوع بمدينة «درنى» سنة ١٨٤٣ م ص ١١٥.

(٢) انيس الأعلام ج ٣ ص ١٨ ــ ١٩.

(٣) الكتاب المقدس ــ العهد القديم ــ ص ٧٩.

(٤) العهد القديم ص ٦٤٤.

(٥) المصدر ص ٦٤٦.

الأعلام» (١) الأمر الذى احتار اهل الكتاب فى حلّه او توجيهه: ــ

يقول: «آدم كلارك» ــ مفسّر العهد القديم ــ: لعلّ «عزرا» اشتبه عليه الإبن بإبن الإبن. وقال آخرون: لعله لم يدر من هو الإبن ومن هو إبن الإبن. وانّ الاسناد التى كانت موجودة لدى «عزرا» كانت ناقصة وممزّقة، فحصل منها ذلك الإختلاف (٢).

قلت: ان هذا الاّ تناقض صريح فى شهادة اهل الكتاب، بشأن ما كتبه «عزرا» من العهد القديم: هل كانت عن وحى او الهام ومعونة روح القدس، أم عن استناد الى اوراق ممزّقة لاقيمة لها. فما توجيه هذا التناقض؟! نعم، ان هو الاّ حدس وتخمين ورجم بالغيب. وما يعلم الغيب الاّ الله.

حادث الإمبراطور «انطوخيوس»:

جاء فى الفصل الأول من السفر الأول من كتابى المقابيين(٣): ان الإمبراطور الرومى «انطوخيوس ــ انتيوكس» حمل على اورشليم عام (١٦١ ــ ق م) حملة نكراء فأحرق جميع نسخ الكتب المقدسة التى حصلت له من اىّ مكان. وامر مناديه ان ينادى: من توجد عنده نسخة من الكتب المقدسة او يقوم بمراسيم الشريعة فسوف يقتل. واجرى التحقيق (التفتيش) كل شهر، فكان يقتل من وجدت عنده نسخة من الكتاب او يقوم بأداء مراسيم الشريعة. ودام ذلك ثلاث سنين وستة أشهر.

وقد ذكر تفصيل هذا الحادث، المؤرخ اليهودى «يوسيفوس» وتقدم كلام «جان ملز كاتلك»: اتفق اهل العلم على ان نسخ التوراة ونسخ العهد العتيق، ضاعت على ايدى عساكر «بخت نصّر». ولما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة

(١) المجلد الثالث ــ مباحث التحريف فى كتب العهدين.

(٢) انيس الأعلام ج ٣ ص ١٧ ــ ١٨.

(٣) هاذان الكتابان (الأول والثانى من المقابيين) يعتبران من الكتب المقدسة القانونية عند الكاثوليك. واما عند البروتستنت وسائر الفرق المسيحية فتعتبر ان كتابى تاريخ. راجع الرحلة المدرسية ج ١ ص ١١٨. وانيس الأعلام ج ٣ ص ١٧٦.

«عزرا»، ضاعت تلك النقول ايضاً فى حادثة «انطوخيوس» (١).

وهكذا فى عام (٣٧ بعد الميلاد) قام الإمبراطور الآخر (طيطوس) بهدم البيت المقدس واحراق ما وجد فيه من الكتب المقدسة، فقتل من اليهود مايـنوف على مليون نسمة فى كل ارجاء البلاد، قتلاً بالسيف اوصلباً بالمشانق. واسر الذرارى ما يقرب من مئة ألف وباعهم فى مختلف البلدان. اما البقية الباقية فى ارض يهوذا فماتوا جوعاً وخوفاً من سلطان الروم. هكذا ذهبت بقية آثار القوم ادراج الرياح (٢).

سلسلة اسناد التوراة مقطوعة:

وبعد، فان الحوادث الجمة التى مرّت على تاريخ العهد القديم، قد قضت على مزعومة: احتمال بقاء التوراة سليمة طول خمسة وثلاثين قرناً، منذ عهد نبى الله موسى ـ عليه السلام ـ (١٥٠٠ ـ ق م) فإلى الآن وهى نهاية القرن العشرين للميلاد (١٩٨٨).

قال سيدنا الطباطبائى ـ رحمه الله ـ: الحوادث التى مرت على التوراة وكتب العهد القديم، لم تدع مجالاً للشك فى كونها مقطوعة الأسناد. وانما ينتهى سندها الى شخص واحد «عزرا» من غيران يعرف مستنده فى النقل او منابع اطلاعه فى الجمع والتحقيق. فكان مغبّة هذا التوتّر الفاضح ان دعى بأهل التحقيق من علماء الغرب، ان يرموا هذه الكتب بالضعف التاريخى وانّها مجموعة أساطير قومية دوّنها تاريخ اسرائيل. الأمر الذى اساء الظن فى اساس النبوات التى جاءت فيها (٣).

قال «جان ملنر»: لاسبيل الى تصديق هذه الكتب لولا شهادة المسيح بصدقها (٤). وقد اجاب فخر الإسلام عن مغالطة «جان ملنر» فى كلام تحقيق

(١) انيس الاعلام ج ٣ ص١٧٦ وص ١٩ ايضا. وج ٢ ص ٣٠.
(٢) ذكره «يوسيفوس» فى تاريخ اليهود بتفصيل. بنقل انيس الاعلام ج ٤ ص ١٧٧ وج ١ ص ٣١.
(٣) تفسير الميزان ج ٣ ص ٣٤٠.
(٤) انيس الاعلام ج ٣ ص١٧٦.

مسهب(١).

قلت: لولا شهادة الإسلام وصريح القرآن بصدق تلك النبوات، بمعزل عن امكان صحة تلك الكتب المجهولة الإسناد.

قصة الأناجيل الأربعة!

تلك كانت قصة التوراة والعهد القديم المزرية، والتى انتهت الى الشك فى بقائها فضلاً عن سلامتها عبر متقلبات الأحوال.

اما قصة الانجيل او الأناجيل الأربعة او الخمسة أو أزيد، المنسوب كل واحد منها الى وحى السماء، مع كثرة ما بينها من إختلاف ومناقضات. فلم تكن بأفضل من قصة العهد القديم.

يشتمل العهد الجديد على سبع وعشرين كتاباً ورسالة، منها: الأناجيل الأربعة المعروفة كتبها ــ على الترتيب ــ متّى ومرقس ولوقا ويوحنا، فى الفترة بعد رفع المسيح ــ عليه السلام ــ وقد وقع كلام كثير حول شخصية هؤلاء المنسوب اليهم الأناجيل وفى تاريخ كتابتها واللغة التى كتبت بها.

والإنجيل تعريب «اونگليون» اليونانية، لغة الأصل للأناجيل، بمعنى «البشارة والتعليم». وهل كتبت ــ فى اصلها ــ باليونانية، ولماذا؟ أم ترجمت اليها، فمن كان المترجم لها، ومتى كانت ولأىّ غرض كانت؟ اسئلة لاجواب لها!.

ويقرب ان تكون كتابة الإنجيل المنسوب الى «متّى» عام (٣٨) من تاريخ الميلاد. وقيل: ما بين (٥٠) فالى (٦٠) و«متّى» المعروف كان من الحواريين.

وعلى الاحتمال الأول فيتأخر تاريخ كتابته عن رفع المسيح ــ ع ــ بتسعة اعوام. نظراً لانّ المسيح قد صلب عام (٢٩) وكان عمره الشريف (٣٣) سنة. لانّ مبدأ التاريخ الميلادى الدارج متأخر عن ولادة المسيح باربعة سنين، لانّ المسيح ولد

(١) المصدر ص ١٤٢.

عام (٧٤٩) من تاريخ تأسيس روما، ويبدأ التاريخ الميلادى من سنة (٧٥٣) (١).

اما الإنجيل المنسوب الى «مرقس» تلميذ «بطرس» ومرافقه فى رحلاته واسفاره، فقيل انّه كتبه عام (٦١) وقيل: اكثر، فى رومية متأثراً بتعاليم استاذه. لكن تأخر انتشاره الى ما بعد وفاة بطرس وبولس حوالى سنة سبعين (٢).

و«لوقا» الكاتب كان تلميذاً لبولس ومن اصحابه الملازمين له. كتب رسالتين احداهما فى حياة المسيح، وهى المعروفة بإنجيل لوقا. والثانية فى اخبار الحواريين المعروفة باعمال الرسل. ويرجح انّه كتبها عام (٦٣) او بعدها بفترة (٣).

و«يوحنا»، المنسوب اليه رابع الأناجيل، يحتمل انه الحوارى المعروف، او شخص آخر كان معروفاً بيوحنا الشيخ. يرجع تاريخ كتابته الى أواخر القرن الأول للميلاد.

قيل: انّه كتبه بالتماس اساقفة آسيا الصغرى، حيث لم يجدوا من تعاليم المسيح ــ ع ــ ما يسد مآربهم فى الإرشاد الدينى، فكتبها عام (٩٦). حسب ما قاله «جرجس الفتوحى» (٤).

أين صار الإنجيل النازل على المسيح ؟

تلك الأناجيل الأربعة المعروفة، لاشكّ انّها كتبت تأريخاً عن حياة عيسى المسيح ــ عليه السلام ــ وعن سيرته حتى توفاه الله. ولم يدّع احد من مؤلّفى الأناجيل ان إنجيله هو نفس النازل على المسيح (عليه السلام) فقد بدأ انجيل «متى» بقوله: «كتاب ميلاد يسوع المسيح...». ويبدأ انجيل «مرقس» بقطعة زعمها من انجيل المسيح، ثمّ يُتبعها بذكر احواله منذ قدومه من ناصرة الجليل... ويبدأ انجيل «لوقا» بما

(١) راجع: الميزان ج ٣ ص ٣٤٢ وص ٣٤٥ والقاموس ص ٧٨٢ وص ٨٠٦. والرحلة المدرسيّة ج ١ ص ١٢٤. وانيس الاعلام ج ٢ ص ٥ وص ٦٧.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩٢.

(٣) المصدر ص ٧٧٢.

(٤) المصدر ص ٩٦٦. وراجع قصص الأنبياء للنجار ص ٤٠١.

هو صريح فى انّه كتاب سيرة، يقول: اذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة فى الأمور المتيقّنة... رأيت انا ايضاً، اذ قد تتبّعت كلّ شيء من الأول بتدقيق أن اكتب على التوالى... ثمّ يذكر قصة المسيح... والنجيل «يوحنا» يبدأ بنفسه ثم يعرّج الى ظهور المسيح والإيمان به...

كل ذلك لدليل على انّها كتبت خصيصاً فى بيان شخصية المسيح الرسالية. وفيها بعض الإختلاف او الإختلاق الناشئ عن اشتباه الكاتب او اختلاف الرواة(١) اذن فأين صار الإنجيل النازل على المسيح ــ عليه السلام ــ؟.

والظاهر ان النازل على عيسى المسيح كانت هى التعاليم والبشارات التى قام بها اثناء رسالته الى الملاء، فحفظ منها الحواريون ما حفظوا ونقلوها الى من بعدهم وهكذا دواليك، حتى سجّلت ضمن الأناجيل المعروفة.

قال الأستاذ النجار: والقدر الذى وصل الى العالم من تلك الأناجيل من الجمل والأمثال والنصائح ــ المقتطفة مما نطق به المسيح من العظات والحِكَم ــ يتضمن حثّ الناس على توحيدالله تعالى واختصاصه بالعبادة والإخلاص فى طاعته والعمل باوامره واجتناب نواهيه وحسن المعاملة بين الإنسان واخيه... وهكذا من الأخلاق الفاضلة والسجايا الكريمة. ولم يكتب شيء من هذه الأناجيل فى زمانه، ولكن بعد انتهاء امر المسيح قام بعض التلاميذ وتلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم وكتبوا قصصاً كثيرة. وكل واحد يسمّى ما كتبه «انجيلاً». حتّى لقد قيل: ان الأناجيل بلغت نيفاومئة انجيل. ثمّ اختارت الكنيسة من بينها القصص التى لاتتعارض مع نزعتها، ولم تكترث لمابين مضامينها من التخالف والتناقض، مادام ذلك لايخالف المنزع العام الذى قصدته الكنيسة.

والأناجيل جميعها منقطعة السند، ولا توجد نسخة انجيل بخطّ تلميذ من تلاميذ المؤلف ولا ما يضمن شبهة صحتها، وحتى لقد شك المحققون فى امكان نسبة الأناجيل الى مؤلفيها المعروفين، ولعله من تشابه الاسم...(٢).

(١) راجع ما حققه العلامة فخر الإسلام فى موسوعته أنيس الاعلام ج ٢ ص ١٢٥.
(٢) راجع: قصص الأنبياء ص ٣٩٩.

وقد اورد المحقق العلامة «فخر الإسلام» تشكيكات فنية وتاريخية فى صحة اسناد الأناجيل، نقلها عن كافة قدماء المسيحيّة فى عدد غير محصور، وتكلم فى واحد واحد من اسناد الأناجيل الأربعة بتفصيل وتحقيق(١).

يقول «پاستيس»: هذا العهد الجديد، ليس من تصنيف المسيح ولا من تصنيف حواريّيه بل هو من عمل انسان مجهول الهويّة، صنفها ونسبها الى حواريى عيسى (عليه السلام) واصحابهم.

ويعقبه «فخر الإسلام»: ان هذا الاّ كلام حق وصدق، وقد اصاب الحقيقة فنعم ما قال ــ وهو من محقّقى فرقة «مانيكيز» من علماء القرن الرابع ــ اذ لعل ذلك الإنسان المجهول كان من اعداء المسيح وامّه الصديقة، حيث فيه من المخازى ما اخزاه الله وابعده(٢).

تلك كانت قصة حياة العهدين طول التاريخ. فكان من المسلّم عدم وجود الأصل وانمّا الباقى هو الفرع (التراجم وبعض المتقطعات من تعاليم دينية سجلت خلال سرد أحداث التاريخ) فلم يعد موضوع للتحريف الذى لهج به اصحاب القياس فى لزوم تشابه احداث الزمن!.

مسألة تشابه الأحداث فى الغابر والحاضر

واما مسألة تشابه مابين حوادث الماضى والحاضر، فهى تعنى تشابهاً فى اصول الحياة العامة، لافى اساليبها المتخذة، المختلفة حسب اختلاف الجوامع البشرية فى طول الزمان وعرضه، انها رهن شرائط وظروف تتفاوت حسب تفاوت الأوضاع والأحوال فى كلّ دور وفى كل عصر.

اما اصول الحياة ومتطلباتها الذاتيّة فانّها لاتختلف، ما دامت تقتضيها طبيعة الإنسان الإجتماعية وفق فطرته الأولى التى لاتختلف على مرّ الدهور ولا تتفاوت.

(١) راجع: انيس الاعلام ج ٢ ص ٦١ ــ ٦٧.
(٢) انيس الاعلام ج ٢ ص ٧٢.

الإنسان ــ بوجوده الفطرى ــ يملك ذاتيات هى حليفته مذ نشأ فى عالم الوجود، وتستمر معه مادامت مسيرته تشق عباب الحياة على وجه الأرض. انّها صفات وغرائز نابعة من ذاته وناشئة من فطرته، وستدوم معه مادامت الذات والفطرة ترافقانه فى ركب الحياة.

الإنسان يملك غريزة «حبّ الذات» وهى تدعوه دوماً الى استجلاب ماينفع ذاته ويلائم فطرته، والى رفض كل ما يضره ويتنافر مع طبعه. وهذا ما يقال: الإنسان مجبول على جلب المنفعة ودفع المضرة، ومنشاؤه حبّ الذات. فهو مندفع بذاته نحو مشتهيات نفسه، هارب عن منافياتها.

لكن بما انّه اجتماعى الحياة، فان هذا الإندفاع الذاتى فى كل انسان، سوف يؤدى الى تجاذب وتمانع واخيراً تصادم وتنازع، عند ما تصطدم المنافع وتتشابك المصالح فرديّة واجتماعية، الأمر الذى عبّر عنه اصحاب الفلسفة بمسألة «التنازع فى البقاء» كلّ يجرّ النار الى قرصه.

* * *

هذا... وقد بعث الله الأنبياء ــ عليهم السلام ــ وانزل الشرائع، ليجعل لتصرفات الانسان حدودها المعقولة ويرشده الى معالم الحياة السعيدة، كلّ يتمتع بما يبتغيه، على شريطة ان لايحول دون تمتّع الآخرين، «إخواناً على سرر متقابلين».

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيِّباتِ مِنَ الرِّزْقِ... (١).

ولكن: وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ... (٢). لأنّه إذا تعدّى احد، فلايتوقّع ان لايتعدّى عليه، غيره فتنقلب الحياة سعيراً متوهجة، وتسودها همجيّة من ورائها فوضىً عارمة.

(١) الاعراف ٧/ ٣٢.
(٢) الطلاق ٦٥/ ١.

ظَهَرَ الْفَسَادُ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى النَّاسِ... (١).

قال الصادق (عليه السلام): «انّ الله جعل لكلّ شيى حدّاً ولمن جاوزالحدّ حداً...» (٢).

نعم خلق الإنسان ليعيش حراً، ولكن الحريّة لاتعنى الإنطلاق من القيود، وانما هو امكان التمتع بالحقوق، تلك الحقوق التى يحدّدها قانون الشرع الحكيم، فكان الإستمتاع بلذائذ الحياة فى اطار القانون، منحة يرادفها منعة، وليس تسريحا فى مرعى الحياة.

* * *

وقد كان الجدل عنيفاً بين جموح الإنسان وحدود القانون، منذ بداية الوجود، كان رجال اصلاحيون يكافحون أنانية الإنسان فى جدال مستمر، ولايزال الجدال مستمراً مادامت غرائز الإنسان هى الحاكمة على وجوده، والغرائز هى نفس الغرائز الأولى التى كانت عليها البشرية الأولى ومن ثمّ فالجدال نفس الجدال، وانسان اليوم هو انسان الأمس، وسيكون بنفسه انسان الغد. بلافرق فى ذاتياته المستدعية لعدم فرق فى تصرفاته فى الحياة مع الأبد، قال تعالى:

وَلَايَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ، وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ، وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ... (٣).

وقال تعالى ــ بشأن تشابه حياة الإنسان فى تصرّفاته الجاهلة فى الماضى والحاضر ــ:

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً،

(١) الرّوم ٣٠/ ٤١.
(٢) وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٣١٠ رقم ٣.
(٣) هود ١١/ ١١٨.

فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ، وَخُضْتُمْ كَالذى خاضُوا... (١).

وقال: مَا يُقَالُ لَكَ إلاّ مَا قَدْ قيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ... (٢).

وقال: بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأوّلُونَ (٣).

وقال: وَقَالَ الذين لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللهُ أوْ تَأتِينا آيَةٌ كَذالِكَ قَالَ الذينَ مِنْ قَبْلِهِم مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ...(٤).

الى آيات غيرهن صريحات فى انّ التاريخ يعيد نفسه، وان الأمم متشابهة فى خُلُقها سواءٌ من غبر ومن حضر.

قال ابن عباس: ما اشبه الليلة بالبارحة. كالذين من قبلكم. هؤلاء بنواسرائيل شُبّهنا بهم، لا اعلم انّه ــ صلى الله عليه وآله ــ قال: والذى نفسى بيده لتتبعُنّهم حتى لودخل الرجل منهم جُحر ضبّ لدخلتموه(٥).

وعن ابى سعيد الخدرى، قال: قال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ لتأخذنّ كما اخذت الأمم من قبلكم. قيل: يا رسول الله، كما صنعت فارس والروم واهل الكتاب؟ قال: فهل الناس إلاّهُم(٦).

قال على ــ عليه السلام ــ: وانما تسيرون فى اثربيّن، وتتكلمون برجع قول قد

(١) التوبة ٩/ ٦٩.
(٢) فصلت ٤١/ ٤٣.
(٣) المؤمنون ٢٣/ ٨١.
(٤) البقرة ٢/ ١١٨.
(٥) مجمع البيان ج ٥ ص ٤٩.
(٦) نفس المصدر.

قاله الرجال من قبلكم ...(١).

وقال: الدهر يجرى بالباقين كجريه بالماضين ــ وقال: ــ آخر فعاله كاوّله، متشابهة اموره، متظاهرة اعلامه(٢).

تلك حقيقة واقعة لامحيص عنها مادام الإنسان ذا طبيعة واحدة وصاحب نزعات وميول واتجاهات متشابهة، اوله بآخره ولا يزال.

ولا يخفى ان ذلك لايعنى جبراً فى مسيرة الحياة، وانما هى حكاية عن استعدادات وقابليات يحملها طبيعة الإنسان حملاً اوّلياً، صالحاً للتربية الصحيحة والإهتداء نحو معالم الصلاح، ولولا ذلك لهدرت تعاليم الأنبياء ولغى تشريع الشرائع وتحكيم القوانين. فلابد من اقتضاء فى طبع الإنسان ومن ثم هذا العرض!.

والى ذلك اشارت الآية: إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ(٣).

* * *

هذا هو المقصود من تشابه مابين الأمم، يعنى فى اصول الأخلاق وفى قواعد الحياة الأولية،الأمر الذى لايعنى خصوصيات المعايش. وفى اساليب الحياة المتناسبة مع شرائط خاصة بكل زمان، ممّا لايمكن تكرارها مادامت العوامل الزمنية والمحلية تختلف بالذات.

ومن ثمّ فمن السخف فى الرأى ان يؤخذ من كلية ذلك التشابه دليلاً على وحدة وسائل المعيشة لدى جميع الأمم الأولين والآخرين. لا، ليس المراد التشابه فى الأساليب والكيفيات، انما التشابه فى الأصول والذاتيات.

مثلاً: عاندت بنواسرائيل تجاه انبيائهم فابتلوا بالتيه فى وادى سيناء، ونزل عليهم المنّ والسلوى... الخ.

ليس المراد: ان المسلمين ايضا يتيهون فى نفس الوادى ويقتاتون نفس المأكل... الخ.

(١) نهج البلاغة الخطبة رقم ١٨٣.

(٢) الخطبة رقم ١٥٧.

(٣) هود ١١/١١٨.

بل المراد: انكم سوف تقاومون نصح ائمتكم فتبتلون بالتيه فى وادى الضلال ونقص من الأموال والأنفس وما شابه ...

قال سيدنا الأستاذ ــ دام ظلّه ــ: الروايات المذكورة أخبار آحاد لا حجيّة فيها. ودعوى تواترها جزاف، اذ لم يأت شيىء منها فى الكتب الأربعة.

ولانّ كثيراً من الوقائع السالفة لم تقع ولا يمكن وقوعها فى هذه الأمة. ويكفى فى صحة التشابه ماوقع من هذه الأمّة بتركهم حدود القرآن وان اقاموا حروفه كما فى الحديث: «وكان من نبذهم الكتاب ان أقاموا حروفه وحرفوا حدوده. فهم يروونه ولا يرعونه...». فما يقع فى هذه الأمة شبيها بما وقع فى الأمم السالفة انما هو من بعض الوجوه ... (١).

قوله من بعض الوجوه، اى فى اصول الأمر وجذوره، النابعة عن فطرة الإنسان فى مجابهة المكاره وسعياً وراء لذائذه فى الحياة.

(١) البيان ص ٢٤٠.

التحريف
عند حشوّية العامة

جاءت شبهة التحريف من قبل روايات عامّية شاذّة، حاكتها عقول ضعيفة، واعتمدها اصحاب الظواهر من اهل الحديث (الحشوية) ممن دأبوا على الإستكثار من نقل الأحاديث وروايتها نقلاً بلا هوادة، ورواية من غير مبالاة، سواء أصادمت اصول العقيدة او خالفت مبانى الشريعة أم لم تكن، مادام الإهتمام كان متّجهاً نحو تضخّم الحجم ايّاً كان المحتوى، ومن ثمّ خلطوا الغَثّ بالسمين وخبطوا الحابل بالنابل خبط عشواء.

قال ابن الجوزى: ولكن شره جمهور المحدثين، فان من عادتهم تنفيق حديثهم ولو بالبواطيل. وهذا قبيح منهم، لأنه قد صح عن النّبى ــ صلّى الله عليه وآله ــ انّه قال: من حدّث عنى حديثاً يرى انّه كذب، فهو احد الكذابين(١).

وفى ذلك يقول الإمام الباقر ــ عليه السلام ــ: «والجهال يعجبهم حفظهم للرواية، والعلماء يحزنهم تركهم للرعاية» (٢).

ويقول الشيخ ابوجعفر الطوسى ــ قدس سره ــ فى ذيل الآية «أفلا يتدبّرون القرآن ام على قلوب اقفالها ــ محمد: ٢٤» ــ: فيه تنبيه على بطلان قول الجهال من

(١) الموضوعات ج ١ ص ٢٤٠. وتنفيق البضاعة: ترويجها.
(٢) روضة الكافى ج ٨ ص ٥٣ رسالة سعد الخير.

اصحاب الحديث، انه ينبغى ان يروى الحديث على ما جاء، وان كان مختلاً فى المعنى ...(١).

نعم بهذا الأسلوب المبتذل قام اهل الحشو بشحن حقائبهم من شواذ الأخبار وغرائب الآثار، وبذلك مهدوا السبل لرواج الإسرائيليات ونشر الأقاصيص الأسطورية، وازدحمت من وفرتها كتب الحديث والتفسير. وفى التاريخ المدوّن ايضا منها الشيىء الكثير.

وهكذا نجد فى بضائع اهل الحشو المزجاة حشداً من اخبار التحريف، سجلتها المجاميع الحديثية الكبرى امثال الصحاح الست وغيرها من المدوّنات المعروفة عند اهل السنة. وقد اغترّ بها جماعات، كانوا حسبوا من تلك الروايات حقائق مرهونة، فلابدّ من تأويلها اوعلاج آخر، ممّا ابتدعه اهل الأصول باسم «نسخ التلاوة»، فغيّروا من عنوان «التحريف» الى عنوان آخر تمويها بواقع الأمر.

وقد بحثنا فيما سلف ان تغيير العبارة لايحلّ مشكلة الأمر وانما يزيد فى صلب الإشكال، لاسيّما وبعض تلك الروايات تنص على انّ الآية (المزعومة) كانت مما تتلى حتى ما بعد وفاة الرسول (٢).

نعم كانت المشكلة منحلة عند اصحابنا الإماميين، حيث رفضهم البات لتلكم الأراجيف السخيفة، فلا الاسانيد صحيحة، ولا المتون متوافقة مع اصول المذهب الحق.

لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (٣).

واليك نماذج من احاديث التحريف نقلتها اهل الحشو وسجّلتها ارباب كتب الحديث، نذكرها تباعا ونعقب كل واحد منها بما نراه من تعليق: ــ

(١) تفسير التبيان ج ٩ ص ٣٠١.
(٢) راجع: المحلى لإبن حزم ج ١٠ ص١٤ و١٦.
(٣) فصلت ٤١/ ٤٢.

١ ــ آية الرجم !

كان عمربن الخطاب يزعم من شريعة رجم المحصَن آية قرآنية كانت تقرأ ايام حياة النبى ــ صلى الله عليه وآله ــ ولكنها نسيت فيما بعد لغير ما سبب معروف!

اخرج البخارى ومسلم باسنادهما عن ابن عباس، قال: خطب عمربن الخطاب خطبته بعد مرجعه من آخر حجّة حجّها، قال فيها: انّ الله بعث محمداً ــ ص ــ بالحق وانزل عليه الكتاب فكان مما انزل الله آية الرجم. فقرأناها وعقلناها ووعيناها، فلذا رجم رسول الله ــ ص ــ ورجمنا بعده. فاخشى إن طال بالناس الزمان ان يقول قائل: والله ما نجد آية الرجم فى كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله. والرجم فى كتاب الله حق على من زنى، اذا احصن من الرجال والنساء اذا قامت البيّنة او كان الحبل او الإعتراف(١).

وفى موطأ مالك: خطب عمربن الخطاب عند منصرفه من الحج وقال: اياكم ان تهلكوا عن آية الرجم، يقول قائل: لانجد حدّين فى كتاب الله. فقد رجم رسول الله ــ ص ــ ورجمنا. والذى نفسى بيده، لولا ان يقول الناس: زاد عمر بن الخطاب فى كتاب الله تعالى لكتبتها: «الشيخ والشيخة ــ اذا زينا ــ فارجموهما البتة» فانا قد قرأناها...

قال مالك: قال يحيى بن سعيد: قال سعيد بن المسيّب: فما انسلخ ذوالحجّة حتى قتل عمر. قال يحيى: سمعت مالكاً يقول: الشيخ والشيخة، يعنى الثيّب والثيبة(٢).

ومن الطريف ان عمر جاء بآية الرجم عند الجمع الأول على عهد ابى بكر، فلم تقبل منه، وطلب زيد بن ثابت منه شاهدين يشهدان بأنها آية من كتاب الله، فلم

(١) البخارى ج ٨ ص ٢٠٨ ــ ٢١١ باب رجم الحبلى. ومسلم ج ٤ ص ١٦٧ وج ٥ ص ١١٦ ومسند احمد ج ١ ص ٢٣ وج ٥ ص ١٣٢ و ١٨٣ وابوداود: الحدود ٢٣. والترمذى: الحدود ٧. وابن ماجة: الحدود ٩ والدارمى: الحدود ١٦ والموطأ: الحدود ١٠.

(٢) تنوير الحوالك للسيوطى ج ٣ ص ٤٢. وراجع: فتح البارى لابن حجر ج ١٢ ص ١٢٧.

يستطع عمر من اقامتها(١). ومع ذلك فقد بقيت ركيزة نفسه يبوح بها بين آونة واخرى، حتى اعلن بها صريحاً فى مؤخرة حياته.

لكن شريعة الرجم تخصّ المحصن والمحصنة، سواء أكانا شيخين أم شابّين، ومن ثمّ فسرهما مالك بالثيبين. ولعله اشتبه اللفظ على ابن الخطاب.

ومن المحتمل قويّا انّه سمع شريعة الرجم من رسول الله ــ ص ــ فظنّها آية قرآنية، وهذا نظير مازعمه بشأن الحديث المأثور: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» ظنها ــ ايضا ــ آية قرآنية. قال ــ مخاطباً لأبىّ بن كعب ــ: او ليس كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله «ان انتفاءكم من آباءكم كفربكم»؟ فقال: بلى. ثمّ قال: او ليس كنا نقرأ «الولد للفراش وللعاهر الحجر» فيما فقدنا من كتاب الله؟ فقال ابىٌّ: بلى(٢).

ولعله كان يزعم من العبائر ذوات السّجع النَغَمى انّها آيات قرآنية. فى حين انّها من كلام النبى ــ صلى الله عليه وآله ــ (افصح من نطق بالضاد). وهذا الاشتباه من مثله ليس بعزيز!.

وقد سبقت رواية زيد بن ثابت، قال: سمعت رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ يقول: اذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما البتة(٣) فهى رواية وليست بآية.

اما تصديق ابى، فلعله كان تصديقاً بجانب كونه وحيا من الله لاقرآناً، اذ ما ينطق النّبى عن الهوى ان هو الاّ وحى يوحى!

٢ ــ آية الرغبة!

وآية اخرى ايضاً زعمها اسقطت فيما اسقط من القرآن. قال: انّا كنّا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله: «ان لاترغبوا عن آباءكم فانّه كفربكم ان ترغبوا عن آباءكم.

(١) الاتقان ج ١ ص ٥٨ ط ق.
(٢) الدر المنثور للسيوطى ج ١ ص ١٠٦.
(٣) المحلى لإبن حزم ج ١١ ص ٢٣٥.

اوانّ كفرا بكم ان ترغبوا عن آبائكم...» (١).

ولعله حديث عن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ سمعه ابن الخطاب فظنه قرآناً. ولكن لماذا يتردد فى لفظ النص؟ والجميع غيرمنسجم وغير متناسب مع سائر كلام الرسول ــ ص ــ! اذ ما معنى الكفر بالنفس؟!

وفى لفظ آخر: «ان انتفائكم من آبائكم كفربكم» (٢).

٣ــ آية الجهاد!

وآية ثالثة زعمها محذوفة من القرآن، هى آية الجهاد. قال لإبن عوف: ألم تجد فيما انزل علينا «ان جاهدوا كما جاهدتم اول مرّة» فانا لا نجدها؟ قال: اسقطت فيما اسقط من القرآن(٣).

٤ــ آية الفراش!

وآية رابعة زعمها ساقطة، هى قوله ــ صلّى الله عليه وآله ــ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر» (٤) على ما اسلفنا عند الكلام عن آية الرجم!

تلك آيات اربع زعمهن عمر محذوفات من القرآن، ولم يتوافق مع زعمه احدٌ من الأصحاب، لا زيدٌ ولا ابيٌّ ولا غيرُهما، والاّ لسجّلوها فى مصاحفهم، نعم سوى توافقهم على انّها من الوحى الذى بلّغه النبى (ص) كسائر شرائع الإسلام.

وهذا الإتفاق على رفض مزعومة ابن الخطاب جعله ايضا يشك من نفسه، ومن ثم لم يجرأ على الأمر بشبتها فى المصحف حتى فى ايام سلطته على الحكم. اما الإعتذار بخشيته من الناس، أن يقولوا: زاد عمر فى كتاب الله. فهو تعليل ظاهرى، لم

(١) البخارى ج ٨ ص ٢٠٨ــ ٢١١. ومسلم ج ٤ ص ١٦٧ وج ٥ ص ١١٦.

(٢) الدر المنثور ج ١ ص ١٠٦.

(٣) نفس المصدر.

(٤) نفس المصدر.

يكن يمنعه شيء لو كان قاطعاً بالأمر!

وعليه فلم يثبت كونهن من القرآن حتى عند قائله الذى شك من نفسه!

قال ابن حجر: وقد اخرج الأئمة هذا الحديث من رواية مالك ويونس ومعمّر وصالح بن كيسان وعقيل وغيرهم من الحفاظ. وذكر الحديث برواية مالك على ما أسلفنا، واخيراً قال: ووقع فى «الحلية» فى ترجمة داود بن ابى هند عن سعيد بن المسيّب عن عمر: «لكتبتها فى آخر القرآن» وفى رواية ابى معشر: «ولولا ان يقولوا كتب عمر ما ليس فى كتاب الله لكتبته» (١) وفى رواية الترمذى «لكتبت فى ناحية من المصحف» (٢).

وللإمام بدرالدين الزركشى هنا كلام طويل فى توجيه ما صدر عن ابن الخطاب بمالا يغنى ولا يسمن من جوع (٣) ويعرّج الى كلام ابن الجوزى فى كتابه (فنون الافنان فى عجائب علوم القرآن) فراجع.

٥ ــ القرآن (١٠٢٧٠٠٠) حرفاً؟!

كان عمر يزعم من عدد حروف القرآن اكثر من مليون حرف. فقد اخرج الطبرانى باسناده ــ عن طريق محمد بن عبيد بن آدم ــ عن ابن الخطاب، انّه قال: القرآن الف الف حرف وسبعة وعشرون الف حرف. فمن قرأه صابراً محتسبا، كان له بكلّ حرف زوجة من الحور العين (٤).

لاندرى متى تعلّم الخليفة علم التعداد، ومن الذى عدّد حروف القرآن آنذاك، فى حين ان المأثور عن ابن عباس ــ المتوافق مع الواقع ــ ان حروف القرآن (٣٢٣٦٧١) ثلاثمأة الف حرف وثلاثة وعشرون الف حرف وستمأة وأحد وسبعون

(١) فتح البارى بشرح البخارى ج ١٢ ص ١٢٧.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٦١.

(٣) البرهان فى علوم القرآن ج ٢ ص ٣٦ ــ ٣٧.

(٤) الإتقان ــ طبعة حديثة ــ ج ١ ص ١٩٨.

حرفاً(١).

قال الذهبي: تفرّد محمد بن عبيد بهذا الخبر الباطل(٢).

ولعلّ ابن عبيد ايضاً لم يكن يعرف من علم الحساب شيئاً! اذ لوكان الأمر كما زعم، لكان قد ذهب من القرآن اكثر من ثلثيه!

(٧٠٣٣٢٩ = ٣٢٣٦٧١ — ١٠٢٧٠٠٠).

٦ــ قد ذهب منه قرآن كثير؟

ولعل من هكذا تلفيقات موضوعة عن لسان الخليفة، نشأت مزعومة ابنه من ضياع قرآن كثير:

اخرج ابوعبيد عن عبدالله بن عمر، قال: لايقولنّ احدكم: قد اخذت القرآن كلّه، ما يدريه ما كله؟ قد ذهب منه قرآن كثير. ولكن ليقل: قد اخذت منه ما ظهر! (٣).

لاندرى كيف ذهب ومتى ذهب ولم ذهب؟!

وقد قال تعالى: **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**(٤).

او لعلّ ذهنية ابن عمر كانت متأثرة بما اشتهر من ذهاب القرآن بذهاب اكثرية القرّاء يوم اليمامة، على ما قيل:

٧ــ ذهاب القرآن بذهاب حملته يوم اليمامة!

روى ابن ابى داود عن ابن شهاب، قال: بلغنا انّه كان انزل قرآن كثير، فقتل علماؤه يوم اليمامة، الذين كانواقد وعوه، ولم يعلم بعدهم ولم يكتب...! (٥).

(١) نفس المصدر.

(٢) ميزان الإعتدال ج ٣ ص ٦٣٩.

(٣) الاتقان ج ٣ ص ٧٢.

(٤) الحجر ١٥/٩.

(٥) منتخب كنزالعمال بهامش المسند ج ٢ ص ٥٠.

لكن هل كان القرآن محصوراً فى صدور اولئك القراء دون غيرهم من كبار الأصحاب ولا سيّما القراء المعروفون منذ عهد النبوة ولم يزالوا بعد ذلك على قيد الحياة؟!

٨ــ زيادة كانت فى مصحف عائشة!

كانت الفترة بعد وفاة الرسول ــ صلى الله عليه وآله ــ حتى عام الثلاثين هى فترة تواجد المصاحف المختلفة المنتسبة الى اصحابها من جامعين او مستنسخين، منها مصحف عائشة ولعلّها امرت باستنساخه من مصاحف الآخرين. زعموا ان فيه كانت زيادات تميّزه عن غيره فاسقطت يوم توحيد المصاحف!.

اخرج ابوعبيد باسناده عن حميدة بنت ابى يونس، مولى عائشة، قالت: قرأ علىّ ابى وهو ابن ثمانين سنة، فى مصحف عائشة: «انّ الله وملائكته يصلّون على النبى يا ايها الذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليماً. وعلى الذين يصلّون الصفوف الأول...» قالت حميدة: قبل ان يغيّر عثمان المصاحف(١). اى كانت هذه الزيادة موجودة الى حينذاك!.

هذا... ولم يعهد لعائشة مصحف يخصّها، نعم كان جمع زيد على عهد ابى بكر مودعاً عند حفصة بنت عمر، فاستعاره عثمان للمقابلة ثمّ رده عليها. مضافاً الى ان تلك الزيادة المزعومة يمجّها اسلوب القرآن الزاهى!

٩ــ آية الرضعات اكلها ذاجن ابيت!

روى مالك ــ فى الموطأ ــ باسناده عن عمرة بنت عبدالرحمان عن عائشة، قالت: كانت فيما انزل من القرآن «عشر رضعات معلومات يحرّمن» ثمّ نسخن بـ«خمس معلومات» فتوفّى رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ وهنّ فيما يقرأ من

(١) الاتقان ــ طبعة حديثة ــ ج ٣ ص ٧٣.

القرآن(١).

وهكذا روى مسلم فى صحيحه عن طريق مالك وعن طريق يحيى بن سعيد(٢).

ولكن مالكاً قال ــ بعد نقل الحديث ــ: وليس على هذا العملُ.

وقال الزيعلى ــ تعليقاً على رواية مسلم ــ: لاحجّة فى هذا الحديث، لانّ عائشة احالتها على انّه قرآن. وقالت: ولقد كان فى صحيفة تحت سريرى، فلما مات رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ وتشاغلنا بموته، دخل داجن البيت فأكلها!.

قال: وقد ثبت انه ليس من القرآن، لعدم التواتر. ولا تحلّ القراءة به ولا اثباته فى المصحف. ولأنه لوكان قرآناً لكان متلوّا اليوم، اذ لانسخ بعد النبى ــ صلّى الله عليه وآله ــ(٣).

وقد ترك البخارى روايته وكذا احمد فى مسنده، نظراً لغرابته الشائنة.

وللإمام ابن حزم الأندلسى هنا كلام غريب نقلناه آنفا(٤).

١٠ ــ آيتان من سورة البيّنة!

نسب الى ابىّ بن كعب انّه كانت آيتان من سورة البيّنة فاسقطتا من المصحف، فقد روى الإمام احمد باسناده المتصل الى زرّبن حبيش عن ابىّ بن كعب، انّه قال قال لى رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ: انّ الله تبارك وتعالى امرنى ان اقرأ عليك. فقرأ علىّ: «لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكّين حتى تأتيهم البيّنة. رسول من الله يتلواصحفا مطهرة. فيها كتب قيّمة. وما تفرّق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جائتهم البينة. (انّ الدين عندالله الحنيفيّة غير المشركة ولا

(١) تنوير الحوالك ج ٢ ص١١٨ آخر كتاب الرضاع.

(٢) صحيح مسلم ج٤ ص١٦٧. والدارمى ج ٢ ص١٥٧. وابوداود ج ١ ص٢٢٤.

(٣) بهامش مسلم. والداجن: ما الف البيت من شاة اوحمام اودجاج.

(٤) المحلى ج ١١ ص٢٣٤ــ ٢٣٦. راجع الجزء الأول من التمهيد ص٢٨٥. وهنا فى مسألة نسخ التلاوة.

اليهودية ولا النصرانية. ومن يفعل خيرا فلن يكفره). وما امروا الاّ ليعبدوا الله ...» قال شعبة ــ راوى الحديث ــ ثمّ قرأ آيات بعدها. ثم قرأ: (لو انّ لابن آدم واديين من مال لسأل وادياً ثالثاً. ولا يملأجوف ابن آدم الاّ التراب). قال: ثم ختمها بما بقى منها(١).

وباسناد آخر: ان رسول الله ــ ص ــ قال: انّ الله تبارك وتعالى أمرنى ان اقرأ عليك القرآن. قال: فقرأ: لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب. قال فقرأ فيها: (ولو ان ابن آدم سأل وادياً من مال فاعطيه لسأل ثانياً فاعطيه لسأل ثالثاً. ولا يملاء جوف ابن آدم الاّ التراب. ويتوب الله على من تاب. وان ذلك الدين القيم عندالله الحنيفيّة غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية. ومن يفعل خيراً فلن يكفره)(٢).

هذا... والحديث مكذوب عليه قطعياً، اذ لو كان كما زُعم لوجد فى مصحفه، وقد كان هو المملى للقرآن على عهد عثمان فى لجنة توحيد المصاحف، على ما اسلفنا فى الجزء الأول من التمهيد، نعم نسب ذلك ــ بعدة طرق ــ الى ابى موسى الأشعرى حينما خرف فى اخريات حياته القذرة، وسنذكرها. ولعلها نسبت الى ابىّ ايضاً تخفيفاً لوطأة الأكذوبة الثقيلة!.

والغريب انّهم ذكروا حديث عدم ملاء جوف ابن آدم، على أشكال وتعابير، ونسبوه تارة الى كلام الرسول ــ صلّى الله عليه وآله ــ كما فى الرواية عن انس(٣). واخرى الى كونه من القرآن كما فى الرواية عن ابى موسى وابن كعب. وثالثة الى الحديث القدسى ــ ولعله الأصحّ ــ كما فى الرواية عن ابى واقد الليثى: ــ

روى احمد باسناده الى عطاء بن يسار عن ابى واقد، قال: كنا نأتى النبى ــ صلّى الله عليه وآله ــ اذا انزل عليه ــ يعنى الوحى سواء كان قرآناً ام غيره ــ فيحدثنا. فقال لنا ذات يوم: «انّ الله عزّ وجلّ قال: انّا انزلنا المال لاقام الصلاة وايتاء الزكاة. ولو كان لابن آدم واد لاحبّ ان يكون اليه ثان. ولو كان له واديان

(١) مسند احمد ج٥ ص١٣٢. ما بين المعقوفتين هى الزيادة المزعومة.
(٢) المصدر ص ١٣١.
(٣) صحيح مسلم ج ٣ ص ٩٩ ــ ١٠٠.

لاحبّ ان يكون اليها ثالث. ولا يملأ جوف ابن آدم الاّ التراب. ثم يتوب الله على من تاب» (١).

١١ ــ آيتان لم تكتبا فى المصحف!

اخرج ابوعبيد باسناده الى ابى سفيان الكلاعى (مجهول) عن مسلمة بن مخلّد الأنصارى (كان لم يتجاوز العاشرة عند وفاة النبى (ص)) انه قال يوماً: أخبرونى بآيتين فى القرآن لم يكتبا فى المصحف (المصحف اصطلاح حادث ايام الخلفاء) فلم يخبروه، وعندهم ابوالكنود سعدبن مالك! فقال مسلمة: «انّ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم. الا أبشروا انتم المفلحون. والذين آووهم ونصروهم وجادلوا عنهم القوم الذين غضب الله عليهم. اولئك لاتعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون» (٢).

يا للمهزلة! تلفيق باهت وزيادة مفضوحة لاتتناسب واسلوب القرآن البديع!.

ولعل مسلمة (وقد تولى مصر من قبل يزيد بن معاوية ومات بها سنة اثنتين وستين) كاخيه الأشعرى، قال ذلك فى اخريات ايام حياته عند ما خرف وسخف عقله!

١٢ ــ سورة كانت تعادل براءة وأخرى تُشبه المسبّحات!

كان ابوموسى الأشعرى معروفاً بالحمق والشذوذ العقلى ولا سيما فى اخريات حياته حيث زاد سخفا وخرفا، فكانت له مواقف سفيهة واحياناً مضادة مع مصالح الإسلام والمسلمين. كان يوم الجمل يثبّط الناس عن الخروج مع اميرالمؤمنين ــ عليه السلام ــ وموقفه مع ابن العاصى يوم التحكيم معروف. ومن ذلك ايضاً نظرته

(١) مسند الإمام احمد ج ٥ ص ٢١٩.

(٢) الاتقان ــ الطبعة الحديثة ــ ج ٣ ص ٧٤.

السيئة فى كتاب المسلمين القرآن الكريم. كان يرى تحريفاً وسقطاً كثيراً فى كتاب الله العزيز الحميد: ــ

فقد اخرج مسلم فى صحيحه باسناده عن ابى الاسود، قال: بعث ابوموسى الأشعرى الى قراء اهل البصرة، فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن. فقال: انتم خيار اهل البصرة وقراؤهم، فاتلوه ولا يطولنّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم...

قال: وانا كنا نقرأ سورة كنّا نشبّهها فى الطول والشدّة ببراءة فأنسيتها، غيرانى قد حفظت منها: «لوكان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملاء جوف ابن آدم الاّ التراب».

وكنا نقرأ سورة كنّا نشبهها باحدى المسبّحات فأنسيتها، غيرانى حفظت منها: «يا ايها الذين آمنوا لِمَ تقولون مالا تفعلون، فتكتب شهادة فى اعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة» (١).

هكذا كان يسيئ الظنّ بالقرآن، ياله من سفه وحمق، ولا مشابهة بين ما ذكره وبديع كلامه تعالى! فقد روى مسلم بعدة اسانيد، انّه من حديث الرسول ــ صلّى الله عليه وآله ــ(٢) وفى رواية احمد باسناده عن ابى واقد الليثى: انّه من الحديث القدسى(٣) ولعله لذلك اشتبه الأمر على الأشعرى. وقد سبق ذلك عند الكلام عما نسب الى ابىّ بن كعب برقم ١٠.

١٣ ــ سورة الأحزاب كانت اطول من البقرة!

وايضا نسب الى ابىّ بن كعب ــ زوراً ــ انّه كان يعتقد من سورة الأحزاب انها كانت لتضاهى سورة البقرة او أطول منها.

(١) صحيح مسلم ج ٣ ص ١٠٠.
(٢) المصدر ص ٩٩ ــ ١٠٠.
(٣) مسند احمد ج ٥ ص ٢١٩.

روى احمدبن حنبل بإسناده عن زرّبن حبيش عن ابى بن كعب، قال: كم تقرأون (او كأيّن تعدّون) سورة الأحزاب؟ قلت: ثلاثاً وسبعين آية. قال: قط! لقد رأيتها وانّها لتعادل سورة البقرة (اى ما يقرب من مأتين وثمانين آية، اربعة اضعاف الموجود!) وفيها آية الرجم! قال زرّ: قلت: وما آية الرجم؟ قال: «الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموها البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم» (١).

وفى منتخب كنز العمال: ان كانت لتضاهى سورة البقرة اوهى اطول منها (٢).

وفى حديث عروة عن خالته عائشة، قالت: كانت سورة الأحزاب تقرأ زمن النبى ــ ص ــ مأتى آية، فلما كتب عثمان المصاحف، لم نقدر منها الاّ على ما هو الآن (٣). وكانت تزعم منها آية الرجم: «الشيخ والشيخة فارجموهما البتة بما قضيا من اللذّة» (٤).

قلت: الحديث موضوع عن لسان الصحابى الكبير ابىّ بن كعب، اذ لم يعهد من مصحفه الإختلاف مع مصاحف الآخرين بذلك ولا احتماله اصلاً. ولعلهم وضعوا ذلك عن لسانه متأخراً تأييداً لما كان يزعمه عمر بشأن آية الرجم ليخرج عن الإنفراد. لاسيّما وانّهم عمدوا الى وضع اسناد يشكله اقطاب الشيعة الأجلاء، كيزيد بن ابى زياد الهاشمى نقيب البصرة، قال ابن حجر: كان من الائمة الشيعة الكبار (٥) عن زرّبن حبيش الكوفى المخضرم من اصحاب على ــ عليه السلام ــ ذامكانة سامية يتقدم الجميع كما قال عاصم(٦) عن ابى بن كعب الصحابى الجليل سيد القراء ومن

(١) راجع: المسند ج ٥ ص ١٣٢ والاتقان للسيوطى ــ طبعة حديثة ــ ج ٣ ص ٧٢.
(٢) بهامش المسند ج ٢ ص ٤٣.
(٣) الاتقان ــ طبعة قديمة ــ ج ٢ ص ٢٥. والطبعة الحديثة ج ٣ ص ٧٢.
(٤) نفس المصدر.
(٥) تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٣٢٩ برقم ٦٣٠.
(٦) المصدر ج ٣ ص ٣٢٢ برقم ٥٩٧..

النفر الذين ثبتوا مع على ــ عليه السلام ــ يوم السقيفة(١).

اما عائشة فكانت بينها وبين عثمان نفرة، ولعلها ارادت النكاية به ولكنها فى تعبير لم يُحمد عُقباه!

١٤ــ دعاءا القنوت:

ومما ألصقوه بهذا الصحابى الكبير زيادة سورتين فى آخر مصحفه، هما: سورتا الخلع والحفد. على ما سبق فى الجزء الأول ص ٢٦٤ من التمهيد.

والظاهر انّهما دعاءان كان رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ قد يقنت بهما فى صلاته ــ ان صحت الرواية ــ فاثبتها ابى فى آخر مصحفه، كما هى العادة من ثبت بعض الدعوات فى آخر المصاحف. اما كونه معتقداً انّها سورتان قرآنيتان، فهو إحتمال بعيد، لاسيّما وعدم تناسب نظمها مع نظم القرآن، الأمر الذى لم يكن يخفى على مثل ابىّ!

اخرج ابوعبيد عن ابن سيرين، قال: كتب ابى بن كعب فى مصحفه فاتحة الكتاب والمعوذتين واللّهم انا نستعينك ... واللهم اياك نعبد... وتركهنّ ابن مسعود، وكتب عثمان منهنّ فاتحة الكتاب والمعوذتين...

قال جلال الدين السيوطى: كتبها (اى دعائى الخلع والحفد) فى آخر مصحفه(٢).

اما ترك ابن مسعود للجميع، فلأنّه كان يرى من سورة الحمد عدلاً للقرآن، وليست منه! واما المعوذتان فكان يراهما دعائين كالحفد والخلع(٣).

واما عثمان (اى اللجنة المسؤولة عن قبله) فقد اثبت ما كان قرآناً وترك

(١) راجع: شرح النهج لابن ابى الحديد ج ٢ ص ٥١ ــ ٥٢. وخصال الصدوق ب ١٢ رقم ٤. ومجالس المؤمنين للقاضى ج ١ ص ٢٣٢ وقاموس الرجال ج ١ ص ٢٣٦.

(٢) الاتقان ج ١ ص ٦٥ ط ق.

(٣) راجع: الجزء الأول من التمهيد ص ٢٥٣.

غيره. الأمر الذى يدل على معروفية كونها دعائين.

١٥ ــ سورة براءة ما بقى سوى ربعها !

زعم مالك بن انس ان سورة براءة كانت تعدل سورة البقرة، وقد اسقط من اولها، فاسقطت البسملة فيما اسقط.

قال جلال الدين السيوطى: قال مالك: ان اولها لما سقط سقط معه البسملة، فقد ثبت انها كانت تعدل البقرة لطولها(١).

واخرج الحاكم باسناد زعمه صحيحاً عن حذيفة بن اليمان الصحابى الجليل، انّه قال: ما تقرأون ربعها، يعنى ربع براءة. وانكم تسمّونها سورة التوبة وهى سورة العذاب(٢).

وفى رواية اخرى: التى تسمون سورة التوبة هى سورة العذاب. والله ما تركت احداً الاّ نالت منه. ولا تقرأون الاّ ربعها(٣).

وقد قيل قديماً: الكذوب تخونه ذاكرته!! سورة براءة تشتمل على مائة وتسعة وعشرين آية نصف آى البقرة تقريباً المشتملة على مأتين وستّ وثمانين آية. فكيف يخفى ذلك على مثل حذيفة، بل وعلى مثل مالك! هذا اولا.

وثانياً: ما هى الأسماء التى اسقطت، هل هى اسماء المشركين أم أسماء المنافقين؟ ومتى اسقطت، هل فى حياة الرسول أم بعد وفاته؟ ومن الذى تجرّأ على اسقاطها أهم المشركون الذى بادوا أيادى سبا؟! أم المنافقون الذين لم يزالوا فى خوف الإفتضاح؟!

وثالثاً: لو كانت سورة براءة بهذا الطول على عهد حذيفة، لكانت تعدّ من السور الطوال ولم يحتج عثمان فى ثبته لها تلو سورة الأنفال الى الإعتذار بأنها كانت من

(١) الاتقان ج ١ ص١٨٤ طبعة حديثة. وفى القديمة ص٦٥.
(٢) مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣٣٠ــ ٣٣١.
(٣) الدرّ المنثور ج ٣ ص ٢٠٩.

آخر القرآن نزولاً وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت انّها منها...(١).

ورابعاً: كان حذيفة من اول الناس دعوةً الى توحيد المصاحف، وكان هو المحرّض لعثمان يبعثه على القيام بأمر التوحيد، وقد مرّ ذلك فى الجزء الاوّل. اذن فكيف يجاهر بما يبعث على الإختلاف والتنقيص بشأن المصاحف الموحّدة؟!.

نعم انّها من أكاذيب وضعوها على لسان انصار اهل البيت(٢) ازراءً بشأنهم، ولو استلزم ذلك حطّاً من كرامة القرآن!!

١٦ــ تبديل كلمة!

اخرج الحاكم باسناده عن عبدالله بن مسعود، انه قرأ: «انّى انا الرزاق ذوالقوّة المتين». قال: أقرأنى رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ بذلك (٣).

والآية من سورة الذاريات(٥٨): «انّ الله هو الرزاق ذوالقوة المتين».

ولعلّ ابن مسعود اشتبهت عليه الآية، او بدّلها حسب زعمه من جواز التبديل بما لايغيّر المعنى(٤) اما انه كان يرى تحريفاً فى النص المشهور، فهو احتمال بعيد!

١٧ــ زيادة كلمة!

واخرج عن شهر بن حوشب عن اسماء بنت يزيد، قالت: سمعت النبى ــ صلّى الله عليه وآله ــ يقرأ: «يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله انّ الله يغفر الذنوب جميعاً(٥) ولا يبالى!».

(١) راجع المستدرك للحاكم ج ٢ ص ٣٣٠.

(٢) كان حذيفة اول من قام لنصرة الحق دفاعا عن حق الإمام امير المؤمنين (عليه السلام) يوم السقيفة فى لمّة من الصحابة الأخيار. راجع شرح النهج لابن ابى الحديد ج ٢ ص ٥١.

(٣) مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٢٣٤ وص ٢٤٩.

(٤) راجع: الجزء الاول من التمهيد ص ٢٥٦.

(٥) سورة الزمر: ٥٣.

ولعلّ الزيادة فى ملحق الآية كانت من كلامه(ص) توضيحا لموقفه تعالى تجاه عباده التائبين، انّه تعالى ارأف بعباده من ان يتحاشا امراً او يمنعه شيىء.

ومع ذلك فان سند الحديث غيرنقىّ. قال الحاكم: هذا حديث غريب عالٍ ولم اذكر فى كتابى هذا عن شهر غير هذا الحديث الواحد قال: وكان الشيخان لايحتجان بحديثه(١). قال ابن حجر: صدوق ولكنه كثير الإرسال والأوهام(٢).

١٨ ــ زيادة حرف!

واخرج ابن المنذر عن ابن عباس، انه كان يقرأ: «ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء ــ الأنبياء: ٤٨» بإسقاط الواو. والقراءة المشهورة: «وضياء».

ونسب اليه انّه كان يقول: انزعوا الواو من هنا وضعوها هاهنا: فى مفتتح الآية رقم ١٧٣ من سورة آل عمران «والذين قال لهم الناس...». والقراءة المشهورة بدون الواو(٣).

فقد كان يزعم ان «ضياء» حال من المفعول به اى الفرقان. وان الموصول فى الآية الثانية عطف على الموصول فى الآية قبلها.

قال ابن حجر: هذا اسناد جيّد(٤).

لكن المقصود من انزال الفرقان (اى التوراة على موسى وهارون ــ عليهما السلام ــ) امران: الاوّل ــ ان يكون فارقاً بين الحق والباطل فى الأحكام والتشريع. الثانى ــ ان يكون نوراً ينير درب الحياة.

اما اذا اخذناه حالاً، فينحصر الغرض فى ثانى الأمرين فحسب.

(١) المستدرك ج ٢ ص٢٤٩ وراجع: ص٢٥٦.
(٢) تقريب التهذيب ج ١ ص٣٥٥ برقم ١١٢.
(٣) الدر المنثور ج ٤ ص ٣٢٠.
(٤) فتح البارى ج ٨ ص ٢٨٣.

واما الموصول فى آية آل عمران فهو عطف بيان كالموصولات فى الآيات قبلها، كلّها بدون واو العطف.

وانا لنربأ بمثل ابن عباس العالم الخبير، ان يخفى عليه رعاية وحدة الأسلوب فى الكلام البليغ. بل وننكر أشدّ الإنكار ان يكون معتقداً وجود الخلل فى نظم كلمات القرآن، فى القراءة المشهورة المتواترة عن النبى ــ ص ــ كى يحتاج الى ترميم واصلاح مثلاً. الأمر الذى يتنافى وعقلية حبر الأمة الحكيمة!

١٩ ــ تبديل حرف!

زعم عبدالله بن عمر انّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قرأ: «فطلّقوهن من قبل عدتهنّ» (١) وقراءة المشهور: فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ (٢). واللام هنا بمعنى التوطئة والتمهيد، اى فليكن الطلاق فى وقت يمكن لها الإعتداد منه. بان يقع الطلاق فى طهر غير مواقع، فتنتهى عدتّها بحيضتين تراها بعد الطلاق.

ولعل ما وقع فى كلام الرسول ــ ص ــ على فرض الصحة، كان تفسيراً للام، فزعمه ابن عمر قراءة.

٢٠ ــ تبديل هجاء!

اخرج الإمام احمد عن ابى خلف، ان عبيد بن عمير سأل عائشة عن قراءة النبى ــ صلّى الله عليه وآله ــ لهذه الآية: وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ... (٣). هل قرأها ممدودة (يؤتون ما آتوا ــ مزيداً فيه من باب الافعال) ام مقصورة (يأتون ما اتوا ــ مجرّداً ثلاثياً).

قالت: ايتّها احبّ اليك! قال: لإحداهما احب الىّ من حمر النعم! قالت:

(١) المستدرك ج ٢ ص ٢٥٠.
(٢) الطلاق ٦٥/١.
(٣) المؤمنون ٢٣/ ٦٠.

ايتها؟ قال: يأتون ما اتوا ــ مقصوراً.

قالت: اشهد انّ رسول الله ــ ص ــ كذلك كان يقرؤها، وكذلك انزلت، ولكن الهجاء حرف (١).

قلت: والقراءة المشهورة ممدودة، والمعنى: يعطون ما أعطوا، اما على قراءة القصر فالمعنى يعملون ما عملوا.

والمعنى على كلتا القرأتين صحيح، غيران الإجتهاد والنظر لامدخل له فى تغيير النص المأثور امكان التصرف فيه.

والمعتمد ما عليه اجماع المسلمين وغيره شاذ متروك .

٢١ ــ خطاء فى الاجتهاد !

نسب الى ابن عباس انه زعم فى قوله تعالى: **حَتّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلىٰ أَهْلِهَا** ... (٢). انّه من خطاء الكاتب. وانما هو «حتى تستأذنوا وتسلّموا...».

هكذا رواه الطبرى فى التفسير، وصححه الحاكم على شرط الشيخين (٣).

فقد زعم الزاعم ان شرط الدخول هو الإستيذان، اما الإستيناس فهو بعد الدخول!.

لكن فى التعبير بالإستيناس بدل الإستيذان نكتة دقيقة، هى:

ان المستأذن اذا لم يواجه بالحفاوة والترحاب من اهل الدار، فانّه لم يصحّ له الدخول، فلعله من المأخوذ بالحياء، فاذا استأنس منهم الرضا وطيب النفس فعند ذلك يدخل بسلام.

الأمر الذى لم يكن يخفى على مثل ابن عباس الرجل الخبير بدقائق الكلام!

(١) المسند ج٦ ص٩٥. والمستدرك ج ٢ ص٢٣٥ وص٢٤٦.

(٢) النور ٢٤/٢٧.

(٣) جامع البيان ج ١٨ ص ٨٧ والمستدرك ج ٢ ص ٣٩٦.

٢٢ ــ اجتهاد فى مقابلة النص !

وهكذا زعم ــ فيما نسب اليه ــ فى قوله تعالى:

وَقَضٰى رَبُّكَ اَنْ لاٰتَعْبُدُوا إلاّ اِيّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إحْساناً ... (١).

ان الذى انزل على لسان النبى ــ ص ــ «ووصى ربّك ...» غير ان الكاتب استمد مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد(٢). هذا مع العلم ان المصاحف يومذاك كانت خالية عن النقط والشكل.

قال: ولو نزلت على القضاء ما اشرك به احد.

وسئل الضحاك عن هذا الحرف، قال: ليس كذلك نقرؤها نحن ولا ابن عباس. انما هى: ووصى ربك. وكذلك كانت تقرأ وتكتب، فاستمد كاتبكم فاحتمل القلم مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد. ثم قرأ:

وَلَقَدْ وَصَيْنَا الذينَ اُوتُوا الْكِتٰابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَاِيّاكُمْ اَنِ اتَّقُوا اللهَ... (٣).

قال: ولو كانت قضى من الرب لم يستطع احد ردّ قضائه. ولكنه وصية اوصى بها العباد(٤).

لكنها نظرة فاسدة تجاه اجماع الأمة، ولعله من الإجتهاد فى مقابلة النص!.

ان القضاء من الله على نحوين: قضاء تكوين وقضاء تشريع، فالذى لايمكن

(١) الاسراء ١٧/ ٢٣.

(٢) الدر المنثور ج ٤ ص ١٧٠.

(٣) النساء ٤/ ١٣١.

(٤) الاتقان ج ١ ص ١٨٥.

ردّه هو القضاء فى التكوين، «لارادّ لقضائه»: وَإِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. (١).

اما القضاء فى التشريع فهو عبارة عن التكليف امراً ونهياً، بعثاً وزجراً، والعباد مختارون فى الاطاعة والعصيان، اختياراً لمصلحة الإختبار. اذ لاتكليف لولا الاختيار. قال تعالى: إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً... (٢). اى حكم حكما الزامياً باتاً. وهكذا معنى الآية: انّه تعالى امر امراً باتاً لاتعلل فى وجوب امتثاله.

٢٣ ــ زعم فاسد!

واخرج الطبرى فى التفسير عن ابن عباس انّه كان يقرأ:

أفلم يتبيّن الذّينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشاءُ اللهُ لَهَدَى النّاسَ جَميعاً... (٣).

قيل له: انه فى المصحف «أفلم ييأس...» قال: اظن الكاتب كتبها وهو ناعس!.

وقال ابن جريح: زعم ابن كثير وغيره، انّها فى القراءة الأولى «أفلم يتبين...» (٤).

قال ابن حجر: هذا الحديث رواه الطبرى باسناد صحيح، كلهم من رجال البخارى (٥).

هكذا نسبوا الى حبر الأمة زعم الغفلة فى كاتب المصحف الشريف!.

وقد بالغ الزمخشرى فى الانكار على صحّة هذا الأثر، قال: ــ

(١) البقرة ٢/١١٧.
(٢) الاحزاب ٣٣/٣٦.
(٣) الرعد ١٣/ ٣١.
(٤) جامع البيان ج ١٣ ص ١٠٤.
(٥) فتح البارى ج ٨ ص ٢٨٢.

وقيل: انما كتبه الكاتب، وهو ناعس، مستوى السينات!.

ولكن، هذا ونحوه ممّا لايصدّق بشأن كتاب الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه! وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتاً بين دفّتى الإمام، وكان متقلباً فى ايدى اولئك الاعلام المحتاطين فى دين الله، المهيمنين عليه لايغفلون عن جلائله ودقائقه. خصوصاً عن القانون الذى اليه المرجع والقاعدة التى عليها البناء، وهذه والله فرية ما فيها مرية(١).

هذا كلام هذا المحقق المتفرد فى الأدب والتفسير.

لكن مثل ابن حجر ــ مع كونه من ائمة النقد والتمحيص ــ قد اعجبته صحة السند حسب اصطلاح القوم، فرجّح النقل على العقل الرشيد، واخذ بالمظنون وترك المقطوع به.

قال ــ ردّاً على كلام الزمخشرى ــ: هذا انكار من لاعلم له بالرجال... وتكذيب المنقول بعد صحته ليس من دأب اهل التحصيل، فلينظر فى تأويله بما يليق(٢).

قلت: بماذا يؤول نسبة النعاس والغفلة الى كاتب المصحف، وكيف يحتمل انه ارادان يكتب «يتبيّن» فكتب «ييأس» ذهولاً؟!.

ثم كيف يمكن تخطئة قراءة جمهور المسلمين التى ورثوها كابراً عن كابر عن النبى الكريم صلى الله عليه وآله!.

ان هو الاّ زعم فاسد وفرية ما فيها مرية!.

٢٤ ــ اربعة احرف لحن!

زعم من لا اضطلاع له بالأدب أن فى القرآن مواضع فيها لحن، وان الصواب غيره، حسب معرفته الناقصة عن قواعد الكلام.

(١) الكشاف ج ٢ ص ٥٣٠ ــ ٥٣١

(٢) فتح البارى ج ٨ ص ٢٨٢.

من ذلك ما زعمه عروة بن الزبير بشأن الآيات الثلاث التالية:

١ــ فى سورة طه/ ٦٣ إِنَّ هٰذَانِ لَسَاحِرَانِ، برفع اسم انّ!.

٢ــ فى سورة المائدة/ ٦٩ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا والصَّابِئُونَ برفع المعطوف على اسم انّ!.

٣ــ فى سورة النساء: ١٦٢ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ عطفا على «لكن الراسخون فى العلم والمؤمنون...».

قال: سألت عائشة عن ذلك، فقالت: يا ابن اختى، هذا عمل الكتّاب اخطاؤا فى الكتابة!.

قال جلال الدين السيوطى: اسناد صحيح على شرط الشيخين(١).

٤ــ واسندوا الى التابعى الكبير سعيد بن جبير انّه قال: اربعة احرف فى القرآن لحن منها الموارد الثلاثة المذكورة، والرابعة: فى سورة المنافقين/ ١٠ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ بجزم المضارع، المعطوف على المنصوب، بتقدير الناصب بعد فاء العطف(٢).

وعن ابى خالد، قال: قلت لابان بن عثمان ــ الشخصية العلمية الكبيرة ــ: كيف صارت «والمقيمين الصلاة» وما بين يديها وما خلفها رفع؟.

قال: من قبل الكاتب، كتب ما قبلها، ثمّ سأل المملى ما اكتب؟ قال: اكتب المقيمين الصلاة فكتب ما قيل له(٣)!

وعن ابى عمرو: انى لاستحى ان اقرأ «انّ هذان لساحران»(٤).

قلت: سنوافيك بالتخريج الصحيح لمواضع الآيات، وفق اللغة الفصحى من غير ما ضعف. الاّ انّ النسبة الى مثل سعيد وابان، وهما العَلَمان الكبيران، تبدو غريبة، اذ كيف يخفى وجه الصواب على مثلها، حتى يسندا الغلط الى قراءة

(١) الاتقان ج ١ ص ١٨٢ ط ١.
(٢) المصاحف للسجستانى ص ٣٣ــ ٣٤.
(٣) المصاحف ص ٣٣ــ ٣٤.
(٤) تفسير الرازى ج ٢٢ ص ٧٤.

المشهور!؟

نعم يجوز ذلك من مثل عروة، الجاهل بمواضع اللغة ودقائقها.

اما ابوعمرو بن العلاء (كان اعلم اهل زمانه بالقرآن والعربية وآدابها (١) فكان استحياؤه ان يقرأ بالألف، على فرض تثقيل «إنّ» ولعل الحق معه على ذلك الفرض، اذ لا وجه له صحيحاً، أما على قراءة التخفيف، كما هى قرائة حفص وجمهور المسلمين، فلاموضع للاشكال فيه، على ما سننبه.

واليك ــ الآن ــ بعض التوجيه بشأن الآيات الأربع، ذكره ألمع علماء الأدب والبيان: ــ

(١ ــ فى سورة طه : ٦٣)

قوله تعالى: إِنْ هٰذٰانِ لَسٰاحِرٰانِ.

قرأ حفص بتخفيف «ان» المكسورة. وهى القراءة المشهورة التى عليها جمهور المسلمين. وهى الصحيحة عندنا. فتكون «ان» مخففة عن الثقيلة وهى لاتعمل النصب.

ووجود اللام فى الخبر دليل على انها المخففة. قال ابن هشام: وحيث وجدت «ان» مكسورة مخففة وبعدها اللام المفتوحة، فاحكم عليها بأنّ اصلها التشديد. نحو قوله تعالى: وَإِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً... (٢). وقول الشاعر:

شُلّت يمينك ان قتلت لمسلماً حلّت عليك عقوبة المتعمد

وهكذا قال الزمخشرى: هى المخففة التى تلزمها اللام الفارقة.

قال ابن هشام: هذه اللام عند سيبويه والأكثر هى لام الإبتداء المزحلقة التى تفيد التوكيد ويلزم دخولها ــ عند التخفيف ــ بعد ان كانت جائزة ــ عند التشديد.

وعليه فلا اشكال فى الآية رأساً.

(١) راجع: تهذيب التهذيب ج ١٢ ص ١٧٨ ــ ١٨٠.

(٢) البقرة ٢/١٤٣.

وامّا قراءة التشديد مع الألف، فهى قراءة بقية القراء سوى ابى عمرو، فحجّتهم انّها مكتوبة فى الإمام هكذا بالألف فيجب متابعته. انما الإشكال فى التشديد مع عدم النصب. فقالوا: انّها لغة لبعض العرب وهم «بنو الحارث بن كعب ومن جاورهم» (١). والقرآن قد يتبع فى استعماله لغات القبائل غير المعروفة.

ووجّهه النحويون بوجوه: منها: أنّ «إنّ» هنا بمعنى نعم. وأُشكل بدخول اللام فى الخبر. واجيب بانها داخلة على جملة محذوفة المبتداء. واعترض بعدم امكان الجمع بين التوكيد والحذف.

لكنه تكلّف بعيد. والمتبع هى قراءة حفص التى عليها الجمهور.

واما قراءة ابى عمرو بالياء، فعلى وفق الأصل. لكنها قراءة شاذة غير جائزة لدينا.

(٢ ــ فى سورة المائدة: ٦٩)

قوله تعالى:

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ.

قرأ المشهور: «والصابئون» بالرفع عطفاً على محل اسم انّ. قال الفراء: ويجوز ذلك اذا كان الإسم مما لم يتبين فيه الإعراب، كالمضمر والموصول. كقول الضابئ بن الحارث البرجمى:

فمن يك امسى بالمدينة رحله فانى وقيار بها لغريب.

وقال بشر بن حازم:

(١) راجع: معانى القرآن للفراء ج ٢ ص١٨٤. وسعد السعود لإبن طاووس ص ٢٦٥.

والاّ فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا فى شقاق.

ورجّح ذلك فى الآية رعايةً لمناسبة الواو فى «هادوا» نظير العطف على التوهم.

ونقل سيبويه عن العرب انهم يقولون: انهم اجمعون ذاهبون. وانّك وزيد قائمان. وجعله كقول الشاعر:

بَدا لى انى لست مدرك ما مضى ولا سابق شيئاً اذا كان جائياً

فخفض «سابق» عطفاً على خبر «ليس» توهما انّه مجرور بالباء.

ولسائر النحاة توجيهات اخر. والمهم ان البصريين والكوفيين جميعاً اجازوا الرفع هنا، كلٌّ لسبب يراه.

والآية فى سورة البقرة: ٦٢

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارىٰ وَالصَّابِئِينَ ...

بالنصب على الأصل، ورجح لمناسبة الياء فى «النصارى».

اما فى سورة الحج: ١٧

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصارىٰ وَالْمَجُوسَ ...

فجاءت على الأصل من غير رعاية مناسبة لفظية.

وهذا من فنون القرآن يأتى على انواع من البيان الفصيح الدارج!.

(٣ــ فى سورة النساء: ١٦٢)

قوله تعالى:

لٰكِنِ الرَّاسِخُونَ فِى الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ

مِنْ قَبْلِكَ. وَالْمُقيمينَ الصَّلاةَ. وَالْمُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ باللهِ وَالْيَومِ الْآخِرِ. أُولٰئِكَ سَنُؤْتيهِمْ أَجْراً عَظيماً.

قال الزمخشري ــ بشأن نصب المقيمين ــ: نصب على المدح لبيان فضل الصلاة. وهو باب واسع. ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحناً في خطّ المصحف. وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الإختصاص من الإفتنان. وغُبي عليه انّ السابقين الأولين كانوا أبعد همّةً في الغيرة على الإسلام وذبّ المطاعن عنه، من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدّها مَنْ بعدهم، وخرقاً يرفوه من يلحق بهم.

وقال سيبويه ــ في باب ما ينتصب في التعظيم والمدح ــ: وسمعنا بعض العرب يقول: الحمدلله ربَّ العالمين ــ بنصب الرّب ــ فسألت عنها يونس فزعم انّها عربيّة(١). قال: ومثل ذلك قول الله عزّ وجلّ: **لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة. والمؤتون الزكاة**، فلو كان كله رفعاً كان جيداً، فاما «المؤتون» فمحمول على الإبتداء.

قال: ونظيره قوله تعالى

وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عٰاهَدُوا وَالصّابِرينَ في الْبَأْساءِ وَالضَّرّاءِ.. (٢).

فقطع الى النصب مدحاً. قال: ولو رفع عطفاً او استينافاً كان جيّداً.

وقال الشاعر ــ وهو الخرنق من بني قيس بن ثعلبة ــ:

لا يبعدن قومي الذين هم سمّ العداة وآفة الجُزر (٣)

(١) كان سيبويه يحترم من آراء يونس. والزعم هنا بمعنى الرأى والنظر.

(٢) البقرة ٢/١٧٧.

(٣) المعنى: انهم بالنسبة الى الأعداء سموم قتّالة. وبالنسبة الى الأضياف ناحرون الجزر جمع جزور.

النازلين بكل معترك والطيبون معاقد الأزر(١)

قال: وزعم يونس ان من العرب من يقول: النازلون، والطيبين...

قال: وزعم الخليل ان نصب هذا على انك لم ترد ان تحدّث الناس ولا من تخاطب بأمر جهلوه، ولكنهم علموا من ذلك ما قد علمت، فجعلته ثناءً وتعظيماً. ونصبه على الفعل، كانه قال: اذكر اهل ذاك واذكر المقيمين. ولكنه فعل لايستعمل اظهاره. وهذا شبيه بقوله: انّا بنى فلان نفعل كذا... على الإختصاص افتخاراً وابتهاءً.

قال: ومن هذا الباب فى النكرة قول اميّة بن ابى عائذ:

ويأوى الى نسوة عطّلٍ وشعثاً مراضيعَ مثل السعالى

قال الخليل: كانّه قال: واذكر هنّ شعثاً. غير انّه على الذم(٢).

* * *

وقال المرتضى علم الهدى بشأن نصب، وَالصّابِرينَ (٣): وجه النصب انّه على المدح، لانّ مذهبهم فى الصفات والنعوت اذا طالت، ان يعترضوا بينها بالمدح او الذمّ ليميزوا الممدوح او المذموم ويفردوه. فيكون غيرمتبع لأول الكلام. من ذلك قول الخرنق بنت بدر بن هفّان:

لايبعدن قومى... (الى آخر البيتين. لكن بنصب النازلين والطيبين). قال: فنصبت «النازلين والطيبين» على المدح. وربما رفعوهما جميعاً على ان يتبع آخر الكلام اوّله. ومنهم من ينصب «النازلين» ويرفع «الطيبين». وآخرون يرفعون «النازلين» وينصبون «الطيبين». والوجه فى النصب والرفع ما ذكرناه.

قال: ومن ذلك قول الشاعر ــ انشده الفراء ــ:

الى الملك القرم وابن الهُمام ولَيْثَ الكتيبة فى المزدحم

(١) المعنى: انهم لايمسّون الفاحشة، وانهم عند معاقد الأُزر (جمع إزار) اطياب.

(٢) راجع كتاب سيبويه ج ١ ص٢٨٨ ــ ٢٩١. والسّعالى: جمع السعلاة انثى الغول.

(٣) البقرة ٢/١٧٧.

وذا الـرأى حين تـغـمّ الامـور بـذات الصـليـل وذات الـلـجـم

فنصب «ليث الكتيبة» و«ذا الرأى» على المدح.

قال: وممّا نصب على الذم قول عروة بن الورد:

سـقـونـى الخـمـر ثـمّ تـكـنـفـونـى عُـداةَ الله مـن كـذب وزور(١).

(٤ــ فى سورة المنافقين: ١٠)

قوله تعالى:

وَأَنْفِقُوا مِمّا رَزَقْنٰاكُمْ مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوتُ، فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاٰ أَخَّرْتَنى إلىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصّالِحينَ.

قرأ السبعة غير ابى عمرو، بجزم «اكن» عطفاً على موضع الفاء، لأن موضعها جزم على جواب التمنّى. لانّ المعنى: ان اخرتنى اَصَّدَّقْ وأكُن.

وقرأ ابوعمرو بالنصب عطفاً على لفظ «فأصّدق» المنصوب باضمار أن.

هكذا قال مكى بن ابى طالب، والزمخشرى وغيرهما من اعلام الأدب والتفسير. وتلك كتب النحو تشهد بصحة الجزم والنصب فى المعطوف على جواب التمنى اذا دخله الفاء.

وعليه فلاوقع لما ذكره بعض البعداء، ناسبين له الى كبار الأمة الأبرياء، من وجود اللحن فى الآية وما شاكلها من آيات، هى جارية على اساليب الأدب الرفيع. غيران الأعشى انما يبصر بليل!.

٢٥ ــ سورة الولاية المفنعلة

واخيراً فمن المختلقات العامّية المرتذلة ما نسبه صاحب (دبستان المذاهب) الى

(١) انظر: الأمالى للمرتضى ج ١ ص ٢٠٥ ــ ٢٠٦.

فئة غير معروفة من الشيعة، زعم انّها تقول بالتحريف... قال: وبعضهم يقول: ان عثمان احرق المصاحف واسقط سوراً كانت نازلة فى فضل اهل البيت، منها هذه السورة:

بعد البسملة «يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالنورين، انزلنا هما يتلوان عليكم آياتى ويحذّرانكم عذاب يوم عظيم. نوران بعضها من بعض وانا السميع العليم. ان الذين يوفون بعهدالله ورسوله فى آيات لهم جنات نعيم!؟. واصطفى من الملائكة والرسل وجعل من المؤمنين اولئك فى خلقه يفعل الله ما يشاء!!؟ قد خسر الذين كانوا عن آياتى وحكمى معرضون!؟... وان عليا من المتقين. وانا لنوفّيه حقه يوم الدين. ما نحن عن ظلمه بغافلين!؟... يا ايّها الرسول قد انزلنا اليك آيات بينات فيها من يتوفاه مؤمنا ومن يتوليه من بعدك يظهرون!!. ولقد ارسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون!؟. فصبر جميل. ولقد آتينابك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين! وجعلنالك منهم وصيا لعلهم يرجعون... انّ عليا قانتاً بالليل، ساجداً يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربّه؟! قل هل يستوى الذين ظلموا وهم بعذابى يعلمون!؟...(١).

قال المحدث النورى: لم اجد اثراً لها فى كتب الشيعة سوى ما يحكى عن كتاب المثالب المنسوب الى ابن شهر آشوب: انهم اسقطوا تمام سورة الولاية... فلعلها هذه السورة.!(٢).

* * *

وهكذا المحقق الآشتيانى صاحب الحاشية(٣) (١٣١٩) نقل السورة المزعومة، وعقبها بقوله: ولم اقف عليها فى غير هذا الكتاب، سوى ما يقال عن كتاب المثالب لابن شهر آشوب. واضاف: ولكنك خبير بانها ليست تضاهى شيئا من القرآن الحكيم، المنزل اعجازا على قلب سيّد المرسلين. اذ من المقطوع به ان كل احد يمكنه

(١) دبستان المذاهب، تحقيق الاستاذ رحيم رضازاده ملك ج ١ ص٢٤٦ــ ٢٤٧ (طهران ١٣٦٢).
(٢) فصل الخطاب ص ١٧٩ــ ١٨٠ برقم (سح ٦٨) من الدايل الثامن.
(٣) بحر الفوائد فى شرح الفرائد ص ١٠١ ج ١ وقد تم تأليفه بطهران سنة (١٣٠٧ هـ) وطبعه سنة (١٣١٤) المتأخر عن تاليف فصل الخطاب سنة (١٢٩٢) وعن طبعه بطهران سنة (١٢٩٨).

تلفيق هكذا الفاظ وكلمات لارابط بينها ولاانسجام فضلا عن المعنى الصحيح... وقد قال تعالى بشأن القرآن العزيز:

قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلىٰ اَنْ يَاتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرآنِ لَايَاتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهيراً (١).

* * *

اما كتاب (المثالب) الذى حكيت عنه تلك العبارة، فلم يره احدٌ اطلاقاً، ولا ذكره اصحاب التراجم، سوى ما جاء فى عرض كلام ابن شهر آشوب نفسه، فى كتابه (معالم العلماء) عند ترجمة نفسه، فذكر كتابا ضمن تآليفه بهذا الاسم، الا انّه هل خرج الى التبييض، وهل انتشرت نسخته؟ فهذا شيى لم يذكره احد ولا شاهده ديّار. وصاحب الذريعة ــ رغم تتبعه وافراغ وسعه فى الاطلاع على الكتب المصنفة ــ لم يرله اثرا فى المكاتب اطلاقا. وانما نقله بالواسطة، ولعله كتاب آخر يماثله فى الاسم والعنوان.

امّا العبارة المحكية، فلم نجد من ادعى مشاهدتها، سوى نقلها بلفظ «حُكى» مجهولا. كما وقع فى عبارة النورى والآشتيانى ...

* * *

امّا السورة المزعومة ذاتها، فهى تنادى بانها حديث مفترى، لا تعدو سوى تلفيقات ركيكة وتعبيرات هجينة لاتمّت الى أب صالح ولا امّ صالحة. انها خالفت قواعد الاعراب فضلا عن الادب الرفيع... الامر الذى يؤكد غرابة نسبتها الى اى فئة من فئات الشيعة وهم على مختلف طبقاتهم كانوا ولا يزالون ائمة النقد والتمحيص، واساتذة الادب والبيان، والمضطلعين بالعلوم العربية على طول التاريخ.

ولاريب انها سفاسف سخيفة حاكتها عقول غير ناضجة، يتحاشاهاذووا الاحلام الكريمة. نعم سوى احقاد جاهلية تبعث على هذا الافتراء الكاذب. قال

(١) الاسراء ١٧/٨٨.

تعالى:

إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ... (١).

انّه سفه وحمق الى جنب خبث السريرة، الامر الذى يشكل طابع امثال صاحب الدبستان الصعلوك المسكين!.

* * *

وبعد... فما هو معنى «النورين النازلين من السماء يتلوان الآيات ويحذّران العذاب» ؟!.

وما معنى «الذين يوفون بعهد الله ورسوله فى آيات» ؟!.

وما معنى «واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين اولئك فى خلقه» ؟!.

وكيف لم ينتصب خبر «كانوا معروضون» ؟!

وما معنى «ما نحن عن ظلمه بغافلين» ؟!.

وكيف يكون فى الآيات البينات من يتوفى مؤمنا؟!.

وما معنى «فبغوا هارون» ؟! فصبر جميل ــ على هذه الترهات ــ!

وما معنى «ولقد اتينابك ... كالذين من قبلك» ؟!.

وما معنى «جعلنالك منهم وصيا» ؟!.

ولماذا انتصب خبر «انّ»: ان عليا قانتا ساجدا.

وبماذا يستوى الذين ظلموا؟!.

قال العلامة البلاغى: ولعل المعنى فى بطن الشاعر!!

قال: هذا بعض الكلام فى هذه المهزلة، وان صاحب فصل الخطاب من المحدّثين المكثرين المجدّين فى التتبّع للشواذ، وانّه ليعدّ امثال هذا المنقول فى دبستان المذاهب ضالته المنشودة، ومع ذلك قال: انّه لم يجد لهذا المنقول اثراً فى كتب الشيعة... فياللعجب من صاحب الدبستان من اين جاء بنسبة هذه الدعوى الى

(١) النحل ١٦/١٠٥.

الشيعة، وفى اى كتاب لهم وجدها؟!أفهكذا يكون النقل فى الكتب؟!

قال: ولكن لاعجب، شنشنة اعرفها من اخزم!! فكم نقلوا عن الشيعة مثل هذا النقل الكاذب!! (١).

* * *

قال الاستاذ رحيم (محقق الكتاب): ما اثبته المؤلف فى كتابه عن الاديان والمذاهب اكثرها جوانب عاميّة مأخوذة من افواه أناس او شاهدها فى تصرفات بعض المعتنقين لتلك الاديان، فى الاسواق والمقاهى والأندية العامة، وربما على حواشى الطرق والأسفار، فكان يجتمع مع اولئك العاميّين ويتناقل معهم الحديث، ثم يسجلها قيد كتابه الذى تمّ تأليفه بهذا النمط خلال عشرين عاما او اكثر ما بين سنة ١٠٤٠ــ ١٠٦٥. ومن ثم كان لفيف من المشعوذين من اهل الاستهواء، حيث احسوا منه الرغبة الملحّة فى جمع الغرائب والعجائب، يتزلفون اليه، رغبة فى أكله دسمة اومنحة اوصلة، فيحيكون له اكاذيب واقاصيص مجعولة، وكان من سذاجته يسجلها فى كتابه، واحيانا عن لسانهم مشفوعة بعناوين والقاب فخيمة ترفيعا من شأنها حسب زعمه... الامر الذى نشاهده فى كتابه كثيرا من قضايا ومسائل منسوبة الى مذاهب واديان لا اساس لها ذاتا، وما هى الامغبة ان الرجل كان قد جعل نفسه موضع مهزلة المشعوذين ممن يروقهم الاستحواذ على سذّج العقول امثال هذا المؤلف المسكين...(٢).

* * *

اما من هو المؤلف؟ فزعمه السيرجون ملكم فى كتابه تاريخ ادبيات ايران (ج ١ ص ٥٩) انّه(محسن الكشميرى المتخلص بالفانى). وفى ايضاح المكنون فى الذيل على كشف الظنون (ج ٣ ص ٤٤٢) انه المؤبد شاه الهندى. وحسبه الملاّ فيروز فى هامش كتاب (الدساتير ص ٢٢١) انه المير ذوالفقار على...

وآخر نظرية وصل اليها المحققون انّه: المؤبد(٣) كيخسرو اسفنديار من ولد آذر

(١) مقدمة تفسير الآلاء ج ١ ص٢٤ــ ٢٥ (الامر الخامس).

(٢) دبستان المذاهب ج ٢ ص١٢٦ و ١٢٩ قسم التعليقات.

(٣) المُوبد: عنوان يطلق على الزعماء الدينين فى مصطلح المجوس.

كيوان (مؤسس الفرقة الكيوانية) على عهد (اكبر شاه التيمورى ٩٦٣ــ ١٠١٤) فى الهند. ولد المؤلف فى بلدة (پتنه) من اعمال الهند فى اواسط العقد الثالث من القرن الحاديعشر للهجرة وكان عائشا حتى ما بعد العقد السابع، حسبما بيد و من التواريخ المسجلة قيد كتابه.

وكان المؤلف داعية للمذهب الكيوانى القائل بوحدة الوجود، ورفض المذاهب، والاجتماع على كتاب (الدساتير) الذى زعمه امّ الكتب ومجتمع الشرايع كلها، نسبه الى نبيّ يقال عنه انه (ساسان) ... ومن ثمّ فان المؤلف فى كتابه الدبستان، يحاول تضعيف عقايد اصحاب الملل، والترويج ــ فى خفاء والتواء ــ من مذهب ابيه آذر كيوان الجديد التأسيس.

واول من اشاد بشأن الكتاب هو (فرنسيس غلادوين) ترجمه الى الانجليزية عام ١٧٨٩ م. وفى عام ١٨٠٩ م (ذوالعقدة ١٢٢٤ هـ ق) طبع الكتاب لاول مرة فى (كلكته) بأمر من مندوب الانجليز (ويليام بيلى) ... وهكذا استمرت طباعته على يد عملاء الاستعمار فى الهند وايران وكذا تراجمه فى سائر البلاد ... لماذا؟ لامرمّا جدع قصير انفه ...؟

التحريف
عند الفئة الأخبارية

تلك كانت مهزلة التحريف عند حشوية العامة، والآن فاستمع الى مهزلة اخرى اثارها فئة اخبارية منتسبة الى الشيعة(١)، الاّ أنهم واكبوا اخوانهم الحشوية فى المسّ بكرامة القرآن من غير ما مبالاة!.

وقد عرفت آنفاً ان المحققين من علمائنا الذين هم اهل النظر والإجتهاد، قد اجمعوا على رفض احتمال التحريف فى كتاب الله، استنادا الى دليل العقل وتواتر النقل. ولايزالون على ثبات العقيدة الأولى التى نص عليها الشارع الحكيم.

وكذلك جلّ اهل الحديث من عظماء الطائفة وافقوا اهل التحقيق فى انكار التحريف، منذ عهد رئيس المحدثين ابى جعفر الصدوق (٣٨١) (عليه الرحمة) حتى عصر الشيخ الحرّ العاملى (١١٠٤) خاتمة المحدثين ــ رحمه الله ــ فوقفوا جميعاً وقفة حازم، الى جنب المجتهدين.

نعم حدثت فكرة وقوع التحريف من قِبَل جماعة الأخباريين فى عصر متأخر منذ ان نبغ نابغتهم (السيد الجزائرى) فى حاشية الخليج (١٠٥٠ــ ١١١٢).

فاشاد من هذه الفكرة واسّس بنيانها على قواعد الإسترسال والإنطلاق مع

(١) وقد عبّر عنهم المولى التسترى ــ فى كتابه مصائب النواصب ــ بالشرذمة القليلة من هذه الأمة ممن لا اعتداد بهم من جماعة الشيعة الإمامية (آلاء الرحمان ج ١ ص٢٥ــ ٢٦).

شوارد الأخبار وغرائب الآثار.

وانطلقت ورائه زرافات من اهل الخبط والتخليط، واخيراً شيخهم النورى (١٢٥٤ــ ١٣٢٠) فى فصل الخطاب الذى حاول فيه نقض دلائل الكتاب ونفى حجّيته القاطعة الثابتة عند اهل الصواب.

واليك من دلائل الجزائرى فى كتابه «منبع الحياة!»: ــ

قال: انّ الأخبار المستفيضة بل المتواترة قد دلّت على وقوع الزيادة والنقصان والتحريف فى القرآن. منها: ما روى عن اميرالمؤمنين(ع) لمّا سئل عن التناسب بين الجملتين فى قوله تعالى «وان خفتم ان لاتقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ــ النساء: ٣» فقال: لقد سقط اكثر من ثلث القرآن.

ومنها ما روى عن الصادق(ع) فى قوله تعالى: «كنتم خير امّة...» قال: كيف يكون هذه الأمة وقد قتلوا ابن رسول الله (ص) ليس هكذا نزلت وانما نزولها «كنتم خير ائمة» يعنى الأئمة من اهل البيت عليهم السلام.

ومنها ما روى فى الأخبار المستفيضة فى ان آية الغدير هكذا نزلت: «يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك ــ فى علىّ ــ فان لم تفعل فما بلّغت رسالاته»!!

الى غير ذلك مما لوجمع لصار كتاباً كبير الحجم!.

قال: واما الأزمان التى ورد على القرآن فيها التحريف والزيادة والنقصان، فهما عصران العصر الأول عصره ــ صلّى الله عليه وآله ــ واعصار الصحابة. وذلك من وجوه:

احدها ــ ان القرآن كان ينزل منجماً على حسب المصالح والوقائع، وكتّاب الوحى كانوا ما يقرب من اربعة عشر رجلاً من الصحابة، وكان رئيسهم اميرالمؤمنين(ع) وقد كانوا فى الأغلب ما يكتبون الاّ ما يتعلق بالأحكام والاّ ما يوحى اليه فى المحافل والمجامع. واما الذى كان يكتب ما ينزل فى خلواته ومنازله فليس هو الاّ اميرالمؤمنين(ع) لأنّه كان يدور معه كيفما دار، فكان مصحفه اجمع من غيره من المصاحف.

قال: ولما مضى(ص) الى لقاء حبيبه وتفرقت الا هواء بعده، جمع اميرالمؤمنين

ـ ع ـ القرآن كما انزل، وشدّه بردائه واتى به الى المسجد وفيه الأعرابيان واعيان الصحابة، فقال لهم: هذا كتاب ربكم كما انزل. فقال له الأعرابي الجلف: ليس لنافيه حاجة، هذا عندنا مصحف عثمان! فقال ـ عليه السلام ـ: لن تروه ولن يراه احد حتى يظهر ولدى صاحب الزمان فيحمل الناس على تلاوته والعمل باحكامه. ويرفع الله سبحانه هذا المصحف الى السماء.

ولما تخلف ذلك الأعرابي احتال في استخراج ذلك المصحف ليحرقه كما احرق مصحف ابن مسعود، فطلبه من اميرالمؤمنين (ع) فأبى.

قال: وهذا القرآن عند الأئمة ـ عليهم السلام ـ يتلونه في خلواتهم. وربما اطلعوا عليه بعض خواصّهم، كما رواه ثقة الإسلام الكليني ـ عطرالله مرقده ـ باسناده عن سالم بن سلمة قال: قرأ رجل على ابى عبدالله (ع) وانا استمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس. فقال ابوعبدالله عليه السلام، مه كفّ عن هذه القراءة واقرأ كما يقرؤ الناس، حتى يقوم القائم، فاذا قام قرأ كتاب الله على حدّه واخرج المصحف الذى كتبه عليّ (ع).

قال: وهذا الحديث وما بمعناه قد اظهر العذر في تلاوتنا هذا المصحف والعمل باحكامه.

وثانيها ـ ان المصاحف لما كانت متعددة لتعدد كتاب الوحى، عمد الأعرابيان الى انتخاب ما كتبه عثمان وجملة ما كتبه غيره، وجمعوا الباقى في قدر فيه ماء حار فطبخوه.

قال: ولو كانت تلك المصاحف كلها على نمط واحد، لما صنعوا هذا الشنيع الذى صار عليها من اعظم المطاعن.

وثالثها ـ ان المصاحف كانت مشتملة على مدائح اهل البيت عليهم السلام صريحاً، ولعن المنافقين وبنى امّيه، نصاً وتلويحاً. فعمدوا ايضا الى هذا ورفعوه من المصاحف حذراً من الفضائح وحسداً لعترته ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

ورابعها ـ ما ذكره الثقة الجليل على بن طاووس ـ رحمه الله ـ في كتاب سعد السعود عن محمد بن بحر الرهنى، من اعاظم علماء العامة، في بيان التفاوت في

المصاحف التى بعث بها عثمان الى اهل الأمصار. وعدد ما وقع فيها من الإختلاف بالكلمات والحروف، مع انّها كلها بخط عثمان!

قال: فاذا كان هذا حال إختلاف مصاحفه التى هى بخطّه، فكيف حال غيرها من مصاحف كتّاب الوحى والتابعين.

وامّا العصر الثانى فهو زمن القرّاء، وذلك انّ المصحف الذى وقع اليهم خال من الإعراب والنقط كما هو الآن موجود فى المصاحف التى هى بخط مولانا اميرالمؤمنين عليه السلام واولاده المعصومين صلوات الله عليهم. وقد شاهدت عدة منها فى خزانة الرضا عليه السلام.

قال: وبالجملة لما وقعت اليهم المصاحف على ذلك الحال تصرّفوا فى اعرابها ونقطها وادغامها وامالتها ونحو ذلك من القوانين المختلفة بينهم على ما يوافق مذاهبهم فى اللّغة والعربيّة... (١).

* * *

قلت: ولعل مواضع الخبط والخلط فى كلامه هذا واضحة، تغنينا عن تكلف الردّ عليه.

انظر الى مبلغ جهل الرجل بتاريخ جمع القرآن، يقول: انّ علياً ــ عليه السلام ــ لما جاء بمصحفه الى القوم، قام الثانى وقال: يكفينا مصحف عثمان!؟. اى مصحف كان لعثمان يومذاك ؟!

ويقول: كانت المصاحف المرسلة الى الآفاق كلها بخط يد عثمان؟!. وهل كان عثمان يكتب المصاحف بخط يده؟!

ويقول: ان علياً ــ عليه السلام ــ قال: ويرفع الله سبحانه هذا المصحف الذى جمعه الى السماء. ثمّ يقول: وهذا القرآن الذى جمعه على ــ عليه السلام ــ كان عند الأئمة يتلونه فى خلواتهم وربما اطّلع عليه بعض الخواص. ما هذا التناقض؟!.

(١) منبع الحياة (ط بغداد ص ٦٨ ــ ٧٠) والمطبوعة مع رسالة الشهاب الثاقب للفيض الكاشانى، ص ٦٦ ــ ٦٩.

وتارة يقول: ان عمر بن الخطاب احرق مصحف ابن مسعود واراد احراق مصحف على ايضاً واحتال فى ذلك فلم يقدر. واخرى يقول: ان ابابكر وعمرهما اللذان احرقا المصاحف وانتخبا ما جمعه عثمان فى مصحفه. فجعلوها فى قدر وطبخوها.

والأغرب انه يقول: ان هناك مصاحف كثيرة منتشرة كلها بخط الإمام اميرالمؤمنين عليه السلام!! كأنّ الإمام كان متفرغاً لكتابة المصاحف تلكم التى جمعها غيره!!.

واخيراً فانه يجعل من إختلاف القراءات دليلاً على تحريف القرآن؟!.

وقد اسبقنا ــ فى بحث القراءات ــ ان القرآن شيىء والقراءات شئ آخر (١)

* * *

والعمدة استناده الى لفيف من روايات زعمها متواترة ووافية باثبات المطلوب، وذكر منها نماذج حسبها من اجلى الدلائل النقلية لإثبات المقصود.

ونحن اذ نأتى على روايات الباب جملة وافراداً فى مجاله المناسب الآتى، نحاول نقد هذه النماذج عاجلاً ليتبين وهن مستمسك القوم فيما عرضوه من روايات. اذ ما دل منها على التحريف، لااسناد له صالحاً للاعتبار. وما صحّ سنده، لامساس له بمسألة التحريف. وعليه فقس ما سواه:

اما حديث اسقاط ثلث القرآن من آية النساء: ٣...

فهذا مما تفرّد بنقله صاحب الإحتجاج (٢) نقلاً مرسلاً على عادته فى ايراد المراسيل ونقل المجاهيل، ومن ثمّ فان كتابه غيرصالح للإعتماد ولم يعتمده الأصحاب، حتى انّ السيد هاشم البحرانى (١١٠٧) لم يعتبره ولم يورد الحديث فى تفسيره (البرهان) الذى وضعه على اساس جمع الأحاديث الواردة بشأن الآيات.

وهكذا لم يذكره العياشى (٣٢٠) والقمى (٣٢٩) وغيرهما من اصحاب

(١) فى الجزء الثانى من التمهيد.

(٢) راجع: ج ١ ص ٣٧٧ ط نجف. وهو منسوب الى ابى منصور احمد بن على الطبرسى (٦٢٠).

التفسير بالمأثور.

هذا فضلاً عن جهالة مؤلّف الكتاب، سوى انّه طبرسى، وقد ذكر السيد بحر العلوم ستة من المعاريف ممّن يحتمل انتساب الكتاب اليه (١) ولعلّه طبرسى آخر من اهل طبرستان او تفرش المعرّب الى طبرس، كما ذكره اهل التحقيق (٢).

ثم انّ الحديث مستنكر لا يستسيغه العقل ولا الشرع الحنيف. يقول: «بين خوف عدم القسط فى اليتامى وتجويز نكاح النساء، من الخطاب والقصص اكثر من ثلث القرآن» يعنى ان تلك الكمية الكبيره من الخطابات والقصص كانت ضمن آية واحدة هى الآية الثالثة من سورة النساء، فاسقطها المنافقون! ولماذا؟!.

ويقول: وهذا وما اشبهه مما ظهرت حوادث المنافقين فيه لاهل النظر والتأمل، ووجد المعطلون واهل الملل المخالفة مساغاً الى القدح فى القرآن. ولو شرحت لك كل ما اسقط وحرّف وبدّل مما يجرى هذا المجرى لطال، وظهر ما تحظر التقية اظهاره! (٣).

ويقول ــ قبل ذلك ــ: وليس يسوغ مع عموم التقية التصريح باسماء المبدّلين ولا الزيادة فى آياته على ما اثبتوه من تلقائهم فى الكتاب، لما فى ذلك من تقوية حجج اهل التعطيل والكفر والملل المنحرفة وابطال هذا العَلَم الظاهر ــ الى ان يقول: ــ فحسبك من الجواب فى هذا الموضع ما سمعت، فانّ شريعة التقية تحظر التصريح باكثر منه! (٤)

ان هذا الاّ تناقض صريح، كيف تمنعه التقية عن الإفشاء، وقد اكثر من الإفشاء بشأن الكتاب تجاه زنادقة كانوا من خارجى الملّة ومن اهل الطعن فى الدين!.

هذا فضلاً عن نبوء اسلوب هذا الحديث عن اساليب كلام الإمام المؤمنين (عليه السلام) البليغ البديع الذى هوتلو كلامه تعالى المعجز الوجيز.

(١) مقدمة كتاب الإحتجاج ص هـ.

(٢) هامش تصحيح الإعتقاد ص ٥٨ ــ ٦٠.

(٣) الإحتجاج ج ١ ص ٣٧٧.

(٤) المصدر ص ٣٧١.

والأرجح فى النظر ان هذا الحديث ــ على طوله وتفننه ــ من وضع بعض اهل الجدل فى الكلام، ناقش فيه ما ذكره اهل الزندقة عيباً على اسلوب القرآن، فاجاب وفق معلوم ذهنه وعلى مستوى ذهنيّته الخاصّة، ناسباً له الى الإمام تمويهاً على العوام! يدلّك على ذلك استعماله بعض المصطلحات المستحدثة فى عصور متأخرة! كتعبير (بقية الله) (١) عن الإمام المهدى المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف. وكتعبير الفعل الماضى والمستقبل من مصطلحات اهل النحو.

* * *

واما حديث كنتم خير أئمة! (سورة آل عمران: ١١٠) فقد رواه القمى مسنداً وجاء فى تفسير العياشى مرسلاً عن الصادق عليه السلام. قال: هكذا نزلت. وهذا يحتمل امرين: الأوّل ــ انها القراءة الصحيحة، فى مرسلة العياشى: انّها فى قراءة على (عليه السلام) كذا (٢) ولا يخفى انّ مسألة اختلاف القراءة لاتمسّ مسألة التحريف، على ما اسلفنا فى بحث القراءات.

الثانى ــ ان مخاطبة الأمة فى هذه الآية، يراد بها الخطاب مع ائمتها، بدليل انّهم المسؤولون عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مسئوليةً بالذات. وهكذا جاء الإستدلال فى حديث القمى (٣).

وعليه فالمقصود من النزول بيان مورد النزول وشأنه، وهو عبارة اخرى عن تفسير الآية بذلك. فانّ التنزيل قد يقابل التأويل، ويكون المراد منه هو التفسير، وسيجئ مزيد تحقيق عن ذلك.

والأرجح هو الإحتمال الأخير، نظراً لروايات اخرى فسّرت الآية بذلك:

قال الصادق ــ عليه السلام ــ: يعنى الأمة التى وجبت لها دعوة ابراهيم. فهم الأمة التى بعث الله فيها ومنها واليها. وهم الأمة الوسطى وهم خير امة اخرجت

(١) الإحتجاج ج ١ ص ٣٧٥.
(٢) تفسير العياشى ج ١ ص ١٩٥.
(٣) تفسير القمى ج ١ ص ١١٠.

للناس. رواها العياشي في تفسيره.

ونحن اذا قارنّا هذه الآية الى الآية السابقة عليها:

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ... (١)

حيث المراد من الأمة فيها هم بعض الأمة، بدليل «منكم»، كان المقصود من الأمّة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، في كلتا الآيتين هم الأئمة الذين يشكلون زعامة الأمّة ويتحملّون مسؤولية قيادتها.

وقد روى الكليني باسناده عن الصادق ــ عليه السلام ــ وقد سئل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أواجبٌ هو على الأمة جميعاً؟ قال: لا. قيل: ولِمَ؟. قال: انما هو على القوى المطاع، العالم بالمعروف والمنكر. لا على الضعيف الذي لا يهتدي سبيلاً الى اىّ من اىّ يقول من الحق الى الباطل.

قال ــ عليه السلام ــ: والدليل على ذلك كتاب الله عزّ وجلّ قوله:

ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

قال: فهذا خاص غير عام. كما قال الله عزّ وجلّ:

وَمِنْ قَوْمِ مُوسىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (٢).

ولم يقل: على امّة موسى ولا على كل قومه، وهم يومئذ امم مختلفة، والأمة واحد فصاعداً، كما قال الله عزّ وجلّ: **إِنَّ إِبْرٰاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً...** (٣) يقول: مطيعاً

(١) آل عمران ٣/١٠٤.
(٢) الاعراف ٧/١٥٩.
(٣) النحل ١٦/١٢٠.

لله عز وجلّ. وليس على من يعلم فى هذه الهدنة من خرج، اذا كان لاقوة له ولا عدد ولا طاعة ...(١).

انظر الى هذا الحديث الشريف، كيف جعل مسؤولية الأمة على عاتق الأئمة، استخراجاً من الآيات الكريمة فى استدلال لطيف.

والآية على الوجهين لامساس لها بمسألة التحريف فى كتاب الله!.

* * *

واما سقط اسم على ــ عليه السلام ــ فى آية البلاغ والكمال ــ المائدة: ٣ و ٦٧ فقد روى العياشى فى تفسيره عن الإمام الصادق ــ عليه السلام ــ قال: نزل جبرئيل على رسول الله (ص) بعرفات يوم الجمعة، فقال له: يا محمد! انّ الله يقرؤك السلام ويقول لك: قل لأمتك: «اليوم أكملت لكم دينكم ــ بولاية على بن ابى طالب ــ وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً» (٢).

فهذا تفسير للكمال والتمام، لاجزء من الآية كما زعم.

فقد روى الكلينى باسناده المتصل عن ابى جعفر الباقر ــ عليه السلام ــ قال فى حديث الفرائض ــ: ثمّ نزلت الولاية، وانما اتاه ذلك فى يوم الجمعة بعرفة. انزل الله تعالى: **اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى.** قال: وكان كمال الدين بولاية على بن ابى طالب (ع) (٣).

فقد صرح الإمام ــ عليه السلام ــ بانّ الكمال فى الآية انّما حصل بإبلاغ ولاية الأمر لأمير المؤمنين ــ عليه السلام ــ فهو تفسير للآية بحصول الموجب.

وروى الحاكم الحسكانى باسناده المتصل عن ابى جعفر محمد بن على الباقر ــ عليه السلام ــ فى حديث الفرائض، قال: ثمّ هبط جبرئيل فقال: انّ الله يأمرك ان تدل امتك على وليّهم على مثل ما دللتهم عليه من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم وحجّهم، ليلزمهم الحجة فى جميع ذلك. فقال رسول الله: ان قومى قريبوا عهد

(١) تفسير البرهان ج ١ ص ٣٠٧ ــ ٣٠٨.

(٢) تفسير العياشى ج ١ ص ٢٩٣ رقم ٢١.

(٣) تفسير البرهان ج ١ ص ٤٨٨ رقم ١.

بالجاهلية وفيهم تنافس وفخر، وما منهم رجل الاّ وقد وتره وليّهم ولى أخاف. فانزل الله تعالى: **يا ايّها الرسول بلّغ ما انزل اليك من ربّك وان لم تفعل فما بلغت رسالته** ــ يريد فما بلغتها تامة ــ **والله يعصمك من الناس ...** (١).

انظر كيف تكلم الإمام خلال الآية وفسّرها فى الأثناء. غير ان المستمع ينبغى ان يكون عاقلاً!

* * *

واما ما زعمه السيد الجزائرى من استفاضة الأخبار بأنّ آية التبليغ نزلت هكذا: «**يا ايّها الرسول بلّغ ما انزل اليك** ــ فى علىّ ــ **فان لم تفعل فما بلّغت رسالاته**»(٢) . بزيادة «فى على». وباسقاط «من ربك». وبتبديل الواو فاءً فى «فإن». وبصيغة الجمع فى «رسالاته». هكذا.!!

فلم نجده فى مصنفات اصحابنا لا التفاسير ولا كتب المناقب ولا جوامع الحديث.

فى تفسير القمى: قوله: **يا ايّها الرّسول بلّغ ما انزل اليك من ربّك**، قال: نزلت هذه الآية فى على، **وان لم تفعل فما بلّغت رسالته** ...(٣) .

وفى تفسير الفيض «**يا ايّها الرسول بلّغ ما انزل اليك من ربّك**» يعنى فى على ــ صلوات الله عليه ــ. فعنهم عليهم السلام: كذا نزلت(٤). اى بشأن ولاية على وإمرته عليه السلام.

وهكذا سائر التفاسير المتقيدة بالتفسير وفق المأثور.

وايضاً روى ابن شهر آشوب عن تفسير الثعلبى، قال جعفر بن محمد ــ عليه السلام ــ: معنى قوله تعالى: «يا ايّها الرّسول بلّغ ما انزل اليك من ربّك» فى فضل على ــ عليه السلام ــ. وعن ابن عباس: نزلت الآية فى على ــ عليه السلام ــ.

(١) شواهد التنزيل ج ١ ص ١٩١.
(٢) رسالة منبع الحياة للجزائرى ص ٦٨ و ٦٧.
(٣) تفسير القمى ج ١ ص ١٧١.
(٤) الصافى ج ١ ص ٤٥٦.

وايضا روى الثعلبي عن ابي جعفر محمد بن علي ــ عليه السلام ــ قال: معنى الآية، بلّغ ما انزل اليك من ربّك في علي(ع) (١).

وعليه فالروايات بشأن آية التبليغ متظافره بانّها نزلت فيه عليه السلام. وليس في شيء منها ان «في علي» كان جزءً من الآية في نص الوحي.

نعم جاءت في قراءة ابن مسعود: «يا ايّها الرّسول بلّغ ما انزل اليك من ربّك ــ ان عليّاً مولى المؤمنين ــ وان لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس».

قال ابن مسعود: هكذا كنّا نقرأ الآية على عهد رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ اخرجه السيوطي في التفسير(٢) واخرجه علي بن عيسى الأربلي (٦٩٣) في باب ما نزل فيه ــ عليه السلام ــ من القرآن، عن زرّبن حبيش عن ابن مسعود(٣).

وقد اسلفنا فيما سبق ان الظاهر انّه اراد تفسير الآية بذلك، و أنّ الآية كانت تفسّر على عهده ــ صلّى الله عليه وآله ــ كذلك (٤).

* * *

وبعد فهذه من ابرز محاولات القوم بشأن اثبات التحريف، وقد عرض الجزائري اهم نماذجها في دعوى الإستفاضة والتواتر. لكنا لم نجد منه سوى تهريج عارم لاتحتوي على شيء،

كَسَرابٍ بِقيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتّىٰ إذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً (٥)

نعم كلّ ما يملك القوم انّما هو حديث سقوط الثلث المشتمل على جلّ ما

(١) راجع: البرهان للبحراني ج ١ ص ٤٩٠.
(٢) الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩٨.
(٣) كشف الغمة ج ١ ص ٣١٩.
(٤) التمهيد ج ١ ص ٢٦١.
(٥) النور ٢٤/ ٣٩.

زعموا دليلا على التحريف وقد تفرد بنقله صاحب الإحتجاج من غير اسناد. مع جهالة صاحب الكتاب.

ولنأت على سائر سفاسفهم التى عرضها شيخهم المتأخّر حسبما يلى:

مزاعم صاحب فصل الخطاب

وضع المحدث النورى كتابه (فصل الخطاب) على مقدمات ثلاث واثنى عشر فصلا وخاتمة. وجعل من الفصول الإثنى عشر دلائل عرضها لاثبات تحريف الكتاب. والذى دعاه الى ذلك ما زعمه من اسقاط المخالفين فضائل اهل البيت ــ ع ــ ومثالب اعدائهم من القرآن. كتبه جواباً عما سأله بعض علماء الهند يومذاك عن سبب خلو القرآن عن أسماء الأئمة المعصومين ــ عليهم السلام ــ.

قال ــ فى الفصل التاسع، الذى وضعه لبيان وجود اسماء العترة ومواليدهم فى كتب العهدين ــ: كيف يحتمل المنصف ان يهمل الله تعالى ذكر اسامى اوصياء خاتم النبيين وابنته الصديقة ــ عليهم السلام ــ فى كتابه المهيمن على جميع كتب السالفين، ولا يعرّفهم للأمة التى هى اشرف الأمم وهو اهم من سائر الواجبات التى تكرر ذكرها فى القرآن.

ثم ايّد ذلك بمارواه عن كعب الأحبار اليهودى العاكف على اعتاب معاوية الطاغية، انّه قرأ مواليد العترة فى اثنين وسبعين كتابا كلها نازلة من السماء، وانهم افضل الخلائق بعد النبى ــ ص ــ وانهم امان الله فى ارضه... قال ذلك بمحضر معاوية الذى اساءه هذا النعت فقام وخرج مغضباً...!(١).

وهكذا سبقه الى هذا الوهم، السيد الجزائرى، قال: انهم قد غيّروا و بدّلوا فى

(١) فصل الخطاب ص ١٨٣ ــ ١٨٤.

الدين ما هو اعظم، كتغييرهم القرآن وتحريف كلماته وحذف ما فيه من مدائح آل الرّسول والأئمة الطاهرين وفضائح المنافقين واظهار مساويهم(١).

وبعدُ.. فاليك عرضاً موجزاً عن دلائله التى اودعها ضمن هذه الفصول، متعقباً كل فصل بما يناسبه من تعليق:ــ

قال ــ اولاً ــ: قد وقع التحريف فى كتب العهدين، فكانت ضرورة تشابه الأحداث فيما غبر وحضر، تستدعى وقوع التحريف فى القرآن ايضاً(٢).

وقد اسلفنا ان تحريف العهدين كان تحريفاً معنوياً وتفسيراً على غير وجهه. مضافاً الى ضياع كثير من بنود الأصل، وكان الباقى سليماً حتى عهد الرسالة، بتصريح الكتاب الكريم.

واما تشابه الأمم فانما هو فى اصول الأخلاق والمعاشرة المبتنية على اصل التنازع فى البقاء وليس فى السلوك والأساليب المتخذة المتناسبة مع شرائط خاصة بكل زمان، حسبما سبق تفصيله.

* * *

وقال ــ ثانياً ــ: ان الأساليب التى قام بها جامعوا القرآن ذلك العهد، لتستدعى انفلات شيىء من كلماته وآياته، ولا سيما بالنظر الى عدم امكانية الإحاطة بجميع القرآن لمن لم يستكمل الجمع على حياة الرسول ــ ص ــ (٣).

وقد شرحنا مراحل جمع القرآن الثلاث منذ عهد الرسالة فالى دور توحيد المصاحف على عهد عثمان. وقد تحققت مرحلتان منها فى حياة الرسول: تاليف الكلمات ونظم الآيات. وبقى ترتيب السور الى ما بعد وفاته ــ صلى الله عليه وآله ــ. الأمر الذى لايستدعى تغييراً فى كلمات القرآن وآياته الكريمة(٤).

وقال ــ ثالثاً ــ: ان ما تذرّعت به العامة لتوجيه رواياتهم فى التحريف بانها

(١) الأنوار النعمانية ج ١ ص ٩٧.

(٢) راجع: فصل الخطاب ص ٣٥ ــ ٩٥.

(٣) فصل الخطاب ص ٩٦ ــ ١٠٤.

(٤) راجع: الجزء الاول من التمهيد ص ٢٠٨ فما بعد.

من منسوخ التلاوة لغو باطل. اذ فيها الصراحة بان كثيراً من التحريف حصل على يد عثمان نفسه وفى عهده (١).

وقد ذكرنا انها من تلفيقات الحشوية جاءت فى اصول العامة ذهولاً، ولا وزن لها فى عالم الإعتبار رأساً (٢).

* * *

ورابعاً ــ كان لأميرالمؤمنين ــ عليه السلام ــ مصحف يخصه، فلابدّ انّه يخالف سائر المصاحف (٣).

نعم يخالفها فى النظم والترتيب والإحتواء على شروح وتفاسير على الهامش. وقد تقدم شرحه وتقدّم ايضاً ان المصحف الذيى يظهره القائم من آل محمّد (ع) انما يخالف المصحف الحاضر فى تأليفه اى فى ترتيبه فحسب (٤).

* * *

وخامساً ــ كان لعبدالله بن مسعود ــ ايضاً ــ مصحف يخصّه (٥).

كان اختلافه مع سائر المصاحف فى قراءته بالزيادة التفسيرية أحياناً. وبتبديل كلمات غير مألوفة الى نظيراتها المألوفة لغرض الإيضاح. وقد اسقط المعوذتين بزعم انهما عوذتان. ولم يُثبت سورة الفاتحة فى مصحفه، نظراً لأنّها عدل القرآن وليس منه.

هكذا كان يزعم. ولكن كل ذلك لاينمّ عن قصد الى تحريف الكتاب (٦).

وسادساً ــ كان مصحف ابّى بن كعب مشتملاً على اكثر من مصحفنا اليوم (٧).

(١) راجع: فصل الخطاب ص ١٠٥ ــ ١٢٠.

(٢) راجع: المقال المتقدم بشأن الحشوية وموضعهم من مسألة التحريف.

(٣) فصل الخطاب ص ١٢٠ ــ ١٣٤.

(٤) رشاد المفيد ص ٣٦٥ والبحارج ٥٢ ص ٣٣٩.

(٥) فصل الخطاب ص ١٣٥ ــ ١٤٣.

(٦) التمهيد ج ١ ص ٢٥٢ ــ ٢٦٣.

(٧) فصل الخطاب ص ١٤٤ ــ ١٤٨.

نعم كان مشتملاً على دعائى القنوت وربما حسبها سورتين: سورة الخلع وسورة الحفد. وقد زاد فى مفتتح سورة الزمر «حم» ليكون عدد الحواميم عنده ثمانية، على خلاف المشهور. وكانت له زيادات تفسيرية على غرار زيادات ابن مسعود. وقد وصفنا ذلك كله فيما سبق (١) الأمر الذى لا يغنى مدعى التحريف فتيلاً.

* * *

وسابعاً ــ ان عثمان قد اسقط من المصحف بعض الكلمات بل الآيات، حيث كان وجودها متنافياً مع بقاء سلطانه. وقد غفل عنه صاحباه، فقام هو بالأمر تداركا عما فات زملائه من ذى قبل. مضافاً الى دواعى اخر بعثته على الحذف والتحريف.

اضف الى ذلك اختلاف ما بين مصاحف الآفاق التى ارسلها عثمان. فكان دليلاً قاطعاً على التحريف. هكذا زعم المحدث النورى! (٢).

قلت: ما ذكره بهذا الشأن لاثبات مزعومه، لا يعدو سرد حادثة جمع المصاحف على عهد عثمان، وتوحيدها وبعث نسخ منها الى الآفاق. وكان المشروع بمرآى من الصحابة ومع موافقتهم (٣) ولم يأت فى شيىء منها دلالة على وقوع تحريف على يد عثمان او على يد ذويه. ولم ندر من اين عرف النورى ان فيها دلالة على ذلك.

وقد احسّ الرجل بوهن استنتاجه فتداركه اخيراً بقوله: انّ مدعى السقوط وان كان يحتاج الى اقامة دليل (٤) الاّ ان الثقة بمطابقة الجمع الثانى للجمع الأول تتوقف على الثقة بعدالة الناسخين وضبطهم، الأمر الذى يعلم انتفاؤه.

لكنّا شرحنا حادث توحيد المصاحف بتفاصيله (٥) مما يبعث على الإطمينان

(١) التمهيد ج ١ ص ٢٦٤ ــ ٢٦٧.

(٢) فصل الخطاب ص ١٤٩ ــ ١٧٠.

(٣) وقد اسلفنا (التمهيد ج ١ ص ٢٨٨) موافقة الإمام امير المؤمنين عليه السلام مع أصل المشروع. وذكر السيد رضى الدين ابن طاووس فى كتابه (سعد السعود ص ٢٧٨) ان ما فعله عثمان كان برأى مولانا على بن ابى طالب عليه السلام.

(٤) كلامه هذا يدل على عدم ثقته بوفاء دلائله لإثبات المقصود. راجع فصل الخطاب ص ١٥٣.

(٥) التمهيد ج ١ ص ٢٧٥ فما بعد.

بعدم تغيير فى نصّ الأصل، وانما الاختلاف وقع فى رسم الخط الذى لايمس جانب التحريف.

ومن ذلك يعرف مدى صلة اختلاف مصاحف الآفاق بموضوع البحث!.

* * *

وثامناً ــ روايات عاميّة رواها اهل الحشو، نقلها جلال الدين السيوطى فى التفسير وفى الإتقان، وغيُره من اصحاب الحديث(١).

وقد ذكرنا شطراً منها عند التعرض لمسألة (التحريف عند حشوية العامة).

وكانت لاوزن لها ولا اعتبار لاسناداً ولا مدلولاً، مادامت تخالف صريح القرآن وما عليه جمهور المسلمين. وقد تعرضنا لها نقداً وتحليلاً، واحدةً واحدةً فلانعيد(٢).

والغريب انّه نقل مزعومة سورة الولاية بكاملتها عن كتاب دبستان المذاهب(٣). وجعلها من روايات المخالفين فى هذا الباب. واخيراً حاول اثبات وجود الإشارة اليها فى كتب الخاصة قال ــ عند ما ينتهى من نقلها ــ: ظاهر كلام صاحب الدبستان انّه اخذها من كتب الشيعة، ولم اجدلها اثراً فيها. غيران ابن شهرآشوب ذكرفى كتاب المثالب ــ على ما حكى عنه ــ انهم اسقطوا من القرآن تمام سورة الولاية. ولعلها هذه السورة، والله العالم(٤). وقد تكلّمنا عن كتاب المثالب والحكاية عنه(٥).

* * *

وتاسعاً ــ انّ الله تبارك وتعالى قد ذكر اسامى اوصياء خاتم النبيّين وابنته الصديقة الطاهرة (عليهم سلام الله) وبعض شمائلهم وصفاتهم فى تمام الكتب المباركة

(١) فصل الخطاب ص ١٧١ ــ ١٨٣.
(٢) راجع ما اسلفنا بشأن الحشوية.
(٣) فصل الخطاب ص ١٧٩ ــ ١٨٠.
(٤) فصل الخطاب ص ١٨٠.
(٥) عند الكلام عن مزاعم الحشوية.

التى انزلها على رسله، إما لعنايةٍ بتلك الأمم ليتبرّكوا بتلك الأسامى ويجعلوها وسيلة لانجاح سؤلهم وكشف ضرّهم، اولإرتفاع قدرهم واعلاء شأنهم بذكرهم قبل ظهورهم بهذه الأوصاف. اذن فكيف يحتمل المنصف ان يهمل الله تعالى ذكرهم فى القرآن المهيمن على سائر الكتب والباقى على مرّ الدهور، فلايعرّفهم لأمّة نبيّه الذين هم اشرف الأمم والعناية بهم اكثر، ورفع قدرهم واعلاء ذكرهم بدرج صفاتهم ونعوتهم فى القرآن اظهر. وهذا أهم من غيره من الواجبات التى تكرر ذكرها فى الكتاب الكريم.

قال: وهذا الوجه وان كان مجرد استبعاد، الاّ انّ مرجعه حقيقةً الى الإستقراء التام او الى تنقيح المناط القطعى.

قال: وهذا الاستبعاد احسن من استبعاد الناكرين للتحريف بحجة ان شدّة اهتمام الصحابة فى حفظه وحراسته، تمنع من احتمال وقوع التحريف فى الكتاب!

قال: وعلى اى تقدير فالواجب هو ذكر سند الدليل، وهى عدة روايات:

منها: حديث كعب الأحبار اليهودى وقرائته اثنين وسبعين كتاباً نازلاً من السماء، وفى جميعها ذكر مولد النبى ومواليد عترته(١).. الى آخر ما اسلفناه فى مقدمة الفصل.

* * *

وحديث آخر اغرب، حدّث به هشام الدستوائى نقلاً عن ابن شمر عن جابر الجعفى عن سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، انه كان يحدث اباجعفر محمد بن على الباقر ــ عليه السلام ــ بمكّة عند الحجر، ويقول: سمعت ابى يقول: سمعت رسول الله (ص) يقول: ان الله عزّ وجلّ اوحى الىّ ــ ليلة اسرى بى ــ قال: يا محمد! أتحبّ ان ترى اسماء الأئمة من اهل بيتك؟ قلت: نعم. قال: تقدم امامك، فتقدمت فاذاً: علىٌّ. والحسن. والحسين. وعلى بن الحسين. ومحمد بن على. وجعفر بن محمد. وموسى بن جعفر. وعلى بن موسى. ومحمد بن على. وعلى بن محمد، والحسن بن على. والحجة القائم، كانّه كوكب درّى فى وسطهم. فقلت: يارب من هؤلاء؟ فقال:

(١) فصل الخطاب ص ١٨٣ ــ ٢٠٩.

هؤلاء الأئمة!

قال جابر: فلما انصرف سالم تبعته وقلت له: انشدك بالله هل اخبرك احد غير ابيك بهذه الأسماء؟ قال: اما الحديث من رسول الله (ص) فلا. ولكني كنت مع ابي عند كعب الأحبار، فسمعته يقول: ان الأئمة من هذه الأمة على عدد نقباء بني اسرائيل. اذ اقبل علي بن ابي طالب، فقال كعب: هذا المتقي اولهم واحد عشر من ولده، وسماهم كعب بأسمائهم في التوراة هكذا:

(تقوبيت. قيذو. دبيرا. مفسورا. مسموعا. دوموه. مشيو. هذار. يثمو. بطور. نوقس. قيذمو).

قال هشام الدستوائي: لقيت يهودياً بالحيرة يقال له: «عثو بن اوسو» وكان حبراً، فتلوت عليه هذه الأسماء، فقال: هذه نعوت واوصاف لاقوام بالعبرانية صحيحة نجدها عندنا في التوراة، ثم جعل يفسّرها، قال: اما تقوبيت، فهو اول الأوصياء لآخر الأنبياء. واما قيذو، فهو ثاني الأوصياء. واما دبيرا، فهو سيد الشهداء. واما مفسورا، فهو سيد العابدين. واما مسموعا، فهو وارث علوم الأولين والآخرين. واما دوموه، فهو الناطق عن الله الصادق. واما مشيو، فهو خير المسجونين. واما هذار، فهو النازح عن الأوطان، واما يثمو، فهو قصير العمر طويل الأثر. واما بطور، فهو رابع اسمه. واما نوقس، فهو سمّي عمه. واما قيذمو، فهو المفقود القائم بامر الله (١).

* * *

وهكذا درج اهل الحشو والأخباريون على سرد المهازل ونشر الأباطيل، على حساب احبار اليهود الذين هم أبطال هذه المعركة. وقد سخروا من عقول هؤلاء البسطاء، فجعلوا يتلون عليهم الأكاذيب في خبث ولؤم قديم.

ان هذا الا اساطير اسرائيلية واقاصيص مفتعلة، وضعتها نفوس خبيثة، لعباً بمقدرات المسلمين، ومهزلة لعقول السفهاء. قال تعالى: **لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ...** (٢).

(١) فصل الخطاب ص ١٩١ــ ١٩٢. راجع غيبة النعماني ص ١٠٨.

(٢) المائدة ٥/ ٨٢.

نعم كان ولايزال اليهود يعادون الإسلام، ويحاولون الزعزعة بكيان المسلمين! ولكن ما لهؤلاء الضعفاء يعيرون بمسامعهم لسفاسف اولئك الخبثاء ويسترسلون قيادتهم تجاه دسائس اخوان الشياطين اللعناء. قال تعالى:

وَكَذٰلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً، شَياطينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحي بَعْضُهُمْ إِلىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً... (١).

ومن ثمّ نعود فنقول لأمثال المحدث النورى: لاتعمدوا الى نشر اباطيل، دعماً لا كذوبةٍ اختلقتموها انتم وسلفكم من ذى قبل.

وَلاتَكُونُوا كَالَّتي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ اَنْكاثاً... (٢).

ولا تجعلوا القرآن عرضة لسهام اعدائه الألداء، عصمنا الله من مزالّ الأقدام.

* * *

ولننظر الآن فى سند الحديثين مع غض النظر عن ضحالة المحتوى. الأمر الذى يزيد وهناً فى وهن:

اما الحديث الاول فقد رواه محمد بن سنان (رجل ضعيف جداً لايعوّل عليه ولا يلتفت الى ما تفردبه) (٣) عن ابى الجارود زياد بن المنذر المعروف بالسرحوب (رأس الجارودية من الزيدية) عن الليث بن سعد (من رجال العامة ولد سنة ٩٤ وتوفى سنة ١٧٥) قال: قلت لكعب وهو عند معاوية (هلك معاويه سنة ٦٠ أى قبل ولادة ليث باربع وثلاثين سنة!): كيف تجدون صفة مولد النبى ــ ص ــ وهل تجدون لعترته فضلاً؟ فالتفت كعب الى معاوية لينظر هواه، فاجرى الله على لسانه... الى آخر الحديث.

(١) الانعام ٦/ ١١٢.
(٢) النحل ١٦/ ٩٢.
(٣) قاله النجاشى فى رجاله ص ٢٣٠.

قلت: البلية انما جاءت من قبل ابى الجارود الأعمى. قال محمد بن عمربن عبدالعزيز الكشى: حُكى ان ابا الجارود سمى سرحوباً ــ بضم السين والحاء المهملتين ــ وتنسب اليه السرحوبية من الزيدية ايضاً. سماه بذلك ابوجعفر محمد بن على الباقر ــ عليه السلام ــ وذكر أن سرحوباً اسم شيطان اعمى يسكن البحر. وكان ابوالجارود مكفوفاً اعمى اعمى القلب (١).

قال ابن الغضائرى: واصحابنا يكرهون ما رواه محمد بن سنان عنه (٢).

واما الحديث الثانى فقد رواه صاحب (مقتضب الأثر) ابوعبدالله احمد بن محمد ابن عياش الجوهرى (٣) عن ثوابة الموصلى. عن ابى عروبة الحرّانى. عن موسى بن عيسى الأفريقى (هؤلاء ثلاثتهم مجاهيل) عن هشام بن سنبر الدستوائى (كان من اعلام الحديث عند العامة. قال الطيالسى: هشام الدستوائى اميرالمؤمنين فى الحديث) (٤).

عن عمروبن شمربن يزيد (كان ضعيفاً فى الحديث: روى كتاب جابر وزاد فيه. ومن ثمّ كانت احاديث جابر عن طريقه ملتبسة (٥). قال العلامة: فلا اعتمد على شيىء مما يرويه (٦).

عن جابربن يزيد الجعفى (كان ثقة فى نفسه. قال ابن الغضائرى: ولكن جلّ من روى عنه ضعيف. وقال النجاشى: روى عنه جماعة غُمز فيهم وُضّعفوا، وكان فى نفسه مختلطا. قال العلامة الأقوى عندى الوقف فيما يرويه هؤلاء عنه وعدّ منهم

(١) رجال الكشى برقم ١٠٤ ص ١٩٩.

(٢) جامع الرواة للأردبيلى ج ١ ص ٣٣٩.

(٣) كان هو وابوه من اعيان بغداد، وكان صاحب تأليف كثير، لكنه اضطرب فى آخر عمره توفى سنة ٤٠١. قال النجاشى: ورأيت شيوخنا يضعّفونه فلم اروعنه شيئاً وتجنبته. (تنقيح المقال ج ١ ص ٨٨ رقم ٥١٧).

(٤) ابن حجر فى تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٤٣.

(٥) رجال النجاشى ص ٢٠٤.

(٦) رجال العلامة ص ٢٤٢.

عمرو بن شمر...) (١).

والظاهر ان البلية جاءت من قبل عمروبن شمر، وهو الذى وضع الحديث عن لسان الجعفى.

عن سالم بن عبدالله بن عمربن الخطاب. كان من فقهاء المدينة السبعة المرموقين (١٠٦) كانت امه بنت يزد جرد من سبايا فارس زوجها من ابيه الإمام اميرالمؤمنين ـ عليه السلام ـ كما زوج اختها من ابنه الحسين فولدت له علياً. وزوج اختها الأخرى محمد بن ابى بكر فولدت له القاسم. وقد كان ـ عليه السلام ـ قوّمهن على نفسه فزوجهن لهؤلاء (٢).

لكن لماذا اسند عمرو بن شمر هذا الحديث الى حفيد ابن الخطاب؟! لأمرٍ ما جدع قصير انفه!

وسائر الأسانيد التى اعتمدها النورى فى هذا المجال هى على نفس المنوال فلانتكرر بالكلام فيها. وعليه فلاوقع لصرح بنى على هذا الأساس المنهار. كما لم يثبت تصريح بأسماء أئمة الهدى كملا فى كتب العهدين البتة. اللهمّ إنْ هذا الاّ اختلاق.

واخيراً فانانربأ بمثل المحدث النورى ـ الذى قضى شطراً كبيراً من حياته فى خدمة الدين والترويج من ولاء السادة آل سيد المرسلين ـ ان يلجا الى احضان يهوديةٍ قذرةٍ ـ لغرض اثبات فضيلة قدسية ملكوتية، هى فى غنى عن لمس اعتاب كافرة دنسة!.

فلايكون ـ وحاشاه ـ مصداقاً لقوله تعالى:

أَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى الْحَيٰاةِ الدُّنْيٰا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً. (٣).

(١) جامع الرواة ج ١ ص ١٤٤.
(٢) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٤٣٨.
(٣) الكهف ١٠٤/١٨.

الدليل العاشر ــ الذى اقامه المحدث النورى لاثبات التحريف ــ قوله: لاشكّ انّ القرّاء مختلفون فى كثير من حروف القرآن وفى هيئآت كلماته، وقد نزل القرآن بحرف واحد لاتغيير فيه ولا اختلاف، قال: لكن بما ان المصحف الحاضر غير خالص عن بعض تلكم القراءات بل عن اكثرها غير المطابقة لما انزل. فهو حينئذ غير مطابق كاملا لما انزل على النبى ــ ص ــ اعجازا، وهو المقصود!

قال: وهذا الدليل وان كان غير واف لاثبات نقصان سورة بل آية وكلمة ايضا، لعدم اختلاف القراء فى مثل ذلك. الاّ انه يمكن تتميمه بعدم القول بالفصل! (١)

وقد فصلنا القول فى القراء والقراءات، وذكرنا اوجه مغايرة مسألة القراءة المختلف فيها مع مسألة تواتر القرآن. وان لاصلة بينها فى شيىء، فان القرآن شيىء والقراءات شيىء آخر. والقرآن هو النص المتواتر عن رسول الله النازل عليه وحيا اعجازيا، وقد احتفظ عليه جمهور المسلمين وكبار ائمة الدين، لاتغيير فيه ولا اختلاف عبر الدهور.

اما القراءات فهى اجتهادات فى تعبير هذا النص وفى كيفية ادائه، على ما سبق تفصيله (٢).

اما مسألة التتميم بعدم القول بالفصل، فلاموضوع لها اولا. وثانيا هى مسألة اصولية تخص الأمور النظرية العقلية. دون العلوم النقلية المبتنية على اساس النقد والتمحيص.

(١) فصل الخطاب ص ٢٠٩ ــ ٢٣٣.
(٢) فى الجزء الثانى من التمهيد.

اهم ادلته هما

دليله الحادى عشر و دليله الثاني عشر

ولعلّ أهمّ مستند القائلين بالتحريف، هى مجموعة روايات كانت مبعثرة هنا وهناك حسبوهنّ دلائل على تحريف الكتاب، إما دلالة بالعموم، او ناصّة على موضع التحريف بالخصوص ــ فيما زعموا ــ وقد جعل المحدث النورى من النوع الأول دليله الحادى عشر، والنوع الثانى دليله الثانى عشر! جمعهن من مصادر شتّى لا شأن لأكثريتها ولا اعتبار. والبقية القليلة لا مساس لها بمسألة التحريف.

ومن الغريب ان محدثنا النورى يتحدى مخالفيه بسعة تتبّعه والأخذ من مصادر جمّة يزعم: قلّ من اطّلع عليها. قال ــ معرّضا بالسيد البغدادى حيث قوله فى شرح الوافية «لم ينقل تلك الأخبار سوى اولئك الذين رووا اخبار الجبر والتفويض وما شاكلها من مخالفات المذهب» ــ قال: لكنه معذور، لقلة تتبعه الناشى من قلّة تلك الكتب عنده ــ! (١)

قلت: ما شأن كثرة الكتب اذا كانت مجرد حبر على ورق من دون اعتبار!

قال «الحجة البلاغى»: قد جهد «المحدث النورى» فى جمع روايات التحريف ــ حسب زعمه ــ فى حجم كبير، بتكثير اعداد المسانيد، بضم المراسيل المأخوذة فى الأصل من تلك المسانيد. كمراسيل العياشى وفرات وغيرهما. مع ان

(١) فصل الخطاب ص ٣٥٠.

القسط الوافر من اسانيدها ترجع الى بضعة انفار متهمين فى تراجم الرجال. فمنهم الكذاب الخبيث او المجفوّ المنبوذ لا يستحلّ الرواية عنه او شديد العداء لسلالة آل الرسول (ص). وامثال ذلك من تعابيرٍ تُنبىء عن سوء السريرة او سوء القصد... قال: ومن الواضح ان امثال هؤلاء لاتجدى كثرتهم شيئاً (١).

* * *

واليك من أهمّ المصادر التى نقل عنها تلك الروايات، وهى كتب لا اعتبار لها ولا اسناد:

(١) راجع تفصيل كلامه فى آلاء الرحمان، المقدمة ص٢٦.

كتب اعتمدها النوري لا اعتباريها

١ ــ رسالة مجهولة النسب !

هناك رسالة مجهولة الإنتساب، اعتمدها اصحاب القول بالتحريف، نسبت الى كل من سعد بن عبدالله الأشعرى (٣٠١) ومحمد بن ابراهيم النعمانى (٣٦٠) والسيد المرتضى (٤٣٦) لكن مع اختلاف فى العنوان وان اتحد المعنون.

فقد نسبت الى الأشعرى باسم: رسالة الناسخ والمنسوخ. والى النعمانى باسم: ما ورد فى صنوف آيات القرآن. والى المرتضى باسم: رسالة المحكم والمتشابه.

قال العلامة المجلسى ــ بعد نقل تمام الرسالة منسوبةً الى النعمانى ــ:

وجدت رسالة قديمة هكذا: حدثنا جعفربن محمد بن قولويه، قال حدّثنى سعد الأشعرى ابوالقاسم، وهو مصنّفه: الحمدلله ذى النعماء والآلاء والمجد والعز والكبرياء، وصلّى الله على محمد سيد الأنبياء وعلى آله البررة الاتقياء. روى مشايخنا عن اصحابنا عن ابى عبدالله عليه السلام قال: قال اميرالمؤمنين عليه السلام... ــ وساق الحديث كما فى رسالة النعمانى باختلاف يسير ــ (١).

هذا مع العلم بان ابن قولويه لم يرو عن سعد الّا بواسطة اخيه او ابيه. قال الحسين بن عبيدالله: جئت بالمنتخبات (من كتب سعد) الى ابى القاسم بن قولويه أقرأها عليه. فقلت: حدثك سعد؟ فقال: لا، بل حدثنى ابى واخى عنه، وانا لم اسمع

(١) بحار الأنوار ج ٩٠ ص ٩٧ ط بيروت مؤسسة الوفاء.

من سعد إلّا حديثين ــ وفى رواية الّا اربعة احاديث ــ (١).

ومن ثم قال المحقق الطهرانى: لعلّ فى السند سقطاً (٢) هذا والرواية من سعد مجهولة الإسناد الى الصادق عليه السلام لانّه يروى عن مشايخه عن اصحابنا عنه عليه السلام.

واما نسبة الرسالة الى النعمانى فقد جاء فى مقدمتها بعد الحمد والصلاة هكذا: واعلم يا اخى ان القرآن جليل خطره عظيم قدره ــ الى ان يقول: ــ قال ابوعبدالله محمد بن ابراهيم النعمانى فى كتابه فى تفسير القرآن: حدثنا ابن عقدة عن الجعفى عن ابن مهران عن الحسن بن على بن ابى حمزة البطائنى عن ابيه عن ابن جابر قال: سمعت ابا عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول...

وظاهر هذا التعبير، ان واضع الرسالة هو غير النعمانى، لانّه ينقل عن كتابه فى التفسير، فيبدو انّه غير هذه الرسالة بالذات.

هذا فضلاً عن ان السند ضعيف للغاية بوجود البطائنى. قال العياشى: سألت ابن فضال عنه، قال: كذاب ملعون، انى لا استحل ان اروى عنه حديثاً واحداً. وقال: انى لاستحى من الله ان اروى عنه (٣).

واحتمل النورى ان الرسالة وضعت بمنزلة الشرح لمقدمة التفسير المنسوب الى على بن ابراهيم القمى وبسطاً فى فصول كلامه (٤)، ولكن كيف انتسبت الى النعمانى؟! ولعلها من صنع بعض تلاميذه فشاعت باسم شيخه. وكيف كان فالرسالة مجهولة الإنتساب لايعرف واضعها!.

* * *

واما النسبة الى المرتضى فالظاهر انّه من اشتباه اسم الناسخ المتوافق مع اسم السيد، اذ لم يذكر احد من اصحاب التراجم نسبتها الى السيد المرتضى علم الهدى ولا

(١) معجم رجال الحديث ج ٨ ص ٧٥ و ٧٩.
(٢) الذريعة ج ٢٤ ص ٩.
(٣) جامع الرواة ج ١ ص ٢٠٨.
(٤) فصل الخطاب ص ٢٦.

جاءت فى عداد تآليفه الكثيرة. فضلاً عن مخالفتة الصريحة مع رأى السيّد فى مسألة صيانة القرآن من التحريف.

وقد ذكر المحققون ان الرسالة مستنسخة تماماً من المنسوب الى النعمانى ابتداء من الخطبة حتى نهاية الخاتمة بالضبط الكامل من غير فرق (١) فلعلّ الناسخ استنسخها وتوافق اسمه مع اسم السيّد اتفاقاً، فاختلط الحابل بالنابل!.

وبعد... فرسالة هذا شأنها: لايعرف واضعها ولا ناسخها، ولا صحّ سندها، ولا حُظيت بتوثيق احد من رجالات العلم والحديث. ولا نصّ على اعتبارها واسنادها احد من ائمة النقد والتمحيص. رسالة هذا شأنها لاتصلح مستنداً لإختيار ولا مصدراً يُرجع اليه. نعم تصلح مرجعا لمثل النورى الغريق الذى يتشبث بكل حشيش. وقد شحن حقيبته الجوفاء (رسالة فصل الخطاب) بهكذا حشائش هزيلة سرعان ما تجتث من فوق الأرض مالها من قرار.

وهكذا سائر الكتب التى استند اليها القوم فى مسألة التحريف، لم يكن شأنها بافضل من شأن هذه الرسالة المجهولة!؟

٢ ــ كتاب السقيفة لسليم بن قيس الهلالى. (٩٠)

كان سليم من خواص اصحاب الإمام اميرالمؤمنين ــ عليه السلام ــ وقد صنف كتابا اودع فيه بعض اسرار الإمامة والولاية. وكان من انفس الكتب التى حُظيت به الشيعة ذلك العهد.

لكن هل النسخة الدارجة هى نسخة الأصل؟.

لقد تشكّك فيها جلّ اهل التحقيق. قال الشيخ المفيد: هذا الكتاب غير موثوق به ولا يجوز العمل على اكثره وقد حصل فيه تخليط وتدليس. فينبغى للمتديّن ان يجتنب العمل بكل ما فيه ولا يعوّل على جملته والتقليد لروايته (٢).

(١) راجع: الذريعة ج ٢٠ ص ١٥٥.

(٢) تصحيح الاعتقاد ــ آخر الكتاب ــ ص ٧٢.

وذلك انه لما طلبه الحجاج ليهدر دمه، هرب وآوى الى ابان بن ابى عياش (فيروز) فلمّا حضرته الوفاة، سلّم الكتاب الى أبان مكافأة لجزيل فضله. قال العلامة ــ فى الخلاصة ــ: فلم يرو عن سليم كتابه هذا سوى ابان وعن طريقه.

وابان، هذا كان تابعيا صحب الباقر والصادق عليهما السلام، وقد ضعّفه الشيخ فى رجاله. وقال ابن الغضائرى: ضعيف لايلتفت اليه.

وقد اتهم الأصحاب أباناً بانّه دسّ فى كتاب سليم، ومن ثمّ هذا التخليط. حتى انّهم نسبوا الكتاب اليه رأساً. قال ابن الغضائرى: وينسب اصحابنا وضع كتاب سليم بن قيس الهلالى اليه.

* * *

وللشيخ الى كتاب سليم طريقان، احدهما: عن طريق حماد بن عيسى وعثمان بن عيسى عن ابان عن سليم. والآخر عن حماد عن ابراهيم بن عمر اليمانى عن ابان عن سليم. على ما ذكره الطهرانى فى الذريعة. قال سيدنا الأستاذ الخوئى ــ دام ظله ــ: وكيفما كان فطريق الشيخ الى كتاب سليم بكلا سنديه ضعيف.

قال: والصحيح انّه لاطريق لنا الى كتاب سليم بن قيس الهلالى المروى بطريق حماد بن عيسى... وذلك فان فى الطريق (محمد بن على الصيرفى ــ ابا سمينة) وهو ضعيف كذّاب.

قلت: قد اشتهر هذا الكتاب باختلاف النسخ، ولعل طول الزمان وتداول ايدى الكُتّاب جعله عرضة للدسّ فيه مع مختلف الآراء والأنظار. شأن كل كتاب لم يوفق المصنف لنشره بنفسه بل على ايدى الآخرين بعد وفاته.

قال المحقق الطهرانى: رأيت منه نسخاً متفاوتة من ثلاث جهات:

اولاها ــ التفاوت فى السند فى مفتتح النسخ...

ثانيتها ــ التفاوت فى كيفية الترتيب ونظم احاديثه...

ثالثتها ــ التفاوت فى كمية الأحاديث...

وجهة رابعة ذكرها بعض المحققين فى مقدّمة الكتاب، قال: وهناك احاديث كثيرة اوردها العلامة المجلسى فى اجزاء البحار المتعددة وكذا غيره من الاعلام فى

كتبهم (كالكليني والصدوق والكراجكي في كنز الفوائد وابن عبدالوهاب في عيون المعجزات والصفار في البصائر وغيرهم) مرويّة عن سليم، لا توجد فيما بايدينا من نسخ الكتاب. وكثيرة منها مرفوعة اليه من غير طريق أبان، الأمر الذي يؤكّد مسألة تصرّف أبان في كتاب سليم.

واخيراً ـ فان الكتاب وضع على اسلوب التقطيع، فيتكرر في اثنائه: (وعن ابان بن ابي عياش عن سليم بن قيس الهلالي، قال: سمعت...).

وعليه فاحتمال كون الكتاب من صنع أبان وانّه هو الذي وضعه على هذا الأسلوب فزاد فيه ونقص ورتّب حسب تصرّفه الخاص، احتمال قوي. فاستناد الكتاب في وضعه الحاضر الى ابان، اولى من استناده الى سليم، وان كان هو الأصل.

فما يوجد فيه من مناكير او خلاف المعروف، لم يثبت كونه من سليم.

فقد صح ما قاله قدوة اهل التحقيق الشيخ المفيد ـ قدس سره ـ بشأن الكتاب:

هذا الكتاب غير موثوق به!.

ولا يجوز العمل على اكثره!.

فيه تخليط وتدليس!.

فينبغي للمتدين ان يجتنب العمل بكل ما فيه!.

ولا يعوّل على جملته والتقليد لروايته! (١).

جزاه الله خيراً عن رأيه هذا الأنيق وعن تحقيقه هذا الرشيق.

٣ ـ كتاب القراءات لاحمد بن محمد السيّاري (٢٦٨).

قال الشيخ: احمد بن محمد بن سيّار الكاتب، كان من كتاب آل طاهر. ضعيف الحديث فاسد المذهب، مجفّو الرواية، كثير المراسيل.

(١) راجع: معجم رجال الحديث ج ٨ ص ٢١٦ ـ ٢٢٨. وج ١ ص ١٤١ ـ ١٤٢. والذريعة ج ٢ ص ١٥٢ ـ ١٥٩. ومقدمة كتاب سليم ص ١٩ ـ ٣٩. والفهرست لابن النديم ص ٣٢١ الفن الخامس من المقالة السادسة.

وقال ابن الغضائرى: ضعيف متهالك، غال محرّف. وحكى محمد بن على بن محبوب فى كتاب النوادر المصنّفة: انّه قال بالتناسخ (١).

وكتابه هذا يعرف بكتاب (التنزيل والتحريف) على ما عبّر به الشيخ حسن بن سليمان الحلى فى مختصر البصائر. وهذا العنوان اقرب الى محتوى الكتاب من عنوان القراءات. وكانت عند المحدث النورى منه نسخة ونقل عنها فى مستدرك الوسائل (٢).

وكان القمّيون يحذفون من كتب الحديث ما كان برواية السيارى، فأجدر بكتبه أن لا يعتمدها الأصحاب!.

٤ ــ تفسير ابى الجارود زياد بن المنذر السرحوب (١٥٠)

تقدم انه رأس الجارودية من الزيدية. وسمّوا بالسرحوبية ايضاً. قال الكشى: وكان ابوالجارود مكفوفاً اعمى اعمى القلب. وقد ورد لعنه عن لسان الصادق عليه السلام، قال: لعنه الله فانّه اعمى القلب اعمى البصر. وقال فيه محمد بن سنان: ابوالجارود، لم يمت حتّى شرب المسكر وتولى الكافرين (٣).

امّا تفسيره هذا فالذى يرويه عنه هو ابوسهل كثير بن عياش القطان. واليه ينتهى طريق الشيخ والنجاشى الى تفسيره. قال الشيخ: وكان ضعيفاً (٤).

٥ ــ تفسير على بن ابراهيم القمى (٣٢٩)

تقدم ان هذا التفسير منسوب اليه من غير ان يكون من صنعه، وانما هو تلفيق من املاء اته على تلميذه ابى الفضل العباس بن محمد العلوى، وقسط وافر من تفسير ابى

(١) معجم رجال الحديث ج ٢ ص ٢٨٢ ــ ٢٨٤.
(٢) الذريعة ج ١٧ ص ٥٢.
(٣) فهرست ابن النديم ص ٢٦٧.
(٤) معجم رجال الحديث ج ٧ ص ٣٢٢.

الجارود، ضمّه اليها ابوالفضل واكمله بروايات من عنده، كما وضع له مقدمة واورد فيها مختصراً من روايات منسوبة الى اميرالمؤمنين عليه السلام فى صنوف آى القرآن، وقد فصلها وشرحها صاحب التفسير المنسوب الى النعمانى، حسبما تقدم.

فقد أخذ ابوالفضل العلوى عن شيخه القمى ما رواه باسناده الى الإمام الصادق ــ عليه السلام ــ من تفسير القرآن. وضم اليه من تفسير ابى الجارود ما رواه عن الإمام الباقر ــ عليه السلام ــ واكمله بما رواه هو عن سائر مشايخه تتميماً للفائدة. فجاء هذا التفسير مزيجاً من روايات القمى وروايات ابى الجارود وروايات غيرهما مما رواه ابوالفضل نفسه.

اذن فهذا التفسير بهذا الشكل، هو صنيع ابى الفضل العلوى، وانما نسبه الى شيخه القمى لانّه الأصل والأكثر حظاً من روايات هذا التفسير.

قال المحقق الطهرانى: وهذا التصرف وقع منه من اوائل سورة آل عمران حتى نهاية القرآن(١).

ويبتدئ التفسير بقوله: «حدثنى ابوالفضل العباس بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر ــ عليه السلام ــ قال حدثنا ابوالحسن على بن ابراهيم ...».

فمن ذا يكون القائل فى قوله: «حدثنى ...»؟

ومن هو ابوالفضل العباس العلوى، الذى يحدّث عن شيخه القمى؟

فهنا مجهولان: الأول، الذى يحدث عن ابى الفضل العلوى، لا يعرف شخصه، لا اسمه ولا وصفه.

الثانى، نفس ابى الفضل، هذا غير معروف عند اصحاب الحديث. ولا ذكره احد من اصحاب التراجم، لابمدح ولا بقدح، نعم انّما يعرف بأنه من اعقاب حمزة بن الإمام موسى بن جعفر ــ عليه السلام ــ لا شيئ سواه. فالذى يعرف عنه انه من العلويين(٢) وربما كان من تلامذة على بن ابراهيم القمى هذا لا غير.

(١) الذريعة ج ٤ ص ٣٠٢ ــ ٣٠٣.

(٢) والعباس هذا لعله المدفون بطبرستان المعروف بالعباس بن محمد الأعرابى وله اولاد بها. على ما ذكره علماء الأنساب. ←

فكما ان الأول مجهول شخصاً ونسباً، فهذا يعدّ من المهملين فى علم الرجال.
وعليه فالإسناد الى هذا التفسير مقطوع او مجهول اصطلاحاً.
وهكذا تأليف، ساقطٌ عن درجة الإعتبار عند ارباب الحديث.

٦ــ كتاب الإستغاثة لعلى بن احمد الكوفى (٣٥٢)

قال النجاشى: كان يقول انه من آل ابى طالب، وغلا فى آخر عمره وفسد مذهبه وصنف كتباً كثيرة اكثرها على الفساد. منها هذا الكتاب كما ذكره الشيخ.
قال: كان امامياً مستقيماً وصنّف كتباً سديدةً منها كتاب الأوصياء وكتاب الفقه على ترتيب كتاب المزنى. ثم خلط واظهر مذهب الخمسة وصنف كتبا فى الغلو والتخليط وله مقالة تنسب اليه.
قال ابن الغضائرى: كذاب غال صاحب بدعة ومقالة رأيت له كتباً كثيرة لايلتفت اليه. قال العلامة: ومعنى الخميس عند الغلاة لعنهم الله ان سلمان الفارسى والمقداد وعماراً واباذر وعمروبن اميّة الضمرى هم الموكّلون بمصالح العالم.
قال سيدنا الأستاذ ــ دام ظله ــ وطريق الشيخ اليه مجهول (١).

٧ــ كتاب الإحتجاج للطَبْرِسى.

تقدم اشتهار كتاب بهذا الإسم منسوب الى الطبرسى نسبة الى طَبْرس (معرّب تَفْرش) (٢) ولكن من هذا الطبرسى؟.

← قال المحقق الطهرانى: وبما ان طبرستان فى ذلك الأوان كانت مركز الزيدية، فينقدح فى النفس احتمال ان يكون نزول العباس بها انما كان لترويج مذهب الحق فيها. ورآى من الترويج السعى فى جلب الرغبات الى هذا التفسير، فلذلك ادخل بعض ما يرويه عن ابى الجارود الزيدى فى تفسيره جلباً لرغبتهم فيه بذلك.

(١) معجم رجال الحديث ج ١١ ص٢٤٦ ــ ٢٤٧.
(٢) اجع تحقيق ذلك بهامش تصحيح الإعتقاد ص٥٨ ــ ٦٠.

ذكر السيد محمد بحر العلوم فى مقدمة الكتاب ستة من المعاريف يحتمل إنتساب الكتاب اليهم:

١ــ ابومنصور، احمد بن على بن ابى طالب الطبرسى (٦٢٠) والمعروف انتساب الكتاب اليه. نسبه اليه السيد ابن طاووس فى كتاب (كشف المحجة).

٢ــ ابوعلى، الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى (٥٤٨) صاحب تفسير (مجمع البيان) نسبه اليه صاحب كتاب (الغوالى) والمحدث الاسترابادى، وابن ابى جمهور الاحسائى فى كتاب (المجلّى).

٣ــ ابونصر، الحسن بن الفضل بن الحسن صاحب كتاب (مكارم الأخلاق) نجل الطبرسى امين الإسلام صاحب التفسير.

٤ــ ابوالفضل، على بن الحسن بن الفضل، حفيد صاحب التفسير. له كتاب (نثر اللئالى) وكتاب (مشكاة الأنوار) كتبه تتميماً لكتاب والده (مكارم الأخلاق).

٥ــ ابوعلى، محمد بن الفضل الطبرسى من تلامذة الشيخ الطوسى.

٦ــ ابوعلى، الحسن بن على بن محمد الطبرسى، المعاصر للخواجه نصيرالدين الطوسى.

اما الكتاب فلا يعدومراسيل لا اسناد لها. اكثرها تلفيقات من روايات نقلية واحتجاجات عقلية كانت العبرة بذاتها لا بالأسانيد. ومن ثمّ فانّ العلماء يرفضون الأخذ بها كروايات متعبّد بها، وانما هو كلام عقلانى والاّ فلا اعتبار بكونه منقولاً. الأمر الذى يحط من شأن الكتاب باعتبار كونه سنداً لحوادث تاريخية سالفة.

ولعلّه لذلك اخفى المؤلف اسمه فى صدر الكتاب. ويعلّل تاليفه لهذا الكتاب، ترغيب ابناء الطائفة فى سلوك طريق الحجاج والمجادلة بالتى هى احسن، فأتى فيه بانواع الجدل فى مختلف شئون الدين، ناسباً لها الى عظماء الأمة كلاً او بعضاً ترويجاً لهذه الطريقة الحسنة!

قال: ولا نأتى فى اكثر ما نورده من الأخبار باسناده، اما لوجود الإجماع عليه او موافقته لما دلّت العقول اليه، او لإشتهاره فى السير والكتب.

وعليه فهو اشبه بكتاب كلامى من كونه مصدراً حديثياً او تاريخياً. والعمدة

هى الإستدلال بطريقة العقل لامجرّد النقل.

ومن ذلك احتجاجات مسهبة يذكرها اجابة على اسئلة زنديق يزعم وجود التناقض فى القرآن، وهذه المحاورة ينسبها الى الإمام اميرالمؤمنين ــ عليه السلام ــ ولعلّها مسائل فرضية لغرض التنبيه على مواضع الحجاج والجدال الحسن، وان كان فيه بعض المنقول.

ومن ثمّ تفرّد بنقله بهذا التفصيل مع خبط وتخليط غريب(١).

٨ــ تفسير منسوب الى الامام العسكرى (ع)

هناك تفسير مبتور، فيه تفسير فاتحة الكتاب وآيات متقطعة من سورة البقرة حتى الآية رقم ٢٨٢ التى هى اطول آيات القرآن، الى قوله تعالى: **وَلاٰ يَأبَ الشُّهَدٰاءُ إذٰا مٰا دُعُوا.** وهذا آخر الموجود من هذا التفسير.

زعم مؤلفاه (هما: ابويعقوب يوسف بن محمد بن زياد. وابوالحسن على بن محمد بن سيّار ــ حسب رواية الصدوق) انه من املاء الإمام ابى محمد الحسن بن على العسكرى ــ عليه السلام ــ املاه عليهما فى سبع سنين، كانا يختلفان اليه ويكتبان كل يوم مقدار ما ينشط له.

وكانا من ابناء الأثرياء، حجز اموالهم الأمير الداعى الى الحق امام الزيدية باستراباد. فخرج والداهما باهليهما الى العراق واتيا سامراء فرحب بهما الإمام ــ عليه السلام ــ ودعا لهما بالخير والفرج. وبعد ان جائهم التبشير برفع الحجز استأذنا للخروج الى بلادهم (استرآباد) فاشار عليهم الإمام ان يخلفا ولديها ليتعلما العلم فخلفاهما. فلزما حضوره ــ عليه السلام ــ يختلفان اليه كل يوم مدة سبع سنين.

والراوى عنها هو ابوالحسن محمد بن القاسم الخطيب المعروف بالمفسّر

(١) كتاب الإحتجاج ج ١ ص ٣٥٨ــ ٣٨٤. وتجد الحديث مختصراً مسنداً فى كتاب التوحيد للصدوق ص ٢٥٥ــ ٢٧٠. ونقلها المجلسى فى البحار ج ٩٠ ص ٩٨ و ١٢٧ــ ١٤٢.

الاسترابادى. وهو طريق ابى جعفر الصدوق الى هذا التفسير(١).

نعم لم تثبت وثاقة الخطيب الاسترابادى، مضافاً الى جهالة حال ابى يعقوب وابى الحسن راويى التفسير. فهنا ثلاثة مجاهيل كانوا مصدر هذا التفسير.

قال ابن الغضائرى: محمد بن القاسم المفسّر الاسترابادى، ضعيف كذاب. روى عنه ابوجعفر تفسيراً يرويه عن رجلين مجهولين. والتفسير موضوع عن سهل الديباجى عن ابيه باحاديث من هذه المناكير.

قال سيدنا الأستاذ ــ دام ظله ــ: محمد بن القاسم هذا لم ينص على توثيقه احد من المتقدمين حتى الصدوق الذى اكثر الرواية عنه. وقد ضعفه ابن الغضائرى: ومن المتأخرين العلامة والسيد الداماد وغيرهما. قال: والصحيح ان الرجل مجهول الحال، لم تثبت وثاقته ولا ضعفه. ورواية الصدوق عنه كثيراً لاتدل على وثاقته، ولا سيما اذا كانت الكثرة فى غير كتاب الفقيه.

قال: وعلى اىّ حال فالتفسير المنسوب الى الإمام العسكرى ــ عليه السلام ــ بروايته لم تثبت(٢). قال: مع ان الناظر فى هذا التفسير لايشك أنه موضوع. ويجلّ مقام عالم محقق ان يكتب مثله فكيف بالإمام حجة الله على خلقه(٣).

تفاسير مقطوعة الإسناد:

هناك تفاسير جليلة صنفها علماء اجلاء، غيران النسخ الأصل ضاعت مع الأسف وبقيت منها مختصرات محذوفة الإسناد، وربما اختزال او تحوير فى الأحاديث وفى ترتيبها، بما زالت انثقة باصالة اكثرها.

منها: تفسير ابى النضر محمد بن مسعود، ابن عياش السلمى السمرقندى (٣٢٠) المعروف بتفسير العياشى. وقد حذف منه بعض الناسخين أسانيد الروايات

(١) الذريعة ج ٤ ص ٢٨٥.
(٢) معجم رجال الحديث ج ١٧ ص ١٥٦ ــ ١٥٧.
(٣) نفس المصدر ج ١٢ ص ١٤٧.

لغرض الإختصار. قال العلامة المجلسى: ذكر الحاذف لذلك عذراً هو اشنع من جريمته.! قال: نظرت فى التفسير بإسناده ورغبت الى هذا وطلبت من عنده سماع من المصنف او غيره فلم اجد فى ديارنا من كان عنده سماع او اجازة من المصنف ولذلك حذفت منه الإسناد وكتبت الباقى على وجهه ليكون اسهل على الكاتب والناظر فيه. فان وجدت بعد ذلك من عنده سماع او اجازة من المصنف اتبعت الأسانيد وكتبتها على ما ذكره المصنف!.

ومع ذلك فانه لم يبق من هذا التفسير الموتور سوى نصفه الى آخر سورة الكهف! (١).

* * *

ومنها: تفسير فرات بن ابراهيم بن فرات الكوفى (توفى حدود ٣٠٠) المقصور على الروايات المأثورة عن الأئمة الهداة عليهم السلام. وقد اكثر الرواية عن الحسين بن سعيد الكوفى الأهوازى نزيل قم والمتوفى بها. الذى كان من اصحاب الأئمة الرضا والجواد والهادى عليهم السلام. وكذلك يروى كثيراً عن جعفر بن محمد الفزارى وعبيد بن كثير العامرى وعن سائر مشايخه البالغين الى نيف ومائة شيخ، كلهم من رواة احاديثنا. غير انه ليس لأكثرهم ذكر ولا ترجمة فى اصولنا الرجالية. كما ان فرات ايضاً لم يُذكر بمدح ولا قدح.

قال المحقق الطهرانى: ولكن من الأسف انه عمد بعضٌ الى اسقاط اكثر تلك الأسانيد واكتفى مثلاً بقوله: فرات عن حسين بن سعيد معنعناً عن فلان. وهكذا فى غالب الأسانيد. فاشار بقوله: معنعناً الى ان الرواية كانت مسنده معنعنة وانما تركها للإختصار.! (٢)

* * *

ومنها: تفسير محمد بن العباس الماهيار المعروف بابن الحجام (توفى حدود

(١) راجع: الذريعة ج ٤ ص ٢٩٥.
(٢) الذريعة ج ٤ ص ٢٩٨.

٣٣٠). من اصحابنا ثقة ثقة عين سديد. له كتاب (ما نزل من القرآن فى اهل البيت عليهم السلام). قال النجاشى: قال جماعة من اصحابنا: انّه كتاب لم يصنّف فى معناه مثله. وقيل: انّه الف ورقة(١). وطريق الشيخ اليه صحيح. ولكن هذا التفسير لم يوجد ولم يره احد من ارباب التحقيق المتأخرين، وظاهر عبارة النجاشى انّه لم يشاهده، وانما نقل من غيره فى مقدار حجمه.

قال الطهرانى: وينقل عنه السيد شرف الدين فى كتابه «تأويل الآيات الظاهرة» وهو تلميذ المحقق الكركى المتوفى سنة ٩٤٠ فيظهر بقاؤ الكتاب الى هذا الزمان، والله العالم بما بعده.

قال السيد شرف الدين ــ بعد ان نقل عن جماعة من اصحابنا انّه كتاب لم يصنف مثله فى معناه ــ: وهذا كتابه المذكور لم اقف عليه كلّه، بل نصفه من هذه الآية الى آخر القرآن(٢). والآية هى قوله تعالى:

وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ... (٣).

وينقل عنه السيد على بن طاووس فى رسالة (محاسبة النفس) وكان عنده تاما، كما صرح به فى كتابه (اليقين) قال: انّه عشرة اجزاء فى مجلدين ضخمين. قال ابن طاووس: وقد روى احاديثه من رجال العامة لتكون ابلغ فى الحجّة. قال الطهرانى: ونقل فى (اليقين) عن كلا المجلدين عدّة روايات(٤).

هذا... ولكن محدّثنا النورى اشتبه عليه الأمر، فجعل ينقل عن (ماهيار) بواسطة (الشيخ شرف الدين النجفى) فى كتابه (تأويل الآيات الباهرة) ما يروق له من روايات التحريف. زاعما انه من تفسير ماهيار! (٥).

(١) معجم رجال الحديث ج ١٦ ص ١٩٨.

(٢) تأويل الآيات الظاهره ج ١ ص ٢٨٤. طبع هذا الكتاب اخيراً فى مجلدين طبعةً انيقةً.

(٣) الاسراء ١٧/ ٧٢.

(٤) الذريعة ج ١٩ ص ٢٩ ــ ٣٠ وج ٣ ص ٣٠٣ ــ ٣٠٤ برقم ١١٢٩.

(٥) فصل الخطاب ص ٢٣٧ ــ ٢٣٨. برقم ١٤ من الدليل الحادى عشر ومواضع اخر. وقد سبقه الى هذا الوهم

وهو خلط غريب، لانّ الذى ينقل من تفسير ماهيار، هو (السيد شرف الدين الاسترآبادى) فى كتابه (تأويل الآيات الظاهرة).

واما كتاب (تأويل الآيات الباهرة) فهو ترجمة فارسية مختزلة عن كتاب شرف الدين. قام بها ــ كما صرح فى خاتمة الكتاب(١) ــ (الشيخ محمد تقى) المعروف بـ(آقا نجفى الاصفهانى) المتوفى سنة ١٣٣٢. وكان من معاريف عصره فى اصفهان صاحب كلمة ونفوذ. وقد استهل كتابه وكذا عنونه الناشرون بما يوهم انه من تأليفه، ومن ثَمَّ اشتبه الأمر على كثيرين، كما اشتبه على محدثنا النورى اسم الكتاب واسم مؤلفه(٢) والله العاصم.

* * *

واليك الآن عرضا موجزا عن اهم روايات استند اليها المحدث النورى من كلا نوعيها: الدالة ــ فيما زعم ــ: على التحريف عموما، او ناصّة على مواضع التحريف بالخصوص.

صاحب امل الامل. وخطأه صاحب الرياض. راجع الذريعة ج ٣ ص ٣٠٥.

(١) قال: وقد فرغت من ترجمة هذا الكتاب المستطاب ليلة الجمعة ١٣ ج ١ سنة ١٢٩٧ هـ.

(٢) وهكذا فى كتابه مستدرك الوسائل ج ١ ص ٢٧٩ رقم ١١.

الف حديق وحديث

ما جمعه المحدث النورى من روايات بشأن مسألة التحريف تربو على الألف ومائة حديث: (١١٢٢) بالضبط. سواء ما زعمه ذادلالة عامة وهى: (٦١) ام ناصّة على موضع التحريف بالخصوص: (١٠٦١).

لكن اكثريتها الساحقة انّما نقلها من اصول لا اسناد لها ولا اعتبار ممّا عرضناه آنفاً من كتب ورسائل اما مجهولة او مبتورة او هى موضوعة لا أساس لها رأساً.

فاذا ما أسقطنا المنقول من هذه الكتب وهى تربو على الثمانمأة (٨١٥). يبقى الباقى ما يقرب من ثلاثمأة حديث (٣٠٧).

واكثرية هذا العدد ترجع الى اختلاف القراءة، ولا سيما المنقول عن الطبرسى فى مجمع البيان، وهى: ١٠٧ موارد.

مثلاً ينقل عنه فى سورة العاديات: ان علياً ــ عليه السلام ــ قرأ: «فوسّطن» بتشديد السين.

وفى سورة الزلزال: قرأ الكسائى «يُره» بضم المضارعة مبنياً المفعول، قال: وهكذا فى روايةٍ عن على ــ عليه السلام ــ.

وفى سورة الضحى: قرأ النبى ــ صلّى الله عليه وآله ــ وكذا عروة بن الزبير ــ فى رواية ــ: «ما ودعك» بالتخفيف.

وفى سورة الشمس: قرأ اهل المدينة وابن عامر: «فلايخاف عقبيها». وروى ذلك عن ابى عبدالله ــ عليه السلام ــ ايضاً.

وفى سورة الفجر: قرأ الكسائى ويعقوب وسهل: «ولا يوثق» بالفتح. وفى رواية عن ابى قلابة قال: اقرأنى رسول الله ــ ص ــ كذلك.

الى امثال ذلك من قراءات منقولة عن الأئمة نقلاً بالآحاد لا بالتواتر، فلا حجيّة فيها اولاً، ولا مساس لها بمسألة التحريف المصطلح ثانياً.

معالجة مأتى حديث

بقيت مأتا حديث تقريبا منقولة عن كتب معتبرة، ذكرها المحدث النورى فى (فصل الخطاب) دليلا على وقوع التحريف فى الكتاب.

لكن هذه الروايات وردت فى شؤون شتّى وفى مسائل مختلفة، زعمهنّ مشتركات فى جامع الدلالة على التحريف.

وهى على سبعة انواع: ــ

النوع الأول ــ روايات تفسيرية، اما توضيحا للآية او بيان شأن النزول او تأويل الآية او تعيين مصداق من مصاديقها الأجلى المنطبق عليها الآية بعمومها.

وهذا النوع يشمل القسط الأوفر من هذه الأحاديث.

واليك منها: ــ

١ــ روى ثقة الإسلام الكلينى باسناد رفعه الى الامام اميرالمؤمنين ــ عليه السلام ــ انه قرأ:

وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ... (١).

وعقّبها بقوله: «بظلمه وسوء سريرته» (٢)، بياناً لكيفية الإهلاك، وانه ليس باشعال النار او وضع السيوف فى رقاب الناس بل بارتكاب الظلم وسوء نيته فى التدبير.

(١) البقره ٢/٢٠٥.

(٢) روضة الكافى ج ٨ ص ٢٨٩ برقم ٤٣٥.

٢ــ وباسناده ايضاً عن الإمام موسى بن جعفر ــ عليه السلام ــ فى قوله تعالى:

أُولٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فى قُلُوبِهِمْ فَاَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فى أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً (١).

انه ــ عليه السلام ــ تلا هذه الآية الى قوله «فاعرض عنهم» واضاف: فقد سبقت عليهم كلمة الشقاء وسبق لهم العذاب. وتلا بقية الآية (٢).

قال النورى: ظاهر سياق الخبر ان الزيادة كانت من القرآن وليست تفسيرا!

قال ذلك رداً على العلامة المجلسى الذى احتمل ــ على فرض صحة الخبر ــ ان يكون ــ عليه السلام ــ اراد التفسير، اى انما امر تعالى بالإعراض عنهم، لسبق كلمة الشقاء وسبق تقدير العذاب (٣) لكن السياق مع المجلسى الخبير بمواضع كلام الأئمة المعصومين. على خلاف ما زعمه المحدّث.

٣ــ وعن الإمام الصادق ــ عليه السلام ــ فى قوله تعالى:

ثُمَّ لاٰيَجِدُوا فى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً (٤).

قال: مما قضيت من امر الولاية، ويسلموا لله الطاعة تسليما (٥)

٤ــ قوله تعالى:

وَلَوْ اَنّا كَتَبْنا عَلَيْهِمْ اَنِ اقْتُلُوا اَنْفُسَكُمْ اَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيارِكُمْ ما فَعَلُوهُ اِلاّ

(١) النساء ٤/٦٣.
(٢) روضة الكافى ج٨ ص١٨٤ رقم ٢١١.
(٣) فصل الخطاب ص ٢٧٥.
(٤) النساء ٤/٦٥.
(٥) الكافى الشريف ج٨ ص١٨٤ رقم ٢١٠.

قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً (١).

نزلت بشأن اهل الكتاب كانوا يعارضون رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ولا يستسلمون لقيادته. فطبقها الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ على كل مخالف لحكم الإسلام ويقاوم امر الإمام ولى امر المسلمين:

قال: ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم ـ وسلموا للإمام تسليماً ـ اواخرجوا من دياركم ـ رضاً لَهُ ـ ما فعلوه الا قليل منهم. ولو ان اهل الخلاف (بدل «ولو انهم» ـ توضيحاً لموضع الضمير ـ) فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم واشد تثبيتا (٢).

وفى هذا الحديث نكته دقيقة: كان قتل النفس كناية عن كبح جموحها واستسلامها لقيادة ولى الأمر. وكذا كان الخروج من الديار كناية عن الخروج عن ملاذّ النفس المحيطة بها كحصار حصين، كناية عن امتثال اوامره والإنقياد لحكومته، فيكون فى ذلك رضاه عن الناس وبغية امله فى تحكيم ارادة الله.

٥ ـ وايضا روى الكلينى عن ابى بصير عن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ فى قوله تعالى: **وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا**.. قال: ان تلووا الأمر وتعرضوا عما امرتم به. **فَإِنَّ اللهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً** ـ (النساء: ١٣٥) ـ (٣).

وقد اعترف النورى (الذى استدل بهذا الحديث دليلاً على التحريف) بأن ظاهر الخبر هو ارادة التفسير. لكنه تمحّل فى توهمه القديم زاعماً دلالة الآية بذاتها على ارادة التحريف، قال الا انّه يمكن استظهار نزوله كذلك، بملاحظة صدر الآية وذيلها (كذا) ...! (٤) ولعله من غلط النسخة.

(١) النساء ٤/٦٦.
(٢) الكافى الشريف ج٨ ص١٨٤ رقم ٢١٠.
(٣) الكافى ج١ ص٤٢١ رقم ٤٥.
(٤) فصل الخطاب ص٢٧٦.

٦ــ وروى باسناده عن ابى الربيع الشامى، قال: سألت ابا عبدالله ــ عليه السلام ــ عن قول الله عزّ وجلّ:

وَمٰا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ اِلاّٰ يَعْلَمُهٰا وَلاٰ حَبَّةٍ فى ظُلُمٰاتِ ٱلأَرْضِ وَلاٰ رَطْبٍ وَلاٰ يٰابِسٍ اِلاّٰ فى كِتٰابٍ مُبينٍ (١).

فقال ــ عليه السلام ــ: الورقة: السقط. والحبّة: الولد. وظلمات الأرض: الأرحام. والرطب: ما يحيى الناس به. واليابس: ما يغيض. وكل ذلك فى امام مبين (٢).

واستظهر العلامة المجلسى من تبديل الكتاب بالإمام فى قوله عليه السلام، كونه تفسيرا له، نظراً الى قوله تعالى: وَكُلَّ شَيْىءٍ أَحْصَيْنٰاهُ فى إمٰامٍ مُبينٍ (٣). وايّده بما رواه العامة والخاصة فى هذه الآية انّها لما نزلت، اشار رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ الى على ــ عليه السلام ــ مقبلاً، فقال: هذا هو الإمام المبين (٤).

لكن محدّثنا النورى لم يرقه هذا الإستظهار اللطيف، فعلّق عليه بقوله: وفى التأييد نظر (٥) يعنى انه من التحريف لاغير...!

٧ــ وروى باسناده الى ابى حمزة الثمالى عن الإمام محمد بن على الباقر ــ عليه السلام ــ فى قوله تعالى: هٰذٰانِ خَصْمٰانِ اخْتَصَمُوا فى رَبِّهِمْ فَالَّذينَ كَفَروا (٦). قال: بولاية على ــ ع ــ ثمّ تلا بقية الآية: فَقُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيٰابٌ مِنْ نٰارٍ... (٧).

(١) الانعام ٦/ ٥٩.
(٢) الكافى الشريف ج ٨ ص ٢٤٩ رقم ٣٤٩.
(٣) يس ٣٦/ ١٢.
(٤) راجع: تفسير البرهان ج ٤ ص ٣٦.
(٥) فصل الخطاب ص ٢٨٤.
(٦) الحج ٢٢/ ١٩.
(٧) الكافى ج ١ ص ٤٢٢ رقم ٥١.

وهذا من تعيين ابرز مصاديق الكفر بالله. لانّ نكران ولاية حجّة الله نكران لأعظم شعائر الله فى الأرض. روى الكلينى فى كتاب الحجة باسناده عن محمد بن عبدالرحمان عن ابى عبدالله ــ عليه السلام ــ قال: «ولايتنا ولاية الله التى لم يبعث نبياً قطّ الاّ بها» (١) وهذه حقيقة لا مِرْيَةَ فيها. فان هذا الأثر من ذاك المؤثر، فرفض الأثر رفض لصاحب الأثر فى واقع الأمر.

وعليه فهو تفسير محض، وعبثاً حاول الشيخ النورى اثبات كون اللفظة من عبارة القرآن (٢).

٨ــ ومثله ما رواه عن الثمالى ايضا عن الإمام الباقر ــ ع ــ فى قوله تعالى: «فابى اكثر الناس» قال: بولاية على. ثم تلا: إلاّ كُفُوراً (الأسراء: ٨٩). ثم قال (عليه السلام) هكذا نزل جبرئيل بهذه الآية (٣) اى هذا شان نزولها وبهذا المعنى نزلت الآية. كما حققه المولى محسن الفيض فى امثال هذه التعابير:

قال: لعل المراد ان تلك الزيادات وجدت مكتوبة تفسيراً ولكن مأخوذاً من الوحى، لانّها كانت من اجزاء القرآن. قال: فما ورد من استماع حروف على خلاف ما يقرؤه الناس، يعنى حروفاً تفسّر الفاظ القرآن وتبين المراد منها، وقد عُلمت بالوحى (٤) اى علماً مستنداً الى الوحى، ومن ثمّ لا يعلمه سوى الأئمة من اهل بيت الوحى.

ثمّ استشهد بما روى عن النبى ــ صلّى الله عليه وآله ــ: «ولو ان الناس قرأوا

(١) الكافى ج ١ ص ٤٣٧ رقم ٣.
(٢) فصل الخطاب ص ٣٠٩.
(٣) الكافى ج ١ ص ٤٢٥ رقم ٦٤.
(٤) الوافى مج ٢ ج ٥ ص ٢٧٣ و ٢٧٤.

القرآن كما انزل ما اختلف اثنان». قال: وهو اشارة الى صحة ما اوّلنا به تلك الأخبار. فالمعنى: انهم لو فسروه كما هداهم اهل الوحى ولم يفسروه وفق اهوائهم وآرائهم، لم يختلف اثنان، اذ لا اختلاف فى مبدء الوحدة.

وهو تحقيق انيق يختص به اولو البصائر فى الدين.

ويدل على ذلك ــ بحيث يكون دليلاً عامّاً لجميع ما ورد بزيادة لفظ «فى على» او «بولاية على» اثناء تلاوة الآية ــ ماروا« الكينى عن ابى بصير، قال: سألت ابا عبدالله ــ عليه السلام ــ عن قوله تعالى «اطيعوا الله واطيعوا الاسول واولى الامر منكم» قال: نزلت فى على والحسن والحسين ــ عليهم السلام ــ قلت: ان الناس يقولون: فما باله لم يسمّ علياً واهل بيته فى كتاب الله؟

قال فقولوا لهم: ان رسول الله ــ صلى الله عليه وآله ــ نزلت عليه الصلاة، ولم يسمّ لهم ثلاثاً ولا اربعاً، حتّى كان رسول الله (ص) هو الذى فسّر لهم ذلك ...(١).

قال سيدنا الاستاذ ــ دام ظله ــ: هذه الصحيحة حاكمة على جميع تلك الروايات، وموضّحة للمراد منها... وان ذكرهم لان بالنعوت والاوصاف لا بالتسمية الصريحتر..(٢).

٩ــ وايضاً ورد بهذا المعنى فى قوله تعالى: **وَلَنُذِيقَنَّهُمْ** قال: بولاية على ــ عليه السلام ــ ثم تلا البقية: **مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ**. ــ فصلت: ٥٠ (٣).

(١) الكافى الشريف ج ١ ص ٢٨٦.
(٢) البيان ص ٢٥١.
(٣) الكافى الشريف ج ١ ص ٤٢١ رقم ٤٥.

وبالتالى فإن هذه الصحيحة تنفى وجود اسمائهم فى التزيل.

١٠ــ وعن الهيثم بن عروة التميمى قال: سألت الصادق ــ عليه السلام ــ عن آية الوضوء (المائدة: ٦) ومسحت من ظهرٌ كفى الى المرافق! فقال: ليس هكذا تنزيلها، انّما هى: فاغسلوا وجوهكم وايديكم من المرافق. ثم امّر يده من مرفقه الى اصابعه (١).

اى ليس المراد من تنزيل الآية هذا المعنى، بل المراد: الغسل من المرفق... ولم يعهد قراءة «من» بدل «الى» فى الآية. ولا شك ان «الى» فى الآية ليست لتحديد الغسل، بل لبيان حدّ المغسول. فيجب ان يكون الغسل وفق المتعارف من فوق. هذا هو مراده ــ عليه السلام ــ فتدبر!

١١ــ وهكذا ماورد بزيادة لفظ «فى على» فى موارد مختلفة، كل ذلك بيان لاظهر المصاديق تفسيراً لاكونه من النص.

منها ما رواه الكلينى باسناده عن عبدالرحمن بن كثير، قال: قلت لأبى عبدالله ــ عليه السلام ــ قوله تعالى:

ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قٰالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مٰا نَزَّلَ اللّٰهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ الْأَمْرِ... (٢).

قال: نزلت ــ والله ــ فيها وفى اتباعها. وهو قول الله عزّ وجلّ الذى نزل به جبرائيل على محمد ــ صلى الله عليه وآله ــ: ذلك بانّهم قالوا للذين كرهوا ما نزّل الله

(١) الكافى الشريف ج ٣ ص ٢٨ رقم ٥.
(٢) سورة محمد ٤٧ / ٢٦.

ـ في علي ـ سنطيعكم في بعض الأمر (١).

ومن المعلوم ان لفظ «في علي» كان بيانا لمورد النزول الذي اغضب هؤلاء المنافقين اى كانوا كرهوا ما نزّل الله بشأن علي (ع) من آيات.

١٢ـ ونظيره ما وردت الزيادة بلفظ (محمد ـ ص ـ) اثناء القراءة زيادة تفسيرية من غير فرق، روى الكليني باسناده الى محمد بن خالد عن الصادق ـ عليه السلام ـ قرأ: **وَكُنْتُمْ عَلىٰ شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها**، (بمحمد) آل عمران: ١٠٣. قال: هكذا ـ والله ـ نزل بها جبرئيل على محمد عليها السلام (٢).

ولا شكّ انه اراد السبب العامل للإنقاذ، فهو تفسير لاغير. والمقصود من النزول هكذا، بيان شأن النزول والمناسبة المستدعية للنزول ذاتاً. ولا يحتمل انّه ـ عليه السلام ـ اراد كونه جزءا من الآية!.

١٣ـ ويزيد دلالة على ارادة هذا المعنى، اى بيان مورد النزول وارادة التفسير لاغير، ما رواه عن ابى بصير عن ابى عبدالله ـ عليه السلام ـ في قول الله عزّ وجلّ: **فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فى ضَلالٍ مُبينٍ** ـ الملك: ٢٩.

قال ـ مفسّراً ـ: يا معشر المكذّبين حيث أنبأتكم رسالة ربي في ولاية علي ـ عليه السلام ـ والأئمة ـ عليهم السلام ـ من بعده، من هو في ضلال مبين. قال: كذا انزلت (٣).

ولا شك انه ـ عليه السلام ـ لم يرد ان هذا البيان والتفسير نزل جزءً من

(١) الكافي الشريف ج ١ ص ٤٢٠ ـ ٤٢١ رقم ٤٣.
(٢) روضة الكافي ج ٨ ص ١٨٣ رقم ٢٠٨.
(٣) اصول الكافي ج ١ ص ٤٢١ رقم ٤٥.

الوحى القرآنى . بل: انّه المقصود من النزول!

١٤ــ ومن هذا الباب ايضاً ما رواه عن ابن فضيل، قال: سألت ابا الحسن الماضى ــ عليه السلام ــ عن قوله تعالى: يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ ــ الصف: ٨

قال: يريدون ليطفؤا ولاية اميرالمؤمنين ــ عليه السلام ــ بافواههم!

قلت: والله متم نوره؟.

قال: متم الإمامة. لقوله عزّ وجلّ: فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِى أَنْزَلْنَا... التغابن: ٨ والنور هو الإمام ــ عليه السلام ــ.

قلت:

هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ الصف: ٩

قال: ليظهره على الأديان عند قيام القائم ــ عليه السلام ــ لقوله عزّ وجلّ: والله متمّ نوره ولو كره الكافرون ــ بولاية على ــ عليه السلام ــ!.

قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم، اما هذا الحرف فتنزيل. واما غيره فتأويل (١).

اقول: التنزيل هنا بمعنى التفسير فى مقابل التأويل.

وقد ذهب النورى فى هذا الحديث مذاهب بعيدة، تتناسب مع عقلية الأخباريين (٢).

١٥ــ وروى عن محمد بن الفضيل عن ابى الحسن الماضى ــ عليه السلام ــ

(١) الكافى الشريف ج ١ ص ٤٣٢ رقم ٩١.

(٢) فصل الخطاب ص ٣٣٤.

فى حديث طويل قال: قال تعالى: يا محمد (إِذا جاءَكَ الْمُنافِقُونَ) بولاية وصيك (قالُوا نَشْهَدُ) ــ الى قوله ــ (إِنَّ الْمُنافِقِينَ) بولاية على (لَكاذِبُونَ) ــ الى قوله ــ (ذلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا) برسالتك (ثُمَّ كَفَرُوا) بولاية وصيك ــ الى قوله ــ (وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ) عن ولاية على، (وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ) ــ المنافقون: ١ ــ ٥ (١).

وهذا تفسير كلّه بلاريب. وقد اعترف بذلك المحدث النورى. قال: وسوق الحديث غير صريح فى التحريف، وان لم يكن أبيّا من الحمل عليه(٢). قلت: لا وجه للحمل اصلاً.

١٦ــ وعنه عليه السلام: قلت إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرآنَ تَنْزِيلاً ــ الدهر: ٢٣؟ قال: بولاية علىّ تنزيلا. قلت: هذا تنزيل؟ قال: نعم ذا تأويل(٣). اى نزل القرآن بشأن ولاية اميرالمؤمنين التى هى امتداد لولاية الله الكبرى بعد الرسول. وهذا نوع تفسير للقرآن يشبه ان يكون تأويلاً.

١٧ــ وروى عن سدير الصيرفى، قال: قلت لابى عبدالله ــ عليه السلام ــ: هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال: لا، والله ــ الى ان قال: ــ فينظر، فينادى روحه منادٍ من قبل رب العزة(يا أَيَّتُهاَ النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) الى محمد واهل بيته (إِرْجِعِى إِلىٰ رَبِّكِ راضِيَةً) بالولاية (مَرْضِيَّةً) بالثواب (فَادْخُلِى فى عِبادِى) يعنى محمدا واهل بيته (وَادْخُلِى جَنَّتِى) ــ الفجر ٢٨(٤).

١٨ــ وروى عمار الساباطى عن ابى عبدالله ــ عليه السلام ــ قال قال تعالى بشأن على ــ عليه السلام ــ:

(١) الكافى الشريف ج ١ ص ٤٣٢ ــ ٤٣٣ رقم ٩١.
(٢) فصل الخطاب ص ٣٣٦
(٣) الكافى ج ١ ص ٤٣٥ رقم ٩١.
(٤) البرهان ج ٤ ص ٤٦١.

اَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ، قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ (ان محمداً رسول الله) وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (ان محمداً رسول الله وانه ساحر كذاب) انما يتذكر اولو الألباب ــ الزمر: ٩.

ثم قال ابوعبدالله ــ عليه السلام ــ: هذا تأويله يا عمار! (١).

هذا الحديث الشريف قد اوضح من تلك الزيادات التفسيرية التي ربما كانت تذكر خلال قراءات الأئمة ــ عليهم السلام ــ انما كانت على نحو التفسير او التأويل، وليس كما يزعمه اهل التحريف.

١٩ــ وعن ابن فضال عن الإمام علي بن موسى الرضا ــ عليه السلام ــ: فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ على رَسُولِه وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ــ براءة: ٤٠ (٢) والآية فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ. فقد وضع اسم الظاهر موضع الضمير ــ ان صحت الرواية ــ تنبيها على ان المراد هو الرسول ــ ص ــ دون صاحبه، بدليل مرجع الضمير في «أيده بجنود» الذي ليس سوى الرسول ــ ص ــ ونظراً لآيات اخرى خصّت نزول السكينة على الرسول (فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ. الفتح: ٢٦) وفي نفس سورة براءة: ٢٦ ايضاً.

وعليه فهو تفسير وبيان لمرجع الضمير.

وهذا معنى قوله ــ عليه السلام ــ: «هكذا تنزيلها» اى بهذا المعنى نزلت، على ما اسلفنا.

واما قوله: «هكذا نقرؤها» فلعلها قراءة على خلاف المشهور، ولا مستمسك فيها للقول بالتحريف، حسبما عرفت غير مرّة.

٢٠ــ وروى باسناد مقطوع: قرأ رجل عند ابي عبدالله ــ عليه السلام ــ (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ــ التوبة: ١٠٥) فقال: ليس

(١) الكافي الشريف ج ٨ ص ٢٠٤ ــ ٢٠٥ رقم ٢٤٦.

(٢) الكافي الشريف ج ٨ ص ٣٧٨. والبرهان ج ٢ ص ١٢٨ رقم ٩٣.

هكذا هى، انما هى: والمأمونون، فنحن المأمونون(١).

والرواية على فرض الصحة، انما تعنى تفسير المؤمنين هنا بالمؤمنين المسؤولين، اى مَن تحملوا مسؤولية الأمة، وليس مطلق المؤمنين وان كانوا مسؤولين نوعاً ما. ولا شك ان المسؤول العام هو الذى أؤتمن على دماء المسلمين واعراضهم واموالهم، وليس سوى الامام من الأئمة الهداة المعصومين.

فقوله: ليس هكذا هى. اى لايذهب وهمك الى ارادة عموم المؤمنين، وانما هم المؤمنون الكاملون المراد بهم المسؤولون خاصة.

قال العلامة المجلسى ــ فى الشرح ــ: اى ليس المراد بالمؤمنين هنا ما يقابل الكافرين ليشمل كل مؤمن، بل المراد بهم الكُمّل من المؤمنين وهم المأمونون عن الخطاء المعصومون عن الزلل وهم الأئمة عليهم السلام(٢).

النوع الثانى ــ احاديث عن قراءات منسوبة الى بعض الأئمة ــ ع ــ ربما تخالف قراءة المشهور او هى متوافقة مع بعض القراءات غير المعروفة. واليك منها:

١ــ روى شيخ الطائفة فى التهذيب عن الشيخ المفيد باسناده عن غالب بن الهذيل، قال: سألت اباجعفر ــ عليه السلام ــ عن قوله تعالى: (وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ــ المائدة: ٦) على الخفض هى ام على النصب؟ قال: بل هى على الخفض(٣).

وبما ان القراءة المشهورة على النصب، اخذ المحدث النورى من هذا الحديث مستمسكاً لزعمه فى التحريف(٤).

وقد ذهب عنه ان ثلاثة من القراء السبعة، وهم: ابن كثير، وابوعمرو، وحمزة، قرأوا بالخفض وثلاثة وهم: ابن عامر، ونافع، والكسائى، قرأوا بالنصب.

(١) الكافى الشريف ج ١ ص ٤٢٤ رقم ٦٢.
(٢) مرآة العقول ج ٥ ص ٧٩.
(٣) تهذيب الاحكام ج ١ ص ٧١. وتبديل الواوفاء فى الآية دليل آخر على الغمز فى صحة الرواية.
(٤) فصل الخطاب ص ٢٨٠.

واما عاصم فقد قرأ بالوجهين، بالنصب برواية حفص، وبالخفض برواية شعبة! (١). وقد نص عليه الشيخ فى التهذيب(٢)..

على ان اختلاف القراءة لم يكن يوماً ما دليلاً على مسألة التحريف!.

ملحوظة: هذه الرواية ساقطة عندنا لانعتبرها حجّة، لأن الشيخ يرويها باسناده الى حمّاد عن محمد بن النعمان (مشترك . ولو كان هو الأحول الثقة مؤمن الطاق لنص عليه) عن غالب ابن هذيل او ابوهذيل (مجهول الحال، لم يعرف سوى انّه شاعر كوفى، وعدّه الشيخ من اصحاب الباقر ثمّ الصادق عليهما السلام). ومن ثمّ فالرواية من حيث الإسناد غيرصحيحة.

واما قراءة الخفض فمضافا الى انها خلاف المشهور ولم يقرأ بها حفص ولا جمهور المسلمين، (وهو الشرط الأول لصحة القراءة) كانت على خلاف ضوابط الإعراب، (والشرط الثانى لصحة القراءة هو كونها موافقة مع الضوابط اللغوية المعروفة) (٣).

توضيح ذلك: ان العامّة حملوا قراءة النصب على ارادة العطف على مدخول الغسل، اى اغسلوا وجوهكم وايديكم وارجلكم. ومن ثمّ حصل الفصل بين العاطف والمعطوف عليه بالأجنبى، وهو: «وامسحوا برؤوسكم». وهوحمل ساقط، لانّ الفصل بالأجنبى غير جائز فى اللغة الفصحى.

نعم حمله الشيخ الرضى ــ قدس سره ــ على ارادة العطف على محل المجرور. وذلك لأنّ المسح ممّا يتعدى بنفسه من غير حاجة الى دخول الباء. لكن لما كان الواجب هو امرار اليد المبتلّة، بالرأس امراراً من غير اعتبار الإستيعاب، دخلت الباء على الممسوح دلالة على كفاية مجرد امرار المسّ اى صِرف لصوق هذا الفعل بهذا المحل ومن ثمّ زيدت الباء. وبما أنه بأوّل حصول الفعل (المسح) يحصل الإمتثال، فيسقط

(١) الحجة فى القراءات لأبى زرعة ص ٢٢١ و ٢٢٣.

(٢) التهذيب ج ١ ص ٧١.

(٣) راجع اختيار نافى ضابط القبول فى الجزء الثانى من التمهيد. ص ١٤٧ وص ١٥٦.

الأمر ولا دليل على الإدامة والإستيعاب (١).

واما مسح الرجلين فيجب استيعابها الى الكعبين، ومن ثمّ كان عطفاً على محل المجرور اى وامسحوا ارجلكم الى الكعبين، نظير واغسلوا ايديكم الى المرافق. بدليل بيان الحدّ، وهو نهاية المحل المغسول فى اليد، والممسوح فى الرجل.

اما اذا قرئ بالخفض فمعناه: المسح ببعض الرجل وهو غير مراد.

ومن ثم كانت قراءة النصب هى المتوافقة مع ضابط القبول فهى الحجة المعتبرة عندنا لاغير.

* * *

٢ــ وروى الكلينى باسناده عن غيابة الأسدى، قال: قرأ رجل عند اميرالمؤمنين ــ عليه السلام ــ:

(فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ ــ الأنعام: ٣٣).

قال: بلى والله لقد كذّبوه اشد التكذيب، ولكنّها مخففة، لايكذبونك: لايأتون بباطل يكذبون به حقك (٢).

قلت: على فرض صحة الإسناد، فانّ التشديد والتخفيف مما لايرتبط ومسألة التحريف، وانما هو اختلاف فى القراءة..

وقوله: لايأتون بباطل... بيان لـ«لايكذبونك».

وقوله: ولكنها مخففة، اراد به باب الإفعال من الإكذاب بمعنى بيان كذب الرجل وفضحه، اما التفعيل من التكذيب فهو محض الإنكار وعدم تصديقه.

فالمعنى: انهم لايقتصرون على مجرد الإنكار ورفض الدعوة. بل يحاولون بشتّى الوسائل فى ابطال شريعته ونقض رسالته، بما يقومون من اعمال جهنّمية، لكنهم بهذه

(١) من افادات شيخنا الحكيم الآلهى المحقق الشيخ محمدرضا الاصفهانى الجرقوئى طيب الله رمسه.

(٢) الكافى الشريف ج ٨ ص ٢٠٠ رقم ٢٤١.

المحاولة انما يقاومون رسالة الله ويجحدون بآياته.

وهذا هو الفارق بين بابى الإفعال والتفعيل، تخفيفاً وتثقيلاً الأمر الذى ينمّ عن دقة ظريفة روعيت فى هذا الحديث!.

* * *

٣ــ وروى عن طريق على بن ابراهيم باسناده عن حريز، ان الصادق ــ عليه السلام ــ قرأ: (لَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ اَنْ يَضَعْنَ ــ من ــ ثِيَابِهِنَّ ــ النور: ٦٠) بزيادة «من»(١). ولعلها زيادة تفسيرية، تنبيها على ان المراد: وضع بعض الثياب بكشف الرأس والرقبة فحسب، لا كشف تمام البدن. والزيادة لهذا الغرض كانت متداولة ذلك العهد. وقدمرّ نظيرها فى قراءات الأصحاب كابن مسعود وابى بن كعب وحتى ابن عباس وغيره.

٤ــ وروى باسناده الى ابن ظبيان عن الصادق ــ عليه السلام ــ انه قرأ: (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتّىٰ تُنْفِقُوا ما تحبّون ــ آل عمران: ٩٢). والمشهور: «ممّا تحبون». قال: هكذا إقرأها(٢).

فعلى القراءة المعروفة، ندب الى الإنفاق ببعض ما يحب. وعلى هذه القراءة كان ندباً الى الإيثار بكل ما يحبّ. وهذا برّ ليس فوقه برّ. وعلى اىّ حال فهى قراءة من القراءات، ولا تمس مسألة التحريف.

٥ــ وايضا عن حمّاد بن عثمان قال: تلوت عند ابى عبدالله ــ عليه السلام ــ: (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ ــ المائدة: ٩٥) فى مسألة جزاء الصيد. وهى القراءة المعروفة، فقال الإمام: هذا ممّا اخطأت فيه الكتاب، وقرأ: «ذو عدل منكم»(٣). اى يكفى ان يحكم بالمماثلة عادل واحد.

(١) الكافى الشريف ج ٨ ص ٢٠٠ رقم ٢٤١.
(٢) الكافى الشريف ج ٨ ص ١٨٣ رقم ٢٠٩.
(٣) الكافى الشريف ج ٨ ص ٢٠٥ رقم ٢٤٧.

ولا شكّ ان الحاكم بذلك يجب ان يكون عارفاً بخصوصيات النعم ليعتبرها فى الموازنة مع الخصوصيات التى كان عليها الصيد. وهذا مما يرجع الى النظر والإجتهاد، فهو من اهل الخبرة وليس من باب الشهادة.

وعليه فقد اختلف نظر الفقهاء فى اعتبار التعدد فى اخبار اهل الخبرة. وقد رجّحنا عدم اعتباره، نظراً لعموم وجوب تصديق العادل، اللهم الاّ مع عدم حصول الإطمئنان الا مع التعدد، والعبرة انّما هو بحصوله(١).

٦ــ وروى باسناده عن ابى بصير عن الصادق ــ عليه السلام ــ قرأ قوله تعالى: (هٰذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ــ الجاثية: ٢٩) قرأها: «يُنطَق» مبنيّا للمفعول من باب الإفعال. والقراءة المشهورة: «يَنْطِق» ثلاثياً مبنياً للفاعل.

قال (عليه السلام) فى توجيه هذه القراءة: ان الكتاب لم ينطق ولن ينطق. ولكن رسول الله ــ ص ــ هو الناطق بالكتاب. قال: هكذا نزلت لكنها حرّفت (٢) والتحريف هنا مأخوذ من الحرف بمعنى القراءة. اى القُرّاء قرأوها كذلك.

هكذا شرح العلامة المجلسى هذا الحديث ورفع من ابهامه. جزاه الله خيراً.

وفى التالى (النوع الثالث) ما يزيدك توضيحاً لهذا الجانب.

وروايات اختلاف القراءة التى جاءت فى الكافى الشريف ربما تنوف على الخمسين. اقتصرنا على نماذج منها، خوف الإطالة.

* * *

النوع الثالث ــ احاديث جاء فيها لفظ «التحريف»، فزعمه اهل القصور تحريفاً مصطلحاً فى حين انه تحريف بالمعنى وتفسير على غير الوجه.

١ــ من ذلك ما رواه الكشّى بإسناده عن على بن سويد، قال: كتب إلى ابوالحسين الأوّل ــ عليه السلام ــ وهو فى سجن هارون: «واما ما ذكرت يا علىّ ممن تأخذ معالم دينك، عن غير شيعتنا؟ فإنك إن تعدّيتهم أخذت دينك عن الخائنين

(١) راجع ما كتبناه بهذا الصدد فى مجلة «فصل نامهٔ حق» ص٤٦ ــ ٤٨ العدد الثانى ١٣٦٤ هـ ش.

(٢) روضة الكافى ج ٨ ص ٥٠ رقم ١١.

الذين خانوا الله ورسوله، وخانوا أماناتهم، إنهم أؤتمنوا على كتاب الله عزّ و جلّ وعلا، فحرّفوه وبدّلوه، فعليهم لعنة الله...» (١).

٢ــ وروى الصدوق فى الخصال عن جابربن عبدالله الأنصارى عن النّبى ــ صلى الله عليه وآله ــ قال: يجيئ يوم القيامة ثلاثة، يشكون: المصحف، والمسجد، والعترة. يقول المصحف: يا ربّ حرّقونى ومزّقونى. ويقول المسجد: يا رب عطّلونى وضيّعونى. وتقول العترة: يا رب قتلونا وطردونا...(٢). ولكن النسخ (حرّقونى) بالقاف.

٣ــ محمد بن قولويه باسناده عن الحسن بن عطية عن ابى اعبدالله ــ عليه السلام ــ:

«اللهمّ العن الذين كذّبوا رسلك، وهدموا كعبتك، وحرّفوا كتابك» (٣).

والروايات من هذا القبيل كثيرة فلانتكرر بذكر الأمثال.

* * *

لكن تقدم: ان التحريف فى اللغة وفى مصطلح الشرع (فى الكتاب والسنة) يراد به التحريف المعنوى اى التفسير بغير الوجه المعبّر عنه بالتأويل الباطل.

وتقدّم الحديث عن الإمام الباقر ــ عليه السلام ــ فى رسالته الى سعد الخير:

«وكان من نبذهم الكتاب ان أقاموا حروفه وحرّفوا حدوده...» (٤).

ويشهد لذلك ما ورد عنه ــ عليه السلام ــ فى تنويع القارئين للقرآن: «ورجل قرأ القرآن فحفظ حروفه وضيّع حدوده...» (٥) فجاء استعمال التضييع موضع التحريف. وتضيع حدود القرآن هو تركها وعدم العمل وفقها. كما كان المراد

(١) رجال محمدبن مسعود الكشى ص ١٠ ط نجف.
(٢) خصال الصدوق باب الثلاثة برقم ٢٣٢ ص ١٧٤.
(٣) كامل الزيارات بابا ٧٩ ص ١٩٧.
(٤) روضة الكافى ج ٨ ص ٥٣ رقم ١٦.
(٥) اصول الكافى ج ٢ ص ٢٧ رقم ١.

من تحريفها: عدم وضعفها فى موضفعها. لأنه مأخوذ من الحرف بمعنى الجانب.

وفى حديث الحسين بن موسى الخشّاب يرفعه الى الصادق ـ عليه السلام ـ: «وذلك انّهم بتّروا القرآن وأبطلوا السُنَن وعَطّلوا الأحكام...». (١). فجاء «التبتير» موضع «التحريف». لانّ القرآن إذا لم يعمل به فقد هُجر وبُتّر.

وقرينة اخرى فى نفس الروايات المتقدمة: قرن تحريف الكتاب بهدم الكعبة وتعطيل المساجد مما لايراد المعنى الحقيق، وانّما هو بفقد حجيج يريدون وجه الله. وخلوّ المساجد من اهل اليقين فى عبادة الله!.

هذا... ولكن محدثنا النورى تراه مصرّا على ارادة التحريف المصطلح (تحريف اللفظ) من لفظ الروايات: قال: ففى روايات الباب (التى سردها دليلا على تحريف الكتاب) غنى وكفاية، لتماميتها سنداً ومتنا.

قال: اما السند فواضح، لانّ فيها الصحيح والموثق، مع ان جلّها موجودة فى الكتب المعتبرة. فضلاً عن انها متواترة معنى. والشك فى ذلك وسواس ينبغى الاستعاذة منه!

واما المتن (اى الدلالة) فكذلك ـ اى واصح ـ بالنسبة الى اكثرها، خصوصاً ما تضمن لفظ السقط والمحو والنقص...

الى ان قال: وكذا ما اشتمل على لفظ (التحريف) على ما هو الظاهر المتبادر منه، فان معناه لغة التغيير. قالوا: وتحريف الكلام تغييره عن مواضعه. وهو ظاهر فى تغيير صورته بأحد الوجوه المتقدمة (ذكرها فى المقدمة الثانية من الكتاب واحصاها الى تسعة عشر وجهاً من الممكن والممتنع (٢). قال: وهو الشايع منه فى استعماله فى امثال تلك الموارد... قال: ومن ذلك جميع الاخبار الدالة على وقوع التحريف فى التوراة والانجيل. وهو بهذا المعنى عند الجميع.

(١) تفسير العياشى ج ١ ص ٥ رقم ٧.

(٢) فصل الخطاب ص ٢٣ ـ ٢٤.

قال: ولو سلّمنا عدم ظهوره فى هذا المعنى، فانه لابدّلنا من حمل التحريف الوارد فى تلك الروايات على ارادة التحريف اللفظى والتغيير الصورى، لا التحريف المعنوى... وذلك لقرائن كثيرة، منها: ذكر السقط والمحو فى غيرها كانت قرينة صارفة لحمل التحريف عليه ايضا، حفظا لوحدة السياق فى تعابير الاخبار... ومنها: ان هذا التحريف قد شبّه بتحريف الكتب السالفة، فلابد ان يكون مثله فى تغيير اللفظ وتبديله...

ومنها، قوله: انا لم نعثر على التحريف المعنوى الذى نسب الى الخلفاء. بأن غيّروا وجه المعنى او بدّلوا تفسير الآية، ولوفى آية واحدة، ولم نجد انهم فسروها على خلاف ما اراده الله تعالى... ولو وجد لكان فى غاية القلّة... نعم انما شاع التحريف

المعنوى بمعنى التفسير بالرأى، فى طبقة متأخرة عنهم من مفسرين عاصروا الأئمة ـ ع ـ كقتادة والضحاك والكلبى واضرابهم ومن حذا حذوهم طول التاريخ. امّا الذى صدر من الخلفاء الاولين هى مخالفة القرآن فى مقام العمل، هذا فحسب، وليس ذلك تحريفا... وان كان مثل الزمخشرى قد عدّ ذلك من التحريف المعنوى. فلاحظ ما ذكره الزمخشرى والرازى وامثالهما فى قوله تعالى: «يا ايها الرسول بلّغ...» وقوله: «انّما وليّكم الله...» (١).

* * *

ولا يخفى مواضع الضعف فى كلامه، اولا: لم يكن من روايات التحريف ما يصلح حجة وسنداً لاعتبار، لانّها فى الاكثر مراسيل او مقاطيع الاسناد، فضلا عن اختلاء الكتب المعتمدة عنها، وانما توجد فى كتب ورسائل لاقيمة لها ولا اعتبار... حسبما عرفت.

(١) فصل الخطاب ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

ثانيا: لم يكن لفظ التحريف مستعملا فى اللغة فى غير التحريف المعنوى، وكذا فى استعمالات القرآن على ما عرفت. وانما هو مصطلح متأخر لايُحمل عليه الاستعمال الوارد فى كلمات الاقدمين... والقرائن التى ذكرها اصطناعية هى اشبه بالمصادرة نحو المطلوب. كما اسبقنا القول فى مسألة تشابه الحاضر والغابر...

وثالثا: وهل كانت المخالفات العملية الكثيرة ذلك العهد، الا مُسبقةً بتأويل مداليل القرآن وتحوير وجوه معانيه الكريمة؟! او هل قام القاسطون والناكثون والمارقون، فى وجه على ــ عليه السلام ــ الّا بسلاح تأويل القرآن وتفسيره حسب ما كانوا يشتهون؟! فكيف يا ترى انهم لم يمسّوا معانى القرآن بسوء؟!.

النوع الرابع ــ روايات استندوا اليها، لكن ليس فيها ما يصلح لهذا الإستناد، نذكر منها:

١ــ ما رواه ابوسعيد النيسابورى فى اربعين حديثه برقم ٣١ باسناده عن جابر بن عبدالله الأنصارى، قال: قال رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ لعلى بن ابى طالب ــ عليه السلام ــ يا على، الناس خلقوا من شجر شتّى، وخلقت انا وانت من شجرة واحدة، وذلك انّ الله تبارك وتعالى يقول: (وَفِى ٱلأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ...) ــ حتى بلغ ــ (يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ ــ الرعد: ٤) هكذا قرأها رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ اى بتأويلها الى نفسه واخيه على ــ عليها السلام ــ

وقد استدل بها المحدث النورى دليلاً على التحريف(١) ولكن أين التحريف؟! ولعله زعم من قوله (حتّى بلغ) اضافةً فى قراءة النص! مع وضوح انه من كلام الرّاوى، اختصر من قراءة النبى ــ ص ــ للآية!.

(١) فصل الخطاب ص٢٩٦.

٢ــ روى عن الإمام الصادق ــ عليه السلام ــ قال: كان ابى اذا صلّى الوتر، قرأ فى ثلاثتهنّ بقل هو الله احد، فاذا فرغ منها قال: «كذلك الله ربى».

وسأل ابنُ المهتدى الإمام ــ الرضا ــ عليه السلام ــ عن سورة التوحيد، فقال: كل من قرأ «قل هو الله احد...» وآمن بها فقد عرف التوحيد. قلت: كيف يقرؤها؟ قال: كما يقرأها الناس، وزاد فيه «كذلك الله ربّى، كذلك الله ربّى» (١).

نال النورى: وفى الخبر ايماء الى كون الذيل من القرآن... استفادة غريبة!! (٢).

* * *

٣ــ وروى عن الإمام زين العابدين ــ عليه السلام ــ كان يقول ــ عند ما يقرأ (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ) ــ: صدق الله عزّوجلّ، انزل القرآن فى ليلة القدر، (وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ) قال رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ: لا ادرى. قال الله عزّوجلّ: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ) ليس فيها ليلة القدر. قال لرسول الله (ص): وهل تدرى لِمَ هى خير من الف شهر؟ قال: لا. قال: لانها (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ). واذا اذن الله عزّ وجلّ بشئ فقد رضيه. (سَلَامٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ). يقول: تسلّم عليك يا محمد ملائكتى وروحى بسلامى من اوّل ما يهبطون الى مطلع الفجر... (٣).

وانا لنستغرب مزعومة محدثنا النورى: ان كل ما ذكره الإمام عليه السلام خلال قراءة الآيات توضيحاً او تفسيراً، زعمها جميعا من اجزاء سورة القدر (٤) وهذا منه عجيب للغاية.

(١) البرهان ج ٤ ص ٥٢١ رقم ١٦ وص ٥٢٣ رقم ٥.
(٢) فصل الخطاب ص ٣٤٩.
(٣) البرهان ج ٤ ص ٤٨٣ رقم ٥.
(٤) فصل الخطاب ص ٣٤٧.

* * *

النوع الخامس ــ ما ورد بشأن القائم ــ عجل الله فرجه ــ انّه يُلزم الناس بقراءة مصحف على ــ عليه السلام ــ الذى عنده وورثه من آبائه ــ عليهم السلام ــ. قالوا: لو لم يكن يختلف مصحفه عن الموجود لما صحّ ذلك الإلزام! (١).

١ــ روى الكلينى باسناده الى سالم بن سلمة قال: قرأ رجل على ابى عبدالله وانا استمع حروفاً من القرآن ليس على ما يقرأه الناس! فقال ــ ع ــ: كف عن هذه القراءة، اقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم، فاذا قائم القائم ــ ع ــ قرأ كتاب الله ــ عزّ وجلّ ــ على حدّه، واخرج المصحف الذى كتبه علىّ ــ عليه السلام (٢).

قلت: والأحاديث بهذا المضمون كثيرة، وهى ان دلت فانما تدل على اختلاف مّا، بين مصحفه ــ عليه السلام ــ والمصحف الحاضر. اما ان هذا الإختلاف هل هو فى نصّه ام فى اسلوبه اوفى امر آخر، اوضحناه من ذى قبل وانه فى النظم والترتيب وبعض الشروح على الهامش.

وقد اسبقنا ان مصحفه كان على اتم ترتيب واكمل نظم. وهذا بنفسه من اهم ما يعين على فهم المعنى الصحيح. لأن سياق الكلام ــ اذا كان محفوظاً بدقة حسبما تكلم به المتكلم ــ يكون من خير الدلائل الكاشفة عن المراد، استناداً الى قرائن حافة بالكلام. اما اذا تفكّك الكلام وحصل فيه تقديم وتأخير عن وضعه الأول، فعند ذلك تذهب تلك الدلائل ادراج الرياح.

(١) فصل الخطاب ص٦ و ص٢٣٦.

(٢) الكافى الشريف ج ٢ ص ٦٣٣ رقم ٢٣.

وبعد... فاذا كانت مسألة النظم تعد من اهم المسائل اللفظية الكلامية، وهى ذات صلة قريبة بمسألة الافادة والاستفادة، فان هذا مما يضمن وجوده بالنحو الأكمل فى مصحف على ــ عليه السلام ــ وتعوزه سائر المصاحف على الإطلاق.

هذا وقد أَلِفَ الجمهورُ هذا النسج الحاضر، واعتادوا عليه خلفاً عن سلف طيلة عشرات القرون. فيصعب عليهم التعوّد على خلافه، ومن ثمّ فهم بحاجة الى تربية وتعليم وممارسة مستمرة مما يقوم بها صاحب الأمر عند ظهوره، ان شاء الله.

اذن صحّ قوله ــ عليه السلام ــ: «قرأ كتاب الله على حدّه» اى على نسجه الأول الأصيل الذى يضمنه مصحف اميرالمؤمنين عليه السلام.

٢ــ يدل على ذلل ما رواه جابر عن الامام ابى جعفر الباقر ــ عليه السلام ــ قال: اذا قام قائم آل محمّد ــ عليهم السلام ــ ضرب فساطيط لمن يُعلّم الناس القرآن، على ما انزل الله. فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم، لأنه يخالف الترتيب..(١).

فكانت صعوبة الحفظ ذلك اليوم انما هى من اجل مخالفة المصحف الذى يُظهره للناس، مع المصحف الحاضر فى النظم والترتيب، لا غير.. وإلاّ لأشار اليه ايضاً.

٣ــ وايضاً مما يدل على ان القرآن الذى يأتى به صاحب الأمر، ليست فيه زيادة على هذا الموجود ما رواه العياشى باسناده عن ابى جعفر ــ عليه السلام ــ قال: ولو قد قام قائمنا فنطق صدقه القرآن(٢) اى هذا الموجود بايدينا فى آياتٍ منه صريحةٍ فى قيامه وظهوره وبسطه العدل فى الأرض. اذ لو كان ما دلّ على صدقه، هى من زيادات فيما لديه، مما لم يعهدها المسلمون من ذى قبل، لكان ذلك من الدور الباطل. اذ لا يعرف الشيىء من قبل نفسه!.

(١) الارشاد للمفيد ص ٣٦٥، والبحار ج ٥٢ ص ٣٣٩ رقم ٨٥.

(٢) تفسير العياشى ج ١ ص ١٣ رقم ٦.

فمن المحتّم انه ــ عجل الله فرجه ــ يضع يده على مواضع من القرآن كانت دلالتها على صدقه خفية من ذى قبل، فعند ارشاده ــ ع ــ يتعرف الناس الى حقيقة ناصعة كانوا يجهلونها ويجهلون استخراجها من نفس القرآن.

وقوله: «لولا انه زيد فى كتاب الله ونقص منه، ما خفى حقّنا على ذى حجى» (١) المراد من الزيادة والنقصان هنا هو تحميل الرأى على مداليل القرآن اوكتمان حقائقه، فالقول فى القرآن بغير علم، فضلاً عن نية السوء، زيادة فيه، لانه تفسير الكلام بما لايرضى صاحبه، وبعبارة اخرى: هى اضافة الرأى على مداليل الكتاب وهو المعبّر عنه بالتفسير بالرأى المنهى عنه.

وكذلك كتمان حقايقه دون بيانها للناس تقصير بشأن الكتاب وتنقيص من دلائله الرشيدة.

وهذا الحديث ــ بعد هذا البيان ــ يتّحد مدلوله مع حديث «لو قرئ القرآن كما انزل لالفيتنا فيه مسمين». اى غضاً طرياً لايشوبه اكدار الأفكار.

اذن ليس المقصود: الزيادة فى لفظه او حذف شيىء منه، كما توهمه اهل التحريف، اذ لو كان المراد ذلك لكان على خلاف اجماع الطائفة اطلاقاً، وكان مطروحاً البتة، اذ لم يقل احد بالزيادة فى القرآن حتى الأخباريون.

وقد اعترف المحدث النورى نفسه بهذا الإجماع، ومن ثم حاول تأويل الرواية على طريقة اسلافه الأخباريين (٢).

قال سيدنا الأُستاذ ــ دام ظله ــ: قد انعقد اجماع المسلمين على عدم الزيادة فى

(١) من صدر الحديث المتقدم برقم ٣.

(٢) فصل الخطاب ص٢٣٦.

القرآن ولا حرفاً واحداً حتى من القائلين بالتحريف (١).

٤ــ ونظير الحديث المتقدم ما ورد عن ابى الحسن ــ عليه السلام ــ حينما سأله بعض اصحابه عن قراءة آيات من القرآن ليست وفق القراءة المعروفة، قال: جعلت فداك ، انا نسمع الآيات فى القرآن، ليست هى عندنا كما نسمعها، ولا نحسن ان نقرأها كما بلغنا عنكم، فهل نأثم؟

فقال ــ عليه السلام ــ: لا، اقرأوا كما علّمتم، فسيجيء من يعلّمكم (٢).

اذ المتبع هى القراءة المشهورة التى عليها جمهور المسلمين، لا الشاذة حتى ولو كان القارئ بها هو الإمام المعصوم عليه السلام. لانّ حفظ الوحدة الإسلامية كان رأس الواجبات. والمفروض انهم لم يتفقوا على امر باطل.

٥ــ وروى الكلينى ايضاً باسناده عن سفيان بن السمط، قال: سألت ابا عبدالله ــ عليه السلام ــ عن تنزيل القرآن. قال اقرأوا كما علمتم (٣).

وهذا نظير الحديث المتقدم. ولعلّه قد بلغه عن الأئمة(ع) قراءات ليست مشهورة واراد معرفتها واحتمل كونها الأصل فى التنزيل، فمنعه الإمام من ذلك موجّهاً له ان الوظيفة هى مواكبة جمهور المسلمين.

* * *

النوع السادس ــ روايات زعموا دلالتها على سقط آية او جملة اوكلمة. وقد عالجها ائمة نقد الحديث بانها كانت من زيادات تفسيرية وشروح وما الى ذلك ، لامن لفظ النص، لكن تعلق بها اهل القول بالتحريف عبثاً، نذكر منها نماذج:

١ــ روى الكلينى مرسلاً عن احمد بن محمد بن ابى نصر البزنطى الكوفى (٢٢١) هو من آل مهران، وكانوا يقولون بالوقف (٤)، وكان على رأيهم. ثم

(١) البيان ص ٢٥٢.

(٢) الكافى الشريف ج ٢ ص ٦١٩ رقم ٢.

(٣) الكافى ج ٢ ص ٦٣١ رقم ١٥.

(٤) الواقفة: جماعة من الشيعة وقفوا على الإمام ابى الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ولم يعترفوا بامامة الإمام

استبصر على يد الإمام على بن موسى الرضا ــ عليه السلام ــ قال ــ قبل استبصاره ــ: دفع اليّ ابوالحسن موسى بن جعفر عليه السلام مصحفا وقال: لا تنظر فيه، ففتحته و قرأت فيه (سورة ــ لم يكن الذين كفروا) فوجدت فيها اسم سبعين رجلاً من قريش بأسمائهم واسماء آبائهم! قال: فبعث اليّ: ابعث بالمصحف (١).

وفى هذا الحديث مواضع إبهام وسئوال، ذكر تفصيله محمد بن عمر الكشى (من اعلام القرن الرابع) فى ترجمة الرجل: روى باسناده عنه قال: لما أتى بابى الحسن (عند ما قبض عليه جلاوزة هارون) اخذبه على القادسية ولم يدخل الكوفة، وأخذ به على البرّ الى البصرة. قال: فبعث اليّ مصحفاً وانا بالقادسية، ففتحته فوقعت بين يدىّ سورة (لم يكن) فاذا هى أطول واكثر مما يقرأها الناس. قال: فحفظت منه اشياء. قال: فأتانى مسافر ومعه منديل وطين وخاتم، فقال، هات، فدفعته اليه، فجعله فى المنديل ووضع عليه الطين وختمه. فذهب عنّى ما كنت حفظت منه، فجهدت ان اذكر منه حرفاً واحداً فلم اذكره (٢).

وهذا الحديث اذا قارنّاه مع حديث الكلينى يرتفع بعض الإبهام من كليها نسبياً. اذ الذى وجده من سورة (لم يكن: البينة) هى اسماء السبعين رجلاً من قريش باسماء آبائهم. وكان سبب دفع المصحف اليه اولاً، هو خوف الإمام من ان يقع فى ايدى جلاوزة هارون. ومن ثمّ نهاه من ان ينظر فيه خوف الفتنة. ولكنه خالف امر الإمام فنظر فيه، ولذلك بعث من يسترده منه لما رآه غير مؤتمن على الوديعة.

وعلى اية حال، فان الأسماء التى زعمها رآهن فى المصحف، لعلّها كانت اسماء صناديد قريش ممّن ماتوا على الكفر او اظهروا الإيمان قهراً، وقد لعبوا بمقدرات المسلمين دوراً هاماً بعد حياة الرسول ــ صلّى الله عليه وآله ــ وهذه الأسماء كانت كشرح وتفسير للذين كفروا، وكانت مكتوبة على الهامش قطعاً. كما نبهنا عليه عند

الرضا عليه السلام من بعده. فلايعدّون من الإمامية القائلين بامامة الأئمة الاثنى عشر الذين نصّ عليهم رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ واحداً بعد واحد.

(١) اصول الكافى ج ٢ ص ٦٣١ رقم ١٦.

(٢) رجال الكشى ص ٤٩٢ برقم ٤٨١.

وصف مصحف الإمام اميرالمؤمنين عليه السلام فى الجز الأول من التمهيد.

قال المحدث الناقد المولى محسن الفيض: لعل المراد انّه وجد تلك الأسماء مكتوبة فى ذلك المصحف تفسيراً للذين كفروا والمشركين، مأخوذة من الوحى. لأنها كانت من اجزاء القرآن (١).

وخلاصة القول: ان هذا الحديث من المرسل الذى لااعتباربه. وقد حدّث به من كان على حالة الوقف غير معترف بمذهب الإمامية، فلايعد حديثه من أحاديث الطائفة والحال هذه. واخيراً فان الثبت على الهامش ــ على تقدير صحة الحديث ــ خارج عن مسألة التحريف.

٢ــ ورُوى ايضاً بإسناد الى هشام بن سالم (او هارون بن مسلم ــ كما فى بعض النسخ) عن ابى عبدالله ــ عليه السلام ــ قال: «ان القرآن الذى جاء به جبرئيل الى محمد ــ صلّى الله عليه وآله ــ سبعة عشر الف آية». ذكره فى آخر باب النوادر من كتاب فضل القرآن (٢).

والحديث بهذه الصورة نادر غريب وقد اوقع الشراح فى مشكل العلاج، بعد ان كانت آى القرآن، حسب واقعيته الراهنة، الموافق للمأثور عن النبى ــ صلّى الله عليه وآله ــ وعن ابن عباس وغيره من التابعين، والتى اجمعت عليها عامة اهل التفسير كالطبرسى وغيره، لاتعدو بضعاً ومأتين وستة آلاف آية! فهى لاتبلغ سبعة آلاف فكيف بسبعة عشر الفاً؟!.

وقد جزم المولى ابوالحسن الشعرانى ــ فى تعليقته على شرح الكافى للمولى صالح المازندرانى ــ بأن لفظة «عشر» من زيادة النسّاخ او الرواة، والأصل هى: سبعة آلاف، عدداً تقريباً ينطبق مع الواقع نوعاً ما(٣).

• تؤيده ان صاحب الوافى المولى محسن الفيض، نقل الحديث عن الكافى بلفظ

(١) الوافى، المجلد الثانى، الجزء الخامس ص ٢٧٣.

(٢) اصول الكافى ج ٢ ص ٦٣٤ رقم ٢٨.

(٣) هامش شرح الأصول للمازندرانى ج ١١ ص٧٦.

«سبعة آلاف آية» من غير ترديد. الأمر الذى يدل على ان النسخه الأصليه من الكافى التى كانت عنده كانت بهذا اللفظ، ولم يحتمل غيره.

قال الشعرانى فى تعليقه على الوافى: كانت النسخة التى شرحها المجلسى فى مرآت العقول «سبعة عشرالفاً» وكأنها من فعل بعض النسّاخ، استقل عدد السبعة فاضاف اليه عشرا. غيران السبعة آلاف هى القريبة من الواقع الموجود بايدينا. وظاهر الحديث انّه ليس بصدد احصاء عدد الآيات، بل ذلك من باب اطلاق العدد التام المتناسب مع الواقع بعد حذف الكسور اوتتميمها كما هى العادة والمتعارف فى الإستعمال، من باب التسامح، بعد عدم تعلق الغرض بذكر الكسر الناقص او الزائد.

وهذا نظير ما روى: ان الإمام زين العابدين ــ عليه السلام ــ لم يزل باكياً بعد شهادة ابيه اربعين سنة. مع انه لم يعش بعده اكثر من خمس وثلاثين سنة.

قال: وهذا التوجيه لايجرى مع زيادة لفظ «عشر». قال ذلك تدليلاً على غلط النسخة قطعاً.

ثمّ تعرض لتذرّعات اهل التحريف الواهية، وتطرق الى كتاب (فصل الخطاب) بالمناسبة وقال: وقد تتبعت الكتاب صدره وذيله وجميع مافيه، فلم نجد فيه ما يصلح مستنداً للقول بالتحريف سوى بضع روايات ضعاف الأسناد، وفيها من المناكير مما لايقول به اشياخه ولا سائر علمائنا، حيث مخالفتها مع اصول المذهب. كالذى رواه عن كتاب الإحتجاج مرسلاً فى سقوط ثلث القرآن من آية واحدة من سورة النساء، المستلزم ذلك كون هذه السورة معادلة لنصف القرآن او قريباً من النصف مع جهالة راوى هذا الخبر. وكالذى يرويه عن كتاب سليم بن قيس الهلالى، وهو كتاب موضوع لااصل له ولا هو معتبر عند الأصحاب. وكالذى يرويه عن كتاب دبستان المذاهب، وليس له اصل ولا مستند... الى آخر ما يقول ــ رحمه الله وجزاه عن القرآن خير جزاء ــ (١).

وقد اعترف الشيخ النورى باختلاف النسخة، قال: وربما يوجد فى بعض

(١) بهامش الوافى المجلد الثانى ــ الجزء الخامس ص ٢٣٢ ــ ٢٣٤.

نسخ الكافى «سبعة آلاف آية». قال: واقتصر عليه المولى محسن الفيض فى الوافى، ولم يتعرض لما فى سائر النسخ. قال: وهذا منه قريب من الخيانة!

قال: واظن ان نسخته قد سقطت منها لفظة «عشر» فجعل الكاتب او الناظر كلمة «الف» «آلاف» مراعاة لقواعد النحو، من غير مراجعة لسائر النسخ ...(١).

قلت: ما اقبح بالرجل يختلع فور ما اذا اصطدم مع الواقع المرّ وعاكسته مجارى الأمور! ان المولى محسن الفيض يعدّ من اجلاّء عالَم التحديث، ومن ائمة النقد وتمحيص الأخبار، وسعة الإطلاع والإحاطة بمختلف الآثار. فكان ولايزال علما من اعلام الطائفة ومفخرة من مفاخرها.

وهذا المحدث النورى نفسه ومعه قاطبة الأخباريين يعظّمون من مواقف هذا الرجل المضطلع باحاديث اهل البيت عليهم السلام.

اما اذا عاكس موقفهم المنحرف تجاه كتاب الله العزيز الحميد، فانّه يصبح خائناً ومدلّساً فى نقل الأخبار! حاشاه من محقق مدقق عارف بمشارب الشريعة وصاحب اختيار واعتبار.

وقد عرف المولى محسن الفيض بالإتقان والدقة فى النقل ولا سيما فى موسوعته الحديثية الكبرى (الوافى) لوفائه بمهمات مسائل الدين فى اصوله وفروعه، مردفة بالتحقيق والشرح والبيان.

وبالحق، كان كتابه هذا من اصح الكتب وادقّها واحسنها نظماً واسلوباً. الأمر الذى جعله مورد اعتماد الأصحاب ومرجعهم عند اختلاف الأنظار.

هذا العلامة المحقق، المولى ابوالحسن الشعرانى، يعلل اختياره لكتاب الوافى موضعاً للشرح والتعليق، باشتماله على مزايا قلّ ما توجد فى سائر الكتب الحديثية. يقول: وقد تصدّى جمع من علمائنا المتأخرين لتأليف كتاب يشتمل على ما فى الأصول الأربعة. واشتهر بذلك كتابان: وسائل الشيعة والوافى. ولكل منها مزية على الآخر، ويترجح الوافى فى جمعه بين الأصول والفروع، وفى عدم تقطيع الأحاديث، وفى اشتماله

(١) فصل الخطاب ص٢٣٦.

على الشرح والبيان، والعمدة: صحة النسخة، وهو الأهم فى هذا الباب، اما الوسائل فهى فاقدة لهذه الإمتيازات، ولا سيما صحة النسخة، اذ لايطمئن النفس بصحة نسخ الوسائل الموجودة الّا بعد مراجعة الأصول المأخوذة منها، الأمر الذى يغنى عن مراجعة نفس الكتاب (١).

٣ــ وفى كتاب الرجال لأبى عمرو الكشى ــ فى ترجمة ابى الخطاب ــ روى عن ابى على خلف بن حامد (مجهول) عن ابى محمد الحسن بن طلحة (مجهول) عن ابن فضال عن يونس عن العجلى عن الصادق ــ عليه السلام ــ: «انزل الله فى القرآن سبعة باسمائهم فمحت قريش ستة وتركوا ابالهب...» (٢).

مثل هذه الرواية بهذا الإسناد الساقط (روى مجهول عن مجهول ــ قد اهمل اصحاب التراجم ذكرهما رأسا) كانت مستند الشيخ النورى واشياخه فى القول بالتحريف (٣). فضلاً عن ابهام متنها: اين كانت الأسماء؟ واسماء من كانت؟ ولِمَ ومتى حذفتها قريش؟ ولعلها رواية السبعين رجلاً من قريش التى روتها الواقفة، فضويت الى سبعة!؟ ولماذا؟ علّهم استكثروها ولم تُقبل منهم فنزّلوها بدرجة، من عشرات الى آحاد!!.

* * *

النوع السابع ــ ما ورد بشأن فضائل اهل البيت ــ ع ــ المخبوءة طيّات آيات الكتاب، لو قرءت كما انزلها الله ــ غضّة طريّة ــ لتجلت الى العيان. اذ قد نزل ثلث القرآن او ربعه فيهم ــ عليهم السلام ــ.

وليس المقصود انّها كانت بالتصريح فاسقطت، وليس فى شيىء من الروايات ارادة هذا المعنى. بل الدلائل على فضلهم وشرفهم كثيرة فى القرآن. لو تدبّرها متدبّر وامعن النظر فيها بعين الإنصاف.

(١) مقدمة الوافى بقلم الشعرانى ج ١ ص ٢.
(٢) رجال الكشى ص ٢٤٧ برقم ١٣٥.
(٣) فصل الخطاب ص ٢٣٧.

ولكن هيهات، طالما عملت ايادٍ قذرة فى تلويث الحقائق وقلبها ظهراً لبطن. حؤولاً دون الوصول الى اشراقات القرآن القدسية الملكوتية!.

هذا ابوجعفر محمد بن جرير الطبرى صاحب التفسير (٣١٠) يحاول تغطية اكبر فضيلة من فضائل اهل البيت عليهم السلام! وقد جعل القرآنُ مودّتهم اجر الرسالة، وهى فضيلة ما فوقها فضيلة! ولكن انّى للعيون العمش ان تبصر وهج الشمس!.

ذكر فى تفسيره اختلاف اهل التأويل فى معنى قوله تعالى: **قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبىٰ ...** (١) ويختار اول الوجوه:

انّها خطاب مع قريش لتحفظ قرابته فيهم فتحميه وتمنعه شر الأعداء. فقد طلب اليهم الموادة لكونهم ذوى رحم اياه، حتى وان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً!

قال: كان لرسول الله ــ ص ــ قرابة فى جميع قريش. فلما كذّبوه وابوا ان يبايعوه، قال: يا قوم اذا ابيتم ان تبايعونى فاحفظوا قرابتى فيكم لايكن غيركم من العرب اولى بحفظى ونصرتى منكم!

ثمّ ذكر وجوهاً ثلاثة اخر: طلب الموادة مع قرابته اهل بيته. وطلب القربى الى الله والزلفى لديه سبحانه. وصلة الأرحام بعضهم مع بعض.

ويقول فى وجه ترجيحه ذلك الوجه: انه لموضع (فى) فى قوله (المودة فى القربى)، اذ لاوجه معروفاً لدخول (فى) فى هذا الموضع. وكان ينبغى على سائر الوجوه ان يكون التنزيل «الاّ مودة القربى» او «المودة بالقربى» او «ذا القربى» على الترتيب.

وقد حاول بكل جهده ترجيح اختياره على سائر الوجوه (٢).

ولكنه تعامى فى كلامه عن قصد خبيث، قال تعالى:

فَإِنَّهَا لاَتَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ (٣).

(١) الشورى ٤٢/٢٣.

(٢) جامع البيان للطبرى ج٢٥ ص١٥ــ ١٧.

(٣) الحج ٢٢/٤٦.

اذ كيف يخفى على ذى لبّ ان مثل هكذى مواجهة ممّا يمتنع مع قوم ناكرين ومستهزئين بموقف النبى الكريم. انهم رفضوا دعوته وجحدوا رسالته فكيف يطالبهم بالأجر عليها؟! ان هذا الإحتمال الاوهن بمقامه المنيع، صلوات الله عليه.

انه ــ صلّى الله عليه وآله ــ لايمدّ يد الوداد الى اعداء الله الألداء حتى ولو كانوا ذوى قرابته. اذ لاقرابة مع الشرك ولا رحم مع رفض التوحيد. قال تعالى: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ (١).

هذا وقد قال تعالى:

لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ (٢).

فكيف يخالف رسول الله (ص) صريح نهيه تعالى؟!

وكان ــ صلّى الله عليه وآله ــ قد عرف منهم العناد واللجاج، وقد عرفوا فيه قطيعة الرحم وتسفية الأحلام وافساد الشباب! وجعل كيانهم على خطر الإنهيار، هكذا كانوا يحملون الضغائن نحو نبى الإسلام ويكرهون لقاءه، واذا كان الأمر على ذلك، فكيف يضع نفسه الكريمة موضع الإمتهان تجاه سؤال يعلوه الذل والصغار، حاشاه من نفس ابية وانف حميّة. كما قال سبطه الشهيد: وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وانوف حمية ونفوس ابيّة... (٣).

واما الذى ذكره دليلا على اختياره، فليته لم يذكره، اذ لاشأن له والأدب الرفيع، الذى كان من شأن (جارالله الزمخشرى) الذى اختار نقيض رأيه. وسلك مسلكاً نزيها ومشرفاً فى نفس الوقت. فقد شرح الموقف شرحاً وافياً، تبعه عليه جماعة المفسّرين من اهل النظر والإختيار.

(١) هود ١١/٤٦.

(٢) الممتحنه ٦٠/١.

(٣) المقتل للسيد عبدالرزاق المقرم ص ٢٥٠.

قال: ما معنى قوله «الاّ المودة فى القربى»؟ فاجاب بقوله:

قلت: جعلوا مكاناً للمودّة ومقراً لها، كقولك: لى فى آل فلان مودّة، ولى فيهم هوى وحب شديد، تريد: احبهم وهم مكان حبّى ومحلّه.

قال: وليست (فى) بصلة ــ اى متعلقة ــ للمودة، كاللام اذا قلت: الاّ المودّة للقربى. انّما هى متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به، فى قولك: المال فى الكيس. وتقديره: الا المودة ثابتةً فى القربى ومتمكنةً فيها. والقربى مصدر كالزلفى والبشرى. بمعنى: قرابة. والمراد: فى اهل القربى.

قال: روى انها لما نزلت قيل يا رسول الله ــ ص ــ من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: «على وفاطمة وابناهما» ... ثمّ جعل يسرد روايات عظام بهذا الشأن، جزاه الله عن آل بيت الرسول خير الجزاء (١).

* * *

وهذا ابن مخلوف الثعالبى ــ فى آية الولاية:

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٢).

نراه يحاول امتهان نزولها بشأن على ــ عليه السلام ــ حينما اعطى خاتمه للفقير وهو فى حالة الركوع من الصلاة. فكانت فضيلة شامخة لمولانا اميرالمؤمنين. وقد اجمع عليه المفسّرون واهل الحديث وتواترت الروايات بذلك من الفريقين (٣).

قال الثعالبى: والزكاة فى الآية عام تشمل المفروضة والتطوع بالصدقة ولكل افعال البرّ، ثم وصفهم سبحانه بتكثير الركوع، وخص بالذكر لكونه من اعظم اركان

(١) تفسير الكشاف ج ٤ ص ٢١٩ ــ ٢٢٠.

(٢) المائدة ٥/٥٥.

(٣) فى الدر المنثور للسيوطى ج ٢ ص ٢٩٣ روايات متظافرة بان رسول الله (ص) قال للسائل: من اعطاك هذا الخاتم؟ قال: هذا الراكع، واشار الى على وهو يصلى فى ناحية المسجد. فانزل الله الآية فقرأها على اصحابه ثم قال: فمن كنت مولاه فعلىّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

الصلاة. قال: هذا هو الصحيح فى تأويل الآية. ولكن اتفق مع ذلك ان على بن ابى طالب اعطى خاتمه وهو راكع. قال السدى: وان اتفق ذلك لعلى فالآية عامة(١).

هكذا يخرج من تفسير الآية بهذا الإختصار المبتور! نعم هكذا استحوذ عليهم شيطان الحقائد فانساهم ذكرالله!.

* * *

وهذا عبدالله بن الزبير يحاول اثبات كون سورة الإنسان مكية، لماذا؟ لأنه كان يرغمه وجود آيات فى القرآن ناصّة على فضائل آل الرسول ــ ص ــ! انه كان يحمل الضغينة لآل البيت حقداً وحسداً، **أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا اٰتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ**(٢). فقد اسقط ذكر النبى من خطبة الجمعة، معتذراً انى كلما رأيت بنى هاشم اذا جاء ذكر النبى اشرأبّوا واشرقت الوانهم وطالت رقابهم. والله ما كنت لآتى لهم سروراً وانا اقدر عليه!(٣).

وهكذا سار من ورائه بعض مبتذلة اهل التفسير كابن كثير واخيراً سيد قطب مستشهدين بالسياق، تاركين ورائهم لجماع ائمة التفسير(٤).

قال الحافظ الحسكانى: اعترض بعض النواصب بان هذه السورة مكيّة، وهذه القصة (نذر الصديقة الزهراء صوم ثلاثة ايام استشفاءً لولديها الحسن والحسين. ثم اعطاء اقراصهم الى المسكين واليتيم والأسير فى ليال ثلاث متواليات) مدنية!.

فقال ردا عليه: قال الأكثر انها مدنية. ونصوص الأئمة على الترتيب شاهدة عليه(٥). وهكذا حقق العلامة الطبرسى فى تفسيره(٦).

(١) تفسير الثعالبى ج ١ ص ٤٧١.

(٢) النساء ٤/٥٤.

(٣) شرح النهج لابن ابى الحديد ج ٢٠ ص ١٢٢ و ١٢٨ و ١٤٧. راجع الجزء الاول من التمهيد ص ٢٨٥.

(٤) راجع الجزء الاول من التمهيد ص ١٢٢.

(٥) شواهد التنزيل ص ٣١٠ ــ ٣١٥.

(٦) مجمع البيان ج ١٠ ص ٤٠٥.

وبعد فاذا كانت هذه حالة اهل الضغائن من اصحاب التفسير، يحاولون اخفاء الحقيقة مهما امكن،

يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١).

وكانت السياسة القائمة حينذاك ايضا تعاضد نظرة الاخفاء من فضائل آل الرسول. فما بالك اذا لم تعرف من فضائلهم ومساوئ اعدائهم شيئا مذكوراً فى القرآن.

ان فى القرآن الشئ الكثير من الدلائل على فضلهم وشرفهم، ونزلت بكثير من الآيات إشادة بشأنهم الرفيع. لولا انّ اخوان الشياطين حالوا دون الوصول اليها فى عمل مستمر خبيث (٢).

وعليه فليذهب من بصرك غشاءُ التعامى، ولينفلت قلبك من اكنة الاحقاد والضغائن الجاهلية النكراء. وبعده فانظر الى آثار رحمت الله كيف يحيى الأرض بعد موتها.. واليك الآن من روايات هذا النوع السابع: ــ

١ ــ وقد صحّ قول الامام الصادق ــ عليه السلام ــ: «لو قد القرآن كما انزل، لالفيتنا فيه مسمّين» (٣).

قوله: كما انزل، اى غضّاً طريّاً كما انزل ذاهباً عنه خرافات الأوهام

(١) الصف ٦١/٨.

(٢) اخرج الكلينى باسناده عن ابى مسروق، قال: قلت لابى عبدالله ــ ع ــ: انانكلم الناس فنحتج عليهم بقول الله تعالى: «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم ــ النساء: ٥٩»! فيقولون: نزلت فى امراء السرايا! فنحتج عليهم بقوله تعالى: «انّما وليّكم الله ورسوله... المائدة: ٥٥»! فيقولون: نزلت فى المؤمنين! ونحتج عليهم بقوله تعالى: «قل لااسألكم عليه اجرا الاّ المودّة فى القربى ... ــ الشورى: ٢٣»! فيقولون: نزلت فى قربى المسلمين!.

قال: فلم ادع شيئا مما حضرنى ذكره من هذه وشبهه الا ذكرته...! (الكافى الشريف ج ٢ ص ٥١٣، ٥١٤).

(٣) تفسير العياشى ج ١ ص ١٣ رقم ٤.

وتلبيسات اهل الزيغ والباطل.

قوله: لالفيتنا فيه مسمين. لايريد التسمية بهذا الاسم. بل بذكر السمات والنعوت الدالّة على فضيلة الاختصاص (١).

٢ــ وقال عليه السلام: من لم يعرف امرنا من القرآن لم يتنكّب الفتن (٢).

اى اذا لم يكن يعرف موضعنا من امر الولاية على الناس، واننا مراجع الأنام وملاذهم عند مشتبك الأمور، لم يمكنه التخلص من مضلات الفتن، اذ انه يطرق باب من هو احوج منه الى الإهتداء.

وفى القرآن دلائل وافية بانّ العترة الطاهرة هم الأئمة الهداة واهل الذكر وسفن النجاة دون من سواهم ممن لايدرى ما فى البيت.

٣ــ وبهذا المعنى حديث آخر، قال الباقر ــ عليه السلام ــ: لنا حق فى كتاب الله المحكم من الله. لومحوه فقالوا ليس من عندالله، اولم يعلموا لكان سواء (٣).

اى ان حقنا مذكور فى القرآن، فلوانهم محوه عنه اولم يعلموا به، كان ذلك سواء. يعنى انّهم يجهلونه ولا يعرفونه. والجهل بذلك مع محوه رأساً سواء، حيث مآلهما الى ترك العمل وعدم الاعتراف بحقهم عليهم السلام.

٤ــ وقال: اذا سمعت الله ذكر احداً من هذه الأمة بخير فنحن هم، واذا سمعت الله ذكر قوماً بسوء ممن مضى فهم عدوّنا (٤).

(١) يدلّ على ذلك ما رواه الكلينى باسناده عن ابى بصير، قال: سألت ابا عبدالله عن قوله تعالى: «اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الأمر منكم ــ النساء: ٥٩». قال: نزلت فى على والحسن والحسين. قلت: ان الناس يقولون: فما باله لم يسمّ عليا واهل بيته فى كتاب الله! قال ــ ع ــ: فقولوا لهم: ان رسول الله ــ ص ــ نزلت عليه الصلاة ولم يسمّ لهم ثلاثا ولا اربعا، حتى كان رسول الله (ص) هو الذى فسر لهم ذلك. (الكافى الشريف ج ١ ص ٢٨٦).

قال سيدنا الأستاذ: هذه الصحيحة حاكمة على جميع تلك الروايات وموضحة للمراد منها، اى ان ذكرهم فى الكتاب انما كان بالنعوت والأوصاف، لابالتسمية المتعارفة. راجع: البيان ص ٢٥١.

(٢) العياشى ج ١ ص ١٣ رقم ١.

(٣) المصدر رقم ٢.

(٤) العياشى ج ١ ص ١٣ رقم ٣.

وهذا يرجع الى مسألة الحب والبغض فى الله. فقد ورد مستفيضاً: وهل الدين الا الحب والبغض فى الله (١). قال تعالى:

وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلٰكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ. أُولٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٢).

وقال تعالى:

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ (٣).

اذ لولا المحبة لم تكن اطاعة. ان المحب لمن يحبّ سميع.
فمحبة اولياء الله توجب اطاعتهم والإنقياد لهم. وكراهة اعداء الله تستدعى

(١) راجع: الكافى الشريف ج ٢ ص ١٢٤ باب (الحب فى الله والبغض فى الله). قال الصادق عليه السلام ــ: «من احب لله وابغض لله واعطى لله فهو ممن كمل ايمانه». وقال: «من أوثق عرى الإيمان ان تحب فى الله وتبغض فى الله وتعطى فى الله وتمنع فى الله». وقال ــ فى حديث ــ: «وهل الايمان الاّ الحب والبغض؟!».

وقال رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ: «اوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله».

وقال الصادق ــ عليه السلام ــ: من لم يحب على الدين ولم يبغض على الدين فلا دين له».

وراجع: الروضة (ج ٨ ص ٨٠ برقم ٣٥). قول الباقر ــ عليه السلام: «وهل الدين الاّ الحب؟!». وقال رسول الله ــ صلّى الله عليه وآله ــ: «انت مع من احببت».

وفى حديث الشيخ العجوز مع الإمام الباقر ــ عليه السلام ــ (ص ٧٦ برقم ٣٠) دلالة على تلازم المحبة مع الطاعة. وكذا فى حديث الإمام على بن الحسين ــ عليه السلام ــ (ص ٦٧ برقم ٢٤): «ان احبكم الى الله احسنكم عملاً...».

وجاء فى آخر رسالة الإمام الصادق ــ عليه السلام ــ الى سعد الخير (ص ١٤ من الروضة): «ومن سرّه ان يعلم انّ الله يحبّه فليعمل بطاعة الله وليتبعنا...».

(٢) آل عمران ٣/ ٣١.

(٣) الحجرات ٤٩/ ٧

الإبتعاد منهم واجتنابهم. فاذا كان الدين عبارة عن الإطاعة فاساسها المحبة والرغبة.

والقرآن الكريم لايمدح قوماً الاّ وهم اولياءالله. الشامل بعمومه لكل ولى من اوليائه الصالحين سواء من غبر اوحضر.

ولا يذمّ قوماً الا لأنهم اعداؤه. الشامل بعمومه لكل عدوّ من الجن والإنس مع الأبد. وعدوّ اولياء الله هم عدوه، لانّ عدو الولى عدوّ.

فاذا كان ابراهيم الخليل من شيعته لأنّه اتى ربه بقلب سليم(١). فانّه بهذا النعت يشمل ابراهيم هذه الأمة على الإطلاق. واذا كان فرعون من عدوّه لانه طغى وعلا فى الأرض. انّه يشمل فراعين هذه الأمة سواء بسواء(٢).

٥ــ وبذلك تعرف معنى قولهم ــ عليهم السلام ــ: نزل القرآن على اربعة ارباع، ربع فينا، وربع فى عدوّنا، وربع فرائض واحكام، وربع سنن وامثال. ولنا كرائم القرآن.

وفى رواية اخرى: نزل القرآن اثلاثاً، ثلث فينا وفى عدوّنا، وثلث سنن وامثال، وثلث فرائض واحكام(٣).

اذ ليس التحديد مقصودا بالضبط وانما هو بيان لأنواع آى القرآن، قسط وافر منه نزل فى امر الولاية التى هى اهم الفرائض واساسها. والباقى احكام وسنن وامثال وحكم.

(١) قال تعالى: «وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربّه بقلب سليم ــ الصافات: ٨٣».

(٢) فقد ورد فى تفسير قوله تعالى: «ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ــ القصص: ٥٠» عن ابى الحسن ــ عليه السلام ــ قال: يعنى من اتخذ دينه رأيه بغير امام من ائمة الهدى. (الكافى الشريف ج ١ ص ٣٧٤ رقم ١).

وسئل الصادق ــ عليه السلام ــ عن قوله تعالى: «وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون ــ يونس: ١٠١» قال: الآيات هم الأئمة والنذر هم الأنبياء عليهم السلام.

وسئل ابوجعفر ــ عليه السلام ــ عن قوله: «كذبوا بآياتنا كلها ــ القمر: ٤٢» قال: الأوصياء كلهم. (الكافى ج ١ ص ٢٠٧ رقم ١ و ٢).

(٣) العياشى ج ١ ص ٩ رقم ١ و ٣. والكافى الشريف ج ٢ ص ٦٢٧ رقم ٢ و ٣.

الأمر الذى دعى بالحافظ الكبير عبيدالله بن عبدالله المعروف بالحاكم الحسكانى ــ من مشايخ الطبرسى صاحب التفسير ــ ان يقوم بتصنيف موسوعته القيمة بشأن اهل البيت وثبت ما نزل من الآيات الكريمة فيهم عليهم السلام.

قال متعرضاً بمن كان يستغوى الناس بالوقيعة فى نقيب العلويين يومذاك حتى امتد فى غلواؤه وارتقى الى نقص آبائه، وانه لم يقل احد من المفسّرين بنزول سورة (هل اتى) فى على واهل بيته ولا شيىء سواها من القرآن!!.

قال: فانكرت جرأته واكبرت بهته وفريته. فرأيت من الحسبة دفع هذه الشبهة عن الأصحاب وبادرت الى جمع هذا الكتاب(١).

٦ــ واورد فى الفصل الخامس باسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال:

«ما نزل فى أحَدٍ من كتاب الله تعالى ما نزل فى على عليه السلام».

٧ــ وعن مجاهد: نزلت فى علىّ سبعون آية ما شركه فيهن احد. وقال: ما نزل الله آية فى القرآن الاّ وعلى ــ عليه السلام ــ رأسها.

٨ــ وعن ابن ابى ليلى: لقد نزلت فى علىّ ثمانون اية صفواً فى كتاب الله ما يشركه فيها احد من هذه الأمة.

٩ــ وروى باسناده الى الإمام على بن الحسين السجاد ــ عليه السلام ــ قال: «نزل القرآن علينا، ولنا كرائمه» (٢).

الى غيرها من روايات صحيحة الإسناد اورد هن الحسكانى فى كتابه، منتظمة على ترتيب السور. وهى تنوف على الألف ومائة وستين حديثاً رواهنّ عن مصادر معتمدة من الفريقين.

* * *

وهذا المعنى الدقيق ــ كما عرفه علماؤنا الأعلام ــ هو المراد من قولهم (ع): لألفيتنا فيه مسمّين او ان ربع القرآن اوثلثه فينا. اى وَجَدْتَ ذكرنا بالنعت الجلّى فى

(١) مقدمة كتاب (شواهد التنزيل) ص ١٤.

(٢) شواهد التنزيل ص ٣٩ــ ٤١.

هذا الموجود من المصحف الشريف. لو كانت هناك اعينٌ بصيرة.

لا ما زعمه امثال المحدث النورى من الحذف والسقط(١)! ياله من جمود نظر وقصور فكر عصمنا الله من مزال القلوب والأبصار!.

والحمدلله الذى هدانا لهذا وما كنّا لنهتدى لولا ان هدانا الله.

هذا... وقد اكتمل البحث (بعونه تعالى) عصر يوم السبت آخر صفر الخير سنة ١٤٠٨ فى بلدة قم المقدسة،

(محمد هادى معرفة)

١٣٦٦/٨/٢

(١) فصل الخطاب ص ٢٣٧ و ٢٣٩ و ٢٤٦ و ٢٤٧.

الفهرست

العنوان — الصفحة

(المقدمة) ٣

صيانة القرآن من التحريف ٥

التحريف فى اللغة والصطلاح ٨

التحريف فى الاصطلاح على سبعة وجوه ١١

القرآن ولغة التحريف ١٤

مزعومة نسخ التلاوة ١٧

مسألة الإنساء ٢٥

(ملخص دلائلنا على دحض شبهة التحريف) ٢٧

١ــ آية الحفظ ٢٧

٢ــ آية عدم اتيانه الباطل ٣٢

٣ــ ضرورة تواتر القرآن ٣٣

٤ــ العرض على كتاب الله ٣٥

٥ــ مسألة الاعجاز ٣٧

٦ــ نصوص اهل البيت ٤١

(تصريحات اعلام الطائفة) ٤٤
١ــ شيخ المحدثين الصدوق ٤٤
٢ــ عميد الطائفة المفيد ٤٥
٣ــ الشريف المرتضى ٤٦
٤ــ شيخ الطائفة ٤٧
٥ــ ابوعلى الطبرسى ٤٧
٦ــ العلامة الحلى ٤٧
٧ــ المولى الأردبيلى ٤٨
٨ــ كاشف الغطاء الكبير ٤٨
٩ــ كاشف الغطاء الحفيد ٤٩
١٠ــ بهاء الملّه والدين ٥٠
١١ــ الفيض الكاشانى ٥٠
١٢ــ الحرّ العاملى ٥٢
١٣ــ المحقق التبريزى ٥٢
١٤ــ المحقق الآشتيانى ٥٣
١٥ــ المحقق الكوهكمرى ٥٣
١٦ــ الحجة البلاغى ٥٤
١٧ــ الفاضل التونى ٥٥
١٨ــ المحقق البغدادى ٥٥
١٩ــ المحقق الكركى ٥٧
٢٠ــ المحقق الكلباسى ٥٨
٢١ــ المحقق القمى ٥٩
٢٢ــ القاضى التسترى ٥٩
٢٣ــ شرف الدين العاملى ٥٩
٢٤ــ الأمين العاملى ٦٠

٢٥ــ سيدنا الميلانى ٦٠
٢٦ــ سيدنا الطباطبائى ٦٢
٢٧ــ الامام الگلپايگانى ٦٣
٢٨ــ الامام الشيرازى ٦٦
٢٩ــ سيدنا الامام الخمينى ٧٠
٣٠ــ سيدنا الخوئى ٧١

شهادات ضافية بنزاهة مواقف أعلام الإمامية عن القول بالتحريف

كلام ابى الحسن الأشعرى ٧٢
كلام رحمة الله الهندى ٧٤
كلام ابن حزم الأندلسى ٧٥
توجيه كلام بمالا يرضى صاحبه ٧٧
نقل الحديث لا ينمّ عن عقيدة ناقله ٨٠
نسبة مفضوحة ٨١
ليس فى الكافى ما يريب ٨٢
موقفنا من الفئة الأخبارية ٨٤
سذاجة مفجعة ٨٦
وقفة عند كتاب الأنوار النعمانية ٨٧
ضجّة صاخبة أثارها فصل الخطاب ٨٩
تراجع ام التواء فى التعبير؟ ٩٢

(ماذا يعنى التحريف فى كتب العهدين؟) ٩٤
تحريف فى البشائر ٩٧
شهادة الأسقف الأعظم ٩٩
شهادة المستشرق كارلونلينو ٩٩
تحريف بلهجة التعبير ١٠٠

لمحة خاطفة عن تاريخ العهدين ١٠٣
العهد القديم ١٠٣
التوراة المنسوبة الى موسى (ع) ١٠٥
نهاية امر سفر الشريعة ١٠٧
كارثة بخت نصر ١٠٨
هل عادت التوراة الى الوجود؟ ١٠٩
من اين جاء عزرا بنقول التوراة؟ ١١١
حادث الأمپراطور انطوخيوس ١١٣
سلسلة اسناد التوراة مقطوعة ١١٣
قصة الأناجيل الأربعة ١١٤
اين صار الانجيل النازل على المسيح ١١٥
(مسألة تشابه الأحداث فى الغابر والحاضر) ١١٧

(التحريف عند حشوية العامة) ١٢٣
١ــ آية الرجم ١٢٥
٢ــ آية الرغبة ١٢٦
٣ــ آية الجهاد ١٢٧
٤ــ آية الفراش ١٢٧
٥ــ القرآن اكثر من مليون حرف! ١٢٨
٦ــ قد ذهب من القرآن كثير ١٢٩
٧ــ ذهاب القرآن بذهاب حملته ١٢٩
٨ــ زيادة كانت فى مصحف عائشة ١٣٠
٩ــ آية الرضعات اكلها داجن البيت ١٣٠
١٠ــ آيتان من سورة البينة ١٣١
١١ــ آيتان لم تكتبا فى المصحف ١٣٣
١٢ــ سورة كانت تعادل براءة ١٣٣

١٣ــ سورة الاحزاب كانت اطول من البقرة ١٣٤
١٤ــ دعاء القنوت ١٣٦
١٥ــ سورة براءة مابقى سوى ربعها ! ١٣٧
١٦ــ تبديل كلمة ١٣٨
١٧ــ زيادة كلمة ١٣٨
١٨ــ زيادة حرف ١٣٩
١٩ــ تبديل حرف ١٤٠
٢٠ــ تبديل هجاء ١٤٠
٢١ــ خطاء فى الاجتهاد ١٤١
٢٢ــ اجتهاد فى مقابلة النص ١٤٢
٢٣ــ زعم فاسد ١٤٣
٢٤ــ اربعة احرف لحن فى القرآن ! ١٤٤
١ــ فى سورة طه: ٦٣ ..... ١٤٦
٢ــ فى سورة المائده: ٦٩ ..... ١٤٧
٣ــ فى سورة النساء: ١٦٣ ..... ١٤٨
٤ــ فى سورة المنافقين: ١٠ ..... ١٥١
٢٥ــ سورة الولاية المفتعلة ١٥١
كلام عن كتاب (دبستان المذاهب) و عن مؤلفه ١٥٥

(التحريف عند الفئة الأخبارية) ١٥٧
دلائل الجزائرى فى كتابه منبع الحياة ١٥٨
١ــ مبلغ علمه بتاريخ جمع القرآن ١٦٠
٢ــ حديث اسقاط ثلث القرآن من خلال آية واحدة! ١٦١
٣ــ حديث كنتم خير ائمّة ١٦٣
٤ــ سقط اسم على من آية البلاغ والكمال ١٦٥

(مزاعم صاحب فصل الخطاب) ١٦٩
١ــ ضرورة تشابه الاحداث فى الغابر والحاضر ١٧٠
٢ــ كيفية جمع القرآن ١٧٠
٣ــ وهن مزعومة نسخ التلاوة ١٧٠
٤ــ مصحف على (ع) يخالف سائر المصاحف ١٧١
٥ــ مصحف ابن مسعود يخالف سائر المصاحف ١٧١
٦ــ مصحف ابى بن كعب يخالف سائر المصاحف ١٧١
٧ــ اسقاط عثمان آياً من القرآن! ١٧٢
٨ــ روايات عن حشوية العامة ١٧٣
٩ــ خلو المصحف عن ذكر الأئمة (ع) ١٧٣
حديث كعب الأحبار ١٧٤
حديث هشام الدستوائى ١٧٤
١٠ــ اختلاف القراءات ١٧٩
(اهم دلائل المحدث النورى)
هما: دليله الحادى عشر و دليل الثانى عشر هى مجموعة روايات لا حجية فيها ولا مستند ١٨٠

(كتب اعتمدها النورى لا اعتبارها)
١ــ رسالة مجهولة النسب (المنسوبة الى كل من الأشعرى والنعمانى والمرتضى) ١٨٢
٢ــ كتاب السقيفة المنسوبة الى سليم بن قيس الهلالى ١٨٤
٣ــ كتاب القراءات للسيارى ١٨٦
٤ــ تفسير ابى الجارود ١٨٧
٥ــ التفسير المنسوب الى القمى ١٨٧
٦ــ كتاب الاستغاثة للكوفى ١٨٩
٧ــ كتاب الاحتجاج للطبرسى ١٨٩

٨ــ التفسير المنسوب الى الامام العسكرى ١٩١
٩ــ تفاسير مقطوعة الاسناد ١٩٢
• تفسير العياشى ١٩٢
• تفسير فرات ١٩٣
• تفسير ماهيار ١٩٣

(الف حديث و حديث) ١٩٦
لا مستند فيها سوى مأتى حديث (معالجة المأتين حديثا) وهى على سبعة انواع: ١٩٧
١ــ روايات تفسيرية بحتة ١٩٧
٢ــ احاديث عن قراءات منسوبة الى بعض الأئمة ٢٠٨
٣ــ روايات جاء فيها لفظ التحريف مراداً به التفسير على غير وجهه ٢١٢
٤ــ روايات ليس فيها ما يصلح مستنداً للقول بالتحريف اصلاً ٢١٦
٥ــ روايات بشأن القائم (ع) وتعليمه الناس القرآن كما انزل كما كان عليه مصحف على (ع) ٢١٨
٦ــ روايات ظاهرها السقط وهى إمامن اضافات و شروح كانت على الهامش او وهم توهمه ناسخوا الحديث ٢٢١
٧ــ روايات بشأن اهل البيت (ع) وفضائلهم مذكورة فى القرآن لو تدبره متدبر بعين الإنصاف ٢٢٦
الفهرس ٢٣٧

390 ŏ ŏ
8

WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
NOV. - DEC. 1993
We're Quality Bound

Princeton University Library
32101 057499319
(REGA)
BP130
.4
.M374
1990

دار القرآن الکریم
قم۔ صندوق پستی ۱۵۱۔ تلفن ۳۲۰۷۸